المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدراسات العليا

فرع العقيدة

قام الطالب بتصحيح المطلوب

أعضاء اللجنة

الدكتور محمود أحمد خفاجي - الدكتور عبد الشكور أمان العروسي

مناقشا مناقشا

الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار

مشرفا

٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٤٧٠

٠٠٠٠٩٧

مسائل العقيدة في سورة الصافات

(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)

إعداد الطالب

امتياز احمد محمد ياسين

إشراف

الأستاذ الدكتور/ بركات عبد الفتاح دويدار

العام الدراسي: ١٤١٥-١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الرسالة للماجستير في تخصص العقيدة بعنوان : (مسائل العقيدة في سورة الصافـات)

تحتوي على المباحث التالية :

أولا : مقدمة في ذكرأسباب اختيارالموضوع ومنهج السير فيه والخطة.

ثانيا: تمهيد كمدخل السورة الكريمة في ذكرأهم خصائص وضوابط السور المكية والمدينة إجمالاوذكر مناسبةالسورة لما قبلها .

ثالثا : مباحث أساسية للرسالة من خلال السورة ، وهي خمسة فصول .

الفصل الأول : في التوحيد وأنواعه وتوضيح معانيها.

الفصل الثاني : في ردالشرك وخرافاته .

الفصل الثالث : في الرسالة وذكرتأييدالله رسله ونصره إياهم على أعدائهم .

الفصل الرابع : في إبطال الكهانة والتنجيم والتحذير عنهما.

الفصل الخامس : في البعث والجزاء والرد على شبهات المنكرين .

ثم الخاتمة في ذكرالنتائج التي توصل البحث إليها ، ومن أهمها :

أ – توحيدالألوهية غاية عظمى خلق الإنسان والجن لتحقيقها ، ويفرض طاعة الإله الحق في جميع نواحي الحياة ، والمذهب الحق في توحيد الأسماء والصفات هو مذهب السلف الصالـح .

ب – التوحيد هو الأصل في الإنسان والشرك طارىء في حياته ، كما تدل عليه النصـوص الشرعية والأبحاث الجادة الحديثة ، فالشرك بجميع أنواعه مرفوض بصريح العقل وصحيح النقـل .

ج – الأنبياء والرسل عليهم السلام مؤيدون من الله عزوجل بالآيات البينات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به، ومن ثم ينصرهم الله على أعدائهم .

د – التنجيم من أنواع الكهانة ، وهذه الصناعة حدثت عند الصابئين الذين أرسل الله إليهم خليلـــه إبراهيم عليه السلام ،واعتقادهم في النجوم بأنها حية مختارة ، وقوى روحانية ، وملائكـة في لسان الشرع ونحوذلك لادليل لهم على ذلك بل هناك أكثر من أدلة قطعية تردهاوتبطلها . أماتعلم منازل الكواكب والنجوم وصفاتها لأغراض دينية ودنيوية فهو صحيح كتعلم صفات الأرض وخصائصها .

هـ – أهمية الإيمان باليوم الآخر واضحة من نواح عديدة : نفسية وأخلاقية ونحوذلك ، المنكرلليوم الآخر ليس عنده ماينهض حجة إلاالاستبعاد والتعجب ممايدل على جهله بكمال قدرة اللـه وكمال علمه عزوجل .

الطالب	المشرف	عميدالكلية
امتيازأحمد محمدياسين	د/بركات عبدالفتاح دويدار	د/ عبدالله بن عمر الدميجي

١٤٢٧ / ١ / ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أشكر الله عزوجل أولا وأخيرا على توفيقه لإتمام هذا البحث المتواضع، ثم أشكر قادة المملكة العربية السعودية لاسيما خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز -حفظه الله- رائد النهضة التعليمية في المملكة، وولي عهده الأمين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز -حرسه الله- على ما يقدمونه من مساعدات كريمة سخية في نشر العلم للطلاب الوافدين، ثم أشكر جميع القائمين على أمور الجامعة الحبيبة - جامعة أم القرى- خصوصًا معالي الأستاذ الدكتور راشد بن راجح الشريف مدير الجامعة سابقا، ومعالي الدكتور سهيل بن حسن قاضي مدير الجامعة حاليا، وسعادة الدكتور علي بن نفيع العلياني عميد كلية الدعوة وأصول الدين سابقا، وسعادة الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي عميد الكلية حاليا، وسعادة الدكتور أحمد بن عطية الزهراني رئيس قسم العقيدة، بما قدموا لي من عون ومساعدة.

وأشكر أستاذي الجليل الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار المحترم حيث إنه تكرم بقبول الإشراف على رسالتي هذه، وأمدني بمعلومات قيمة، وتوجيهات غالية، مما له الأثر الكبير في إخراج الرسالة إلى ما هي الآن، كما أشكر كل من مدّ إليّ يد العون من نصح وإرشاد وإعارة كتاب ونسخ الرسالة ونحو ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام دينا، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وصفاته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسل بالمحجة البيضاء، بشيرا لمن اتبع هداه، ونذيرا لمن خالفه تبعا لهواه، وأصلي وأسلم عليه صلاة وسلاما دائمين وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه رسالة اخترتها للحصول على الماجستر في تخصص العقيدة بعد أن بذلت فكري كثيرا في إختيار موضوع يتناسب مع تخصصي، وأشار أستاذي الدكتور المشرف على الرسالة إلى اختيار سورة تتناول قضايا العقيدة، فتم اختيار سورة "الصافات" للرسالة، وله أسباب:

منأهمها:

أولا : أن هذه السورة الكريمة تتناول أصول الدين الثلاثة - الإلهيات، والنبوات، والسمعيات- وقد ضل كثير من الناس في هذه الأصول، فأردت أن أوضحها من خلال هذه السورة مع الاستعانة بالنصوص الأخرى المبثوثة في الكتاب والسنة.

ثانيا: أن العقيدة الإسلامية يجب أن تؤخذ من الكتاب والسنة نقية خالصة كما أنزلها الله؛ فإنها وحدها تضمن السعادة والفلاح في الدينا والآخرة؛ لما فيها من طمأنة القلوب وتزكية النفوس وتهذيب السلوك وصيانتها من شكوك وأوهام مما يحصل لمن أخذها من غير هذين المصدرين.

ثالثا: أن هذه السورة تفند الكهانة التي هي من أهم ما يتلاعب به الفساق والدجاجلة بعقول الناس ليكسبوا حطام الدنيا، فتأكدت رغبتي في الكلام

عن هذا الموضوع الخطير لكشف ما فيه من الدجل والتلبيس بالباطل تحذيرا للمجتمع المسلم خصوصا عن الوقوع في هذه الفتنة.

كما تشير إلى صناعة التنجيم المأخوذة من عباد النجوم في سياق إبطال عبادة الأصنام من واقع اعتقاد العابدين تعريضا، فظن بعض المشغوفين بأن هذه الصناعة ثابتة في الشرع فدعت الحاجة إلى إبطالها لكونها مخالفة للدين الحنيف.

رابعا: أن أفضل خدمة هي خدمة الكتاب والسنة، والاشتغال بها أفضل قربة عند الله، فرجوت أن يكرمني الله بهذه الخدمة الجليلة، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم فتكون لي ذخرا يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح مقبول.

وكل ذلك شجعني على المضى في كتابة الرسالة فيما تشمله هذه السورة من قضايا العقيدة. وعنونتها بعنوان: (مسائل العقيدة في سورة الصافات)

وسرت في كتابتها كما يلي:

أولا: أن العمدة في هذه الرسالة هي النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف الذين هم أعلم بها؛ فإنها تتعلق بقضايا العقيدة التي لا تثبت إلا بمصادرها الأصلية، ومن ثم أذكر هذه النصوص في توضيحها وإبطال ما يخالفها.

ثانيا: أن هذه الدراسة دراسة عقدية، تهتم بعرض ما يتصل بالعقيدة فجاء التركيز بهذا الجانب أكثر، وأما غير هذا الجانب فيكون الكلام عنه مقصورا على قدر الحاجة.

ثالثا: أني ذكرت الآيات المتصلة بالموضوع أولا، ووضحت معاني الكلمات ثانيا، وبدأت في توضيح الموضوع استعانة بالنصوص الأخرى من الكتاب والسنة والأقوال المستمدة منهما ثالثا، وأشبعت الكلام فيه.

رابعا: أني التزمت بإيراد الأحاديث الصحيحة الثابتة عند أهل العلم، ومن ثم اكتفيت بعزوها إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم إن وجدت فيهما، أو إلى أحدهما إن وجدت في أحدهما في غالب الأحيان، فإن الغرض هو توضيح الموضوع بالحديث الصحيح، لا تتبع الطرق والأسانيد.

خامسا: أني ذكرت المعلومات الضرورية عن المراجع عند ذكرها أول مرة، وهي: اسم الكتاب واسم المؤلف، ورقم الجزء إن وجد، ورقم الصفحة، والناشر وسنة النشر إن وجدت.

ثم اكتفيت بذكر المرجع والجزء ورقم الصفحة، وأضفت في مراجع الحديث اسم الكتاب واسم الباب ثم الجزء ثم الصفحة ثم رقم الحديث. هذا منهج السير في الرسالة.

وأما خطتها فقد جاءت كما يلي:

أولا : مقدمة في ذكر سبب اختيار الموضوع ومنهج السير فيه وبيان الخطة.

ثانيا: تمهيد كمدخل للسورة الكريمة في ذكر أهم خصائص وضوابط السورة المكية إجمالا، وذكر مناسبة السورة لما قبلها.

ثالثا: مباحث رئيسية للرسالة، ولها خمسة فصول من خلال السورة:

الفصل الأول في التوحيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في توحيد الألوهية، بينت فيه معنى توحيد الألوهية وما يقتضيه من معنى أشمل وأعم يشمل جميع شئون الحياة، ونبهت على خطأ شائع بين الناس أن الألوهية تقتضي إقامة الشعائر التعبدية فقط، وحققت أن تحقيق هذا التوحيد هو الغاية العظمى لخلق الإنس والجن، ولأجله أرسل الرسل وأنزل الكتب.

المبحث الثاني: في توحيد الربوبية، ذكرت معنى هذا التوحيد وبينت أن تحقيق هذا التوحيد لا يكفي لإيمان أحد؛ فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد ولكن الله عزوجل يذكر الآيات الدالة على تفرده بالربوبية لتكون براهين قاطعة على تفرده بألوهيته، وهذا هو الغرض الأصلي بذكر آيات الربوبية.

المبحث الثالث: في توحيد الأسماء والصفات، وضحت فيه معنى هذا التوحيد، ثم ذكرت العلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد.

الفصل الثاني في الرد على المشركين، فيه تمهيد وثلاثة مباحث:

أما التمهيد: ففي بيان أن الأصل في بني آدم التوحيد، والشرك طارئ، أحدثته عوامل داخلية وخارجية سببت الانحراف عن الأصل.

المبحث الأول: في الرد على عبادة الأصنام بأقوى حجج وأوضح بينات، فقد تحكي قصة إبراهيم عليه السلام في إبطال هذه العبادة الشركة أروع مثال في هذا الصدد.

المبحث الثاني: في الرد على عبادة الملائكة، إن هذا المبحث يتناول أهم قضية تدور عليها السورة، وهي المناقشة الحادة في مزاعم المشركين تجاه الملائكة، وإبطال هذه المزاعم واحدة واحدة في ضوء البراهين القوية في أسلوب الحوار والمناظرة.

المبحث الثالث: في صفات الملائكة، وضحت فيه ما جاءت الإشارة إليه في السورة من صفات الملائكة ووظائفهم بشيء من التفصيل، مع الإشارة إلى ما يهدف ذكر هذه الأوصاف إليه، وهو أنها تدل على كونهم عباد الله المكرمين وتنفي عنهم كونهم أربابا من دون الله.

وتعرضت في هذه المناسبة لبعض من التأويلات الفاسدة المنافية لما ثبت من النصوص، وبينت فساده.

الفصل الثالث في الرسالة، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: يشتمل على توضيح أمور متصلة بالموضوع تكميلا للفائدة.

المبحث الأول: في صفات الرسل عليهم السلام، وهي صفتان بارزتان: الإيمان، والإحسان، وضحت معناهما وبينت أنهما مصدران أساسيان لجميع الصفات الحسنة.

المبحث الثاني: في ذكر تأييد الله عزوجل رسله بالآيات البينات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به، ونصرهم على أعدائهم في خاتمة المطاف.

المبحث الثالث: في رؤيا الأنبياء، ذكرت فيه تعريف الرؤيا وحققت أنها حقيقة، وأن

رؤيا الأنبياء في حكم الوحي، تثبت به أحكام الشرع، وليس حكم رؤيا غيرهم كذلك.

المبحث الرابع: في ذكر أسلوب الرسل عليهم السلام وتوضيح أنه يتمتع بالبساطة والوضوح من الصفات اللازمة للتأثير في النفوس، ويكون خاليا من التكلف والتعقيد الصناعي.

الفصل الرابع في إبطال الكهانة والتنجيم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في إبطال الكهانة، وقد تطرق البحث إلى الكلام عن عدة أمور:

الأمر الأول : في تعريف الكهانة لغة واصطلاحا، وذكر أنواعها.

الأمرالثاني: في إثبات وجود الجن وبيان أنهم مخلوق مستقل يخالف نوعى الإنس والملائكة، والرد على التأويلات المخالفة لذلك،

الأمر الثالث: في إبطال الكهانة، وهذا يشمل بيان عدة أمور:

الأمر الأول: في كيفية استراق المسترقة وكيفية إلقائه إلى وليه الكاهن.

الأمر الثاني: في تحقيق القول في الرمي قبل مبعث النبي الخاتم ﷺ.

الأمر الثالث: في تحقيق القول فيما يستطيع المسترقة استراقها من أخبار السماء، ثم التوصل إلى الهدف، وهو إبطال هذه الصناعة، وتحذير المسلم عنها.

المبحث الثاني: في إبطال التنجيم، تطرق البحث إلى تعريف التنجيم وبيان أن هذه الصناعة حدثت في بادئ ذي بدء عند الصابئين عباد النجوم والكواكب، وأنهم كانوا يعبدونها على أسس عقدية كلها باطلة وخرافية، ومناقشة هذه الأسس الباطلة في ضوء الأدلة القاطعة، ثم بيان أن هذه الصناعة تفسد الدين والدنيا.

ثم ذكر ما هو الصحيح من علوم النجوم، وهو ما يعلم بطريق الحس.

الفصل الخامس في البعث والجزاء وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: يتضمن بيان أهمية الإيمان باليوم الآخر من عدة نواح.

المبحث الأول: في أدلة البعث وكيفيته، وهي كثيرة يمكن حصرها في نوعين رئيسين: أحدهما عينية، وثانيهما اعتبارية، وضحتهما في ضوء النصوص.

المبحث الثاني: في ذكر شبهات المنكرين للبعث، والرد عليها، وبينت أن هذه الشبهات ليست مبنية على دليل صحيح، وإنما هي استبعاد واستغراب وتعجب، وهو ليس دليلا.

المبحث الثالث: في حساب المؤمنين وجزاءهم مما سينالونه من الجنة وأنواع النعيم فيها بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

المبحث الرابع: في حساب المكذبين وعقابهم مما سيلقونه من جهنم، وصنوف العذاب فيها بسبب كفرهم وعنادهم.

--: خاتمة في ذكر أهم ما توصل البحث إليه من النتائج.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

سورة الصافات مكية بالاتفاق[١]، وهناك سور مدنية، فمن الأحسن أن نذكر تعريف المكي والمدني ثم أهم مزايا السور المكية إجمالا، كما هو المطلوب في خطة البحث.

أ - تعريف المكي والمدني:

عند علماء علوم القرآن أقوال في التعريف:

الأول : وهو أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة - عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار، لوحظ فيه زمن النزول.

والثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، وعلى هذا تثبت الواسطة، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني، لوحظ فيه مكان النزول.

والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، لوحظ فيه المخاطب.[٢]

والقول الأول هو الراجح؛ لأنه ضابط حاصر ومطرد لا يختلف؛ ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.[٣]

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي، المسمى بالجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ١٣٨٧هـ.

(٢) أنظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) ١٨٧/١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ، دار إحياء الكتب العربية - مصر. والاتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩٨١ هـ) ٢٦/١-٢٧. تقديم وتعليق: الدكتور مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير - دمشق. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٩٣/١-١٩٤، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٣) أنظر المراجع السابقة بنفس الصفحات.

ب: طرق معرفة المكي والمدني:

إن علماء علوم القرآن ذكروا لمعرفة المكي والمدني طريقين:

الطريق الأول: هو السماع، وهو الأصل والعمدة في الباب، والمراد به هو النقل الصحيح عن الصحابي أو التابعي في تحديد السور والآيات بوقت النزول - على الرأى الراجح في المكي والمدني-، ولم يرد في ذلك عن النبي ﷺ قول. والسبب كما قيل: «لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول ﷺ».[1]

و «ذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا وليس بعد العيان بيان».[2]

الطريق الثاني: هو العقل والقياس، وهو تتبع السور والآيات لمعرفة خصائصها ومزاياها في الأسلوب والموضوع، فقد توصل العلماء إلى ضوابط يمكن بها تمييز السور المدنية من السور المكية في أغلب الأحيان، وهي فيما يلي:

ضوابط السور المكية:

١- كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة.

٢- كل سورة فيها سجدة التلاوة فهي مكية، لا مدنية، سوى سورة الحج.

٣- كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية، سوى سورة البقرة وآل عمران؛ فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفي الرعد خلاف.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى سورة البقرة.

٥- كل سورة فيها "يا أيها الناس" وليس فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مكية،

---

(١) البرهان للإمام الزركشي، ١/١٩١.

(٢) مناهل العرفان، ١/١٩٦.

وهذا الحكم أيضا ليس على إطلاقه، بل على الأغلبية.

٦- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس مكية.

٧- كل سورة من المفصل[١] فهي مكية، وهذا الحكم أيضا على الأغلبية.[٢]

أما ضوابط المدني فكما يلي:

١- كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد في مدنية.

٣- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، ماعدا سورة العنكبوت. والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ماعدا الإحدى عشرة الآيات الأولى منها؛ فإنها مدنية، وهي التي ذكر فيها المنافقون.[٣]

وأما الخصائص فهي ترجع إلى نوعين: الأول أسلوب، والثاني موضوع، وهي في الحقيقة ترجع إلى ما ذكرنا من الضوابط، بيد أنها أكثر دقة منها، ومن هنا نرى بيانها تكثيرا للفائدة.

---

(١) والمفصل على وزان معظم: هو السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة من سورة الحجرات على الأصح، وسميت بذلك لكثرة الفصل فيما بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم من أجل قصر. وقيل: لقلة المنسوخ فيها، فقولها قول فصل، لا نسخ فيها ولا نقض. أنظر: البرهان للزركشي ٢٤٥/١. والاتقان للسيوطي ١٩٩/١. ومناهل العرفان للزرقاني ٣٥٢/١.

(٢) أنظر: البرهان للزركشي ١/ ... والاتقان للسيوطي ٥٢/١-٥٣. ومناهل العرفان للزرقاني ١٩٦/١-١٩٧.

(٣) أنظر: المراجع السابقة بنفس الصفحات وما بعدها.

أ -: الخصائص من حيث الأسلوب:

أولا: أن السور المكية تمتاز بإيجاز اللفظ وحرارة التعبير والتجانس الصوتي.

الإيجاز: يعني أن تكون الألفاظ قليلة، والمعاني كثيرة.

وحرارة التعبير: أن يكون وقع الكلمات على القلوب والمسامع قويا وشديدا.

والتجانس الصوتي: أن تكون الكلمات متقاربة في المخارج والصفات، فيعطي أداؤها صوتا متجانسا.

ثانيا: كثرة الفواصل القرآنية، وكذلك قصرها وتجددها بما يتناسب مع الصور والمواقف المعروضة في كل سورة من السور.

ثالثا: كثرة القسم والتشبيه والأمثال إذا ما عورضت بالآيات المدنية، وكذلك تكرار بعض الجمل والكلمات، وأسلوب التأكيد بصفة عامة.

رابعا: الآيات المكية غنية بالتخييل الحسي والتجسيم، وخلع الحركة والحياة، والحوار على الأشياء، وبخاصة حين يتحدث عن يوم القيامة وأحداثه وما يتبعه من حوار بين أصحاب الجنة وأصحاب السعير.[1]

هذه الخصائص يجدها القارئ في جميع السور والآيات المكية، ولا تخلو منها إلا نادرا جدا، فمثلا نأخذ سورة الصافات التي نحن بصدد دراستها عقديا، فهي تتميز بقصر الآيات وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصوتي، وبكثرة الفواصل القرآنية، وبالقسم والتشبيه والأمثال، وبالتخييل الحسي وخلع الحركة، والحوار حينما تتحدث عن يوم القيامة وأحداثه وما يتبعه من بين أصحاب الجنة وأصحاب السعير، كما سيأتي كله في موضعه.

ونأخذ مثلا الجزء الثلاثين -جزء عم - وأكثر سور هذا الجزء مكية، فنجدها تتميز بكل ما ذكرنا من الخصائص من الناحية البيانية.

---

(١) أنظر: علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، للدكتور عدنان محمد زرزور، ص:١٤٤١٤٣، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

ب -: الخصائص من حيث الموضوع:

ونذكر منها ما يكثر فيما يلي:

الأول : هو الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، وذكر الملائكة ووظائفهم، وإثبات القضاء والقدر من جميع أركان الإيمان، والحملة الشعواء على الشرك والوثنية بالحجج الدامغة، والرد على شبهات المشركين بأبلغ البراهين الحسية والعقلية، كما سوف نرى في المباحث القادمة إثبات العقائد المذكورة والرد على المنكرين بالدلائل القطعية المبثوثة في الآفاق والأنفس.

الثاني: الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والعادات الحسنة التي لابد منها لقيام المجتمع الصالح من العدل والإحسان والإيثار واحترام حقوق الآخرين، وتبادل المنافع على أساس المحبة والأخوة، والدعوة إلى نبذ الأخلاق السيئة والعادات الخبيثة من الظلم والعدوان على الآخرين، وأكل أموال اليتامى، ووأد البنات، والتفاخر بالحسب والنسب بغيا وعدوانا.

الثالث: ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرا وموعظة للمنكرين المعاندين حتى يعتبروا بمصير أهل الكفر والطغيان من هلاكهم وخسرانهم في الدنيا والآخرة، وبعاقبة أهل التوحيد والإيمان من انتصارهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، وتسلية للرسول ﷺ وتثبيتا لفؤاده في الشدائد والمكاره ليستمر في دعوته مع العزم والقوة ولا يبالي في طريقه بأي تهديد مهما كان نوعه.

الرابع: ذكر النشأة الأولى للإنسان وعن آدم وحواء وعن مراحل خلق الإنسان وعن غرائزه وصفاته النفسية، إلى جانب ذكر الأحياء الأخرى من نبات وحيوان.[1]

---

(١) أنظر: هذه الخصائص في مناهل العرفان للزرقاني: ٢٠٢/١-٢٠٣، ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية: ١٩٧٤م، دار العلم للملايين، بيروت. وعلوم القرآن، للدكتور عدنان محمد زرزور (١٤١). وأنظر أيضا: المدخل لدراسة القرآن للدكتور محمد محمد، أبو شهبة، ٢٢٨-٢٢٩، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، دار اللواء، الرياض.

وهذه الخصائص والميزات من ناحية الأسلوب والموضوع نابعة من طبيعة المرحلة المكية، فكان في مكة قوم طغاة معاندون يضطهدون رسول الله والمؤمنين، فناسب أن ينزل على الرسول في مكة مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[٣] وهكذا في مكة ناسب نزول الآيات التي تقرع المشركين وتشتد في تسفيه أحلامهم وتسلي الرسول والمؤمنين، وتعلمهم السماحة والصفح الجميل.[٤]

فلكل مقام مقال يناسبه ليتحقق الهدف المنشود والغاية المرجوة، وإلا سيكون الكلام لغوا عاطلا غير مؤثر في النفوس، ومثل هذا الكلام لا يكون من كلام الفصحاء والبلغاء فكيف يكون من كلام رب العالمين الذي هو معجز بكل الصفات والمقاييس حتى اعترف بإعجازه الأعداء قبل الأصدقاء، وهم أفصح العرب.

أما خصائص السور والآيات المدنية فهي فيما يلي بالإيجاز:

أولا : من ناحية الأسلوب:

١- الخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا".

٢- طول أكثر سوره وبعض آياته وإطنابها وأسلوبها التشريعي الهادئ.

٣- تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينية.[٥]

فهذا الأسلوب نابع أيضا من اختلاف الموضوعات التي تضمنتها هذه السور المدنية مع رعاية المخاطبين فيها.

---

(١) الأنعام : ٣٣.

(٢) الأنعام: ٣٤.

(٣) الحجر: ١٤-١٥.

(٤) مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، ١٨٤.

(٥) أنظر: مناهل العرفان للزرقاني، ٢٠٤/١. ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، ١٨٤. والمدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٢٣٢. وعلوم القرآن للدكتور عدنان، ص ١٤٤.

ثانيا : من ناحية الموضوع:

١- التحدث عن دقائق التشريع وتفاصيل الأحكام وأنواع القوانين المدنية والجنائية والحربية والاجتماعية والدولية والحقوق الشخصية وسائر ضروب العبادات والمعاملات.

٢- دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة المبتدعة من التثليث والحلول والأبنية ونحو ذلك، ودعوتهم إلى عدم الغلو في الدين.

٣- بيان ضلال المنافقين وإظهار فضائحهم والكشف عن خبيئة نفوسهم ضد الرسلام والمسلمين.[١]

٤- الأمر بالجهاد وذكر فضله وأجر من قام به ومن استشهد فيه.

هذه الخصائص الأسلوبية والموضوعية واضحة كل الوضوح لكل من يتدبر في السور والآيات المدنية، وهي جاءت رعاية لمقتضى الحال على أتم وجه، فإن القرآن الكريم هو القمة في الفصاحة والبلاغة والإعجاز.

زمان نزول السورة وطبيعة فترة النزول:

لقد سبق أن هذه السورة - سورة الصافات-مكية بالإتفاق، أى: نزلت قبل الهجرة، وهي نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان، وهي السادسة والخمسون في ترتيب النزول،[٢] والسابعة والثلاثون في ترتيب المصحف العثماني، وهي مائة وإحدى وثمانون آية عندالبصريين،ومائة واثنتان وثمانون آية عندغيرهم.[٣] وكلماتها ثمان مائة وستون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وثمان مائة وستة وعشرون حرفا.[٤]

---

(١) تنظر نفس المراجع السابقة وما شاكلها.

(٢) انظر: البرهان لزركشي ١٩٣/١. والاتقان للسيوطي ٨١/١.

(٣) روح المعاني للإمام محمود الآلوسي البغدادي ٦٤/٢٣، ط: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، المشهور بتفسير الخازن، للإمام علاء الدين ، الشهير بالخازن (٧٢٥هـ) وبهامشه تفسير البغوي، المعروف بمعالم التنزيل، ١٧/٦، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

لايمكن الجزم بتحديد الزمن من السنة والشهر لنزول أي سورة أو آية إلا عن طريق النقل الصحيح الثابت عن الصحابة الذي شاهدوا التنزيل أو التابعين الذين عاصروا الصحابة. ونزول سورة الصافات مما لم ينقل تحديد زمنه عن السلف الصالح، ولكن اتفقوا على أن هذه السورة من المرحلة الملكية الأخيرة.

يقول بعض الباحثين:[١] «فمن السور التي اتفق المؤرخون والمفسرون على أنها من أوائل الوحي، أو أنها بعبارتنا الحديثة من المرحلة المكية الأولى: العلق، والمدثر، والتكوير، والأعلى، والليل، والشرح، والعاديات، والتكاثر، والنجم.

ومن المرحلة المتوسطة في مكة: عبس، والتين، والقارعة، والقيامة، والمرسلات، والبلد، والحجر.

ومن المرحلة الختامية في مكة: الصافات، والزخرف، والدخان، والذاريات، والكهف، وابراهيم، والسجدة».[٢]

هذا يفيد أن فترة نزول هذه السورة كانت فترة حرجة بالنسبة للرسول ﷺ ودعوته؛ فإن دعوته قد تحولت من الإخفاء إلى الإظهار علنا، وأصبح المخالفون له ولدعوته أكثر عداوة واشتدادا، وتكالبوا للقضاء على الدعوة وصاحبها بكل مااستطاعوا من إمكانيات ووسائل، فكانوا يضطهدون الرسول ﷺ والذين آمنوا معه، ويؤذونهم بأشد أنواع العذاب دفاعا عن باطلهم وقضاء على الدعوة الجديدة.

وفي هذه الظروف الصعبة نزلت هذه السورة، تقرر توحيد الألوهية لله سبحانه بناء على توحيد ربوبيته الذي كانوا يعترفون به هم أيضا، وتسهب في تفنيد الشرك وأنواعه، وتقف طويلا في إبطال النوع الخاص من الشرك، وهو شرك عبادة الملائكة وما يتعلق به من أنواع الخرافات والأباطيل، وتقرر العقائد الأخرى، وكلها في ضوء الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، كما سوف نراه في مباحث قادمة من هذه الرسالة بإذن الله عزوجل.

---

(١) هو الدكتور صبحي الصالح.

(٢) مباحث في علوم القرآن، ١٨٥.

مناسبة هذه السورة لما قبلها:

لقد اعتنى المفسرون ببيان المناسبات بين الآيات، وكذلك بين السور اعتقادا منهم بأن هذا الترتيب مبني على الحكمة، كما قال الإمام السيوطي[١] مؤيدا الرأى القائل: «وفصل الخطاب أنها - أى الآيات والسور- على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا».[٢] يعني: أن القرآن نزل حسب الأحداث والوقائع، ولكن رتبت آياته، وكذلك سوره حسب الحكم والأسرار البيانية والبلاغية، فنجد بينها التناسق والترابط، متصل الأجزاء، يوضح بعضها بعضا.

وانطلاقا من هذا قيل: ومناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلقت إرادته بشىء كان ذكر تعالى وحدانيته، إذ لايتم ما تعلقت به الإرادة وجودا وعدما إلا يكون المريد واحدا. وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْكَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٣].[٤]

وقيل: ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة التي أشير إليها إجمالا في السورة السابقة في قوله تعالى: ﴿ أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَايَرْجِعُونَ﴾[٥]

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، (٨٤٩-٩١١هـ) إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، ويلقب بابن الكتب؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته، وهي بين الكتب. انظر: الأعلام، للزركلي، ٣٠١/٣ ومابعدها.

(٢) الإتقان: ٩٧٧/٢.

(٣) الأنبياء: ٢٢.

(٤) تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطة، (٦٥٤-٧٥٤هـ) ٣٥١/٧، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت. وانظر: روح المعاني، ٦٤/٢٣.

(٥) يس: ٣١.

٢- إن فيها تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة مما أشير إليه إجمالا في السورة قبلها.

٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذلك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم، وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك، وهو وحدانيته؛ إذ لا يتم ما علقت به الإرادة إيجادا وإعداما إلا إذا كان المريد واحدا، كما يشير إلى ذلك قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]. [2]

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) تفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، ٢٣/٤١، الطبعة الثانية: ١٣٧٣-١٩٥٣م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

كلمة موجزة عن سورة الصافات:

سورة الصافات من السور المكية التي تهدف إلى تثبيت دعائم الإيمان وأركانه من التوحيد والبعث والجزاء والوحي والرسالة التي شيدت عليها عقيدة الإيمان في أصوله الراسخة المتينة، كما تهدف إلى الرد على ما يناقضها من الأباطيل الشركية والأساطير الخرافية، ببراهين واضحة ودلائل قاطعة.

وكل من يتأمل في هذه السورة يظهر له أن الموضوعات الأساسية التي تتحدث عنها ببالغ الاهتمام والعناية تتلخص فيما يلي:-

أ - التوحيد، أى: الإيمان بالله ربا وإلها فهو إله معبود، يستحق أن يصرف إليه جميع أنواع العبادة من الخوف والرجاء والدعاء ونحو ذلك وحده لا شريك له.

ب - الرد على ما يناقضه من الشرك وأنواعه. ويتركز سياق السورة في الرد على نوع خاص من الشرك، كان سائدا في البيئة العربية، وهو زعم القرابة بين الله وبين الجن والملائكة.

ج - إثبات الوحي والرسالة وأهمية الإيمان بهما. وحسن عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة المكذبين.

د - تأكيد أهمية الإيمان بالبعث والجزاء على العمل.

هذه هي المحاور الأساسية التي تدور عليها السورة وتتحدث عنها بكل مايقتضيه المقام من إقامة البرهان والحوار والقصة والترغيب والترهيب ونحو ذلك.

أما الموضوع الأول: فالسورة الكريمة تبدأ بالكلام عنه بالقسم على واحدانية الله سبحانه بطوائف من الملائكة الأطهار، إظهارا لعظم مكانة التوحيد وعظم شأن الملائكة في كونهم عبادا مخلصين مطيعين لأوامر الله بتنفيذ ما وكل إليهم، محققين كامل العبودية لمالك الملك خالق السماوات والأرض، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ﴾ (١-٥).

وفي معرض الحديث عن كمال ربوبيته يأتي الحديث عن الجن واستراقهم للسمع وتعرضهم للرجم بالشهب الثاقبة، ردا على أساطير أهل الجاهلية في اعتقادهم بأن

هناك قرابة بين الله -سبحانه- وبين الجن ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (٦-١٠).

أما الموضوع الثاني: فيتناوله سياق السورة بإسهاب ويناقش مزاعم المشركين مناقشة حادة ويفندها ببراهين قوية.

وفي هذا الصدد يعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، ويكشف عن زيغها وسخفها بوسائل شتى.

تلك هي مزاعم أن الملائكة بنات لله -سبحانه- واصطفاهن الله على البنين، فإذا هم شركاء الله في الألوهية. والآيات من ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٤٩-١٥٨). تناقش هذه الخرافة الشركية.

واعتراف الملائكة الأطهار على أنفسهم بالعبودية الكاملة لمالك الملك في الآيات ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٤-١٦٦)، رد بليغ عليها بلسان الملائكة.

والآيات في ختام السورة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٠-١٨٢) تأكيد لتنزيه الله عزوجل عما يصفه المشركون، كما فيه انسجام تام بين البداية والختام.

أما الموضوع الثالث: فتتحدث عنه السورة بالتفصيل فتستعرض طرفا من قصص الأنبياء والمرسلين، تعرض فيه قصة الهدى والضلال منذ فجر البشرية الأولى، فهاهم أولئك المكذبون الضالون واجهوا رسلهم بمثل ما يواجه به كفار مكة رسول الله ﷺ من العناد والتكذيب، فيكون مصيرهم مثل مصير المكذبين السابقين من الخسران والعذاب الأليم إن استمروا على عنادهم وتكذيبهم وأما إن تابوا إلى الرشد وآمنوا بالرسول وماجاء به فيكون مصيرهم مصير المؤمنين من الفوز والنعيم في الدنيا والآخرة. والآيات من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٧٢-١٤٨) تتحدث عن هذه القصة

-قصة الهدى والضلال ، قصة الإيمان والكفر-.

ويتعمن هذا السياق أروع قصة الاستسلام الكلامل لأمر الله عزوجل، قصة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل عليه السلام ابتغاء لمرضاة ربه، فهذه قصة فريدة لتضحية النفس في سبيل الله في تاريخ البشرية كله.

ثم ينتهي السياق بإعلان وعد الله القاطع وسنته الدائمة، وهو النصر والغلبة والتمكين لأهل الإيمان والتوحيد على أهل الكفر والشرك في نهاية المطاف. ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧١- ١٧٣).

أما الموضوع الرابع: في البعث والجزاء فيبدأ السياق لإثبات البعث بأن يسأل الرسول ﷺ المنكرين لماذا هذا الإنكار؟ أهم أشد خلقا أم هذه الخلائق العظام الملائكة والسماوات والأرض وما بينهما والشياطين والكواكب والشهب مما ذكرته سابقا ؟ فالذي خلق هذه الخلائق العظام قادر على إعادة من هو أضعف منها بطريق أولى فالإنسان خلق من طين.

وهذا سؤال الاستنكار والتعجيب من حالهم العجيب وغفلتهم عما حولهم. وإلى هذه القضية الواضحة إشارة في الآيات من قوله تعالى: ﴿ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم من خلقنا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فإنما هي زجرة و حدة فإذا هم ينظرون﴾ (١١-١٩).

ويعرض السياق ما يؤل الأمر إليهم من دخولهم جهنم والتخاصم فيما بينهم في قعرها فيلقى كل واحد منهم تبعة ضلاله وغواتيه على الآخر، وفي الحقيقة أن كل واحد مسئول عن نفسه فيتعترف في الأخير بتقصيره وعناده الحق.

والآيات من قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٧-٣٩)

وتأكيدا لأهمية قضية البعث والجزاء والحساب يذكر السياق قصة المؤمن والكافر والحوار الذي دار بينهما في الدنيا ثم النتيجة التي آل إليها أمر كل منهما بخلود المؤمن في الجنة وخلود الكافر في النار، فالمؤمن يدخل الجنة ويتنعم بنعيمها الدائم بكثرة أنواعه فالسرور والحبور والفوز والفلاح نصيبه وعاقبته. والكافر يدخل

جهنم ويذوق عذابها الدائم بشتى أصنافه، فالهلاك والخسران والندم والأسى مآله، نعوذ بالله من ذلك.

والآيات من قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَٰمِلُونَ﴾ (٥٠-٦١). تصور هذا المشهد الذي يسر المؤمن ويحزن الكافر.

هذه كلمة إجمالية عن السورة الكريمة وفيما بعد سنأخذ في التفصيل.

الفصل الأول

في التوحيد

الفصل الأول في التوحيد

فيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: في أهمية التوحيد:

إن التوحيد -أي: الإيمان بأن الله تعالى هو وحده الرب المعبود- هو أول دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، فما من نبي أو رسول إلا ركّز دعوته على التوحيد وبذل كل جهده في سبيل نشره وإبلاغه إلى قومه.

يقول تعالى في كتابه المصدق لجميع كتبه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١)

ويقول عزوجل مخاطبا لهذه الأمة المحمدية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٢).

فهذه الآيات ونحوها تؤكد أن محور الرسالات كلها هو التوحيد الذي يدور عليه سائر القضايا الأخرى التي يعرضها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لإصلاح البشرية عقيدة وسلوكا.

والسر أن التوحيد هو فطرة الكون كله بما فيه السماوات والأرض وما بينهما والإنسان، وهو الحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض وتقوم عليه الحياة كلها، فلانجد سورة من سور القرآن الكريم إلا وهي تؤكد عظمة التوحيد وتلح عليها إلحاحاً شديدا بذكر آيات ربوبيته تعالى، المبثوثة في الآفاق والأنفس تدليلا على ألوهيته وحده وهذا هو التوحيد.

نذكر بعض النصوص من الكتاب والسنة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٩٠.

ويقول عزوجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[١].

ويقول عزوجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣].

ونحو ذلك من الآيات البينات التي تؤكد أن فطرة الكائنات هو التوحيد، وإلا ما وجدت بهذا الإتقان المعجز والنظم البديع وما بقيت موجودة بل فسدت كلها وتعطلت منافعها.

وكذلك الإنسان -خليفة الله في الأرض- مفطور على التوحيد وهو أصل في تكوينه.

يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[٥].

ويقول الرسول ﷺ تاكيدا لهذه الحقيقة: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه كما تنتج البهيمة جمعاء -أي تام الخلقة- هل تحسون فيها من جدعاء»[٦] -أى ناقص الخلقة-.

---

(١) الذاريات: ٢٠-٢١.

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٣) المؤمنون: ٩١.

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) الأعراف: ١٧٢.

(٦) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، ٤/٣٣٤، ٢٢٢٣. تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط: ١٤٠٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ويقول ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا».[١]

فهذه النصوص صريحة في أن الأصل في بني آدم هو التوحيد، أى الإيمان بالله ربا وإلها وهو الذي تقتضيه الفطرة السليمة.

كما تؤيد هذه الحقيقة الثابتة الدراسات الحديثة الجادة، فقد توصل العلماء الغربيون بعد دراسة شاملة ودقيقة لأحوال القبائل الموغلة في البداوة والهمجية في أستراليا وأفريقيا وأمريكا إلى أن فكرة الإله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية.[٢]

فيتقرر مما سبق أن دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلى التوحيد هي دعوة إلى ما يقتضيه فطرة الإنسان، ففيه صلاحه وفلاحه مادام باقيا على فطرته السوية.

وأما إذا انحرف عنها بسبب عوامل -سيأتي ذكرها- وخرج عليها أخذ يقع في بؤرة الشرك وخرافاته.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٧، ٢٨٦٥.

(٢) ينظر فيه كتاب "الدين" (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، ص: ١١٢-١١٣، للدكتور محمد عبد الله دراز (عضو جماعة كبار العلماء) وينظر البحث الرابع منه: في نشأة العقيدة الإلهية، فهو فريد في بابه، ط: ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، مطبعة السعادة، مصر.

المبحث الأول في توحيد الألوهية:

الآيات المتعلقة به:

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ (٤).

معاني الكلمات:

"الواو" للقسم، المقصود به تاكيد المقسم عليه وتحقيقه، والمقسم عليه هنا هو التوحيد.

يقول الإمام ابن القيم رحمه[١]: «ولابد أن يكون -المقسم عليه- مما يحسن فيه ذلك، أى القسم كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها، ولا يقسم عليها»[٢].

ثم يقول رحمه الله: «إنه سبحانه يقسم على أصول الإيمان، التي يجب على الخلق معرفتها، فتارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة على حال الإنسان»[٣]. ولا شك أن القسم هنا على التوحيد.

---

(١) هو العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، الزرعي الدمشقي، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، (٦٩١-٧٥١هـ). وكان أكبر تلامذة الإمام ابن تيمية رحمه الله، فهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وله مؤلفات قيمة في العلوم الإسلامية، أنظر: الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٥٦/٦، خير الدين الزركلي، الطبعة السادسة، أيار (مايو) ١٩٨٦م، دار العلم للملايين -بيروت- لبنان.

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، صححه وعلق عليه: الشيخ طه يوسف شاهين، ط: دار الكاتب العربي.

(٣) المرجع السابق، ص: ٤.

﴿الصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ جمع صافة، أى: طائفة صافة، أو جماعة صافة، فيكون في المعنى جمع الجمع، أو على تانيث مفرده باعتبار أنه ذات ونفس[١]، أى: قائمات في الصف في مقام العبودية لمالك الملك.

﴿الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ أصل الزجر الدفع عن الشىء بتسلط وصياح، ثم استعمل في السوق والحث على الشىء، وفي المنع والنهي، أى: ناهيات عن المعاصي.

﴿التَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ أى: التاليات آيات الله وشرائعه.

وفي تفسير الآيات أقوال: فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفا لعبادة الله. وقيل: هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد، والأول أرجح لقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١٦٥).

فـ ﴿الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة للزجر عن المعاصي.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة تتلوا القرآن والذكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم.[٢]

---

(١) أنظر: مجمع البيان، للشيخ أبو علي، الفضل بن الحسني الطبرسي، ٤٦/٢٣، ط: ١٣٨٠هـ، دار مكتبة الحياة - بيروت. روح المعاني، للإمام الآلوسي، ٩٤/٢٣، ط: ١٣٩٨هـ، دار الفكر - بيروت. ومحاسن التأويل، المعروف بتفسير القاسمي، ٩٣/١٤، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ، رقم أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، للإمام محمد بن أحمد جزي الكلبي، ٣٦٦/٣، دار الفكر. وأنظر: الأقوال والآراء بالتفصيل في تفسير مفاتيح الغيب، المشهور بالتفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، (٥٤٤ - ٦٠٤هـ) ١١٥/٢٦-١١٧، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية -طهران.

وأرجح الأقوال هو أن المراد بهذه الكلمات الملائكة الأبرار عليهم السلام عند جمهور المفسرين.[١]

وتؤيده عدة أمور:

الأمر الأول : هو قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١٦٥) فإن المراد هنا الملائكة الأبرار قطعا.

الأمر الثاني : إنه مروي عن أكثر السلف.[٢]

الأمر الثالث: إن إرادة الملائكة بهذه الكلمات تحقق معنى براعة الاستهلال «وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى

---

(١) أنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، للإمام أبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ) ٣٤/٢٣، الطبعة الثالثة: ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، شركة ومكتبة الحلبي وأولاده بمصر.

- وتفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ) ٥/٤، كتب هوامشه وضبه حسين إبراهيم زهراني، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٨هـ.
- تفسير الدر المنثور في التفسير الماثور، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) ٧٨/٧، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، دار الفكر - بيروت - لبنان.
- وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الفضل، محمود الآلوسي، (ت: ١٢٧٠هـ) ٦٥/٢٣.
- فتح القدير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت: ١٢٥٠هـ) ٣٨٦/٤، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٣هـ= ١٩٦٤م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- وتفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، ٤٢/٢٣، الطبعة الرابعة: ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- التفسير الحديث، للدكتور محمد عزة دروزة، ٢٤٨/٤، طبعة: ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- وفي ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب، ٢٩٨٢/٢٣، الطبعة السابعة عشر: ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، دار الشروق - القاهرة وبيروت.

(٢) أنظر: التفسير، للطبري، ٣٣/٢٣-٣٤، وتفسير ابن كثير ٥/٤، وفتح القدير للشوكاني، ٣٨٦/٤. والدر المنثور، للسيوطي، ٧٨/٧.

ما سبق الكلام لأجله»[١].

وسيأتي أن الموضوع البارز لهذه السورة هو إبطال مزاعم وأوهام المشركين في عبادة الملائكة.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٢٤) هذا جواب القسم، أى: المقسم عليه.

كلمة "إله" مشتقة إما من ألهَ يألُهُ إلاهة وألوهة وألوهية، مثل: عبد يعبد زنة ومعنى، فالإلاه هو المعبود الحقيقي، وهو الله سبحانه.

وإما مشتقة من ألِهَ يألَهُ إذا تحير، وسمى الله بذلك؛ لأن العقول تتحير في إدراك كمال عظمته وكنه جلال عظمته.

وإما مشتقة من ألِهَ يألهُ إذا سكن، وإنما سمي بذلك؛ لأنه يسكن إليه القلوب والعقول.

وإما مشتقة من أله إلى فلان إذا فزع إليه ولاذ به؛ لأن الله يفزع إليه في المهمات.

وإما مشتقة من أله يأله بمعنى أجاره وآمنه؛ فإن الله هو يجير وينجي من المهلكات.[٢] وهناك آراء أخرى عن اشتقاق هذه الكلمة لا يخرج مفادها عما سبق، ولكن الشائع في الاشتقاق هو ما ذكرناه.[٣]

فالإله بكل ما في الكلمة من المعاني هو الله عزوجل وحده الذي هو رب العالمين أجمعين، وسيأتي تقرير تفرده سبحانه بالألوهية في ضوء النصوص.

---

(١) الاتقان، للسيوطي، ٢/ ١٧٠.

(٢) أنظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص: ٢١. ولسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٤٦٨ - ٤٦٩، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، دار صادر - بيروت. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ٢/ ١٣، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة، ١٣٨٥هـ.

(٣) أنظر: هذه الآراء في المراجع السابقة وغيرها من كتب المعاجم.

تحقيق كلمة "واحد":

"الواحد" في الحقيقة هو الشيء الذي لاجزء له ألبتة، ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به، فيقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحد، فالواحد لفظ مشترك يستعمل على ستة أوجه:

الأول : ما كان واحدا في الجنس أو النوع، كقولنا: الإنسان والفرس واحد في الجنس، وزيد وعمرو واحد في النوع.

الثاني: ماكان واحدا بالاتصال، إما من حيث الخلقة، كقولك شخص واحد، وإما من حيث الصناعة، كقولك حرفة واحدة.

الثالث: ما كان واحدا لعدم نظيره، إما في الخلقة، كقولك: الشمس واحدة، وإما في دعوى الفضيلة، كقولك: فلان واحد دهره، وكقولك: نسيج وحده.

الرابع: ما كان واحدا لامتناع التجزئ فيه، إما لصغره، كالهباء، وإما لصلابته، كالألماس.

الخامس: لمبدأ، إما لمبدأ العدد، كقولك: واحد إثنان، وإما لمبدأ الخط، كقولك: النقطة الواحدة.

السادس: والوحدة في كلها عارضة، وإذا وصف الله بالواحد فمعناه: هو الذي لايصح عليه التجزئ ولا التكثير، ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.(١)

والوحد: المفرد، يوصف به غير الله تعالى، كقول الشاعر: «"على مستأنس وحد". وأحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى».(٢)

يقول الإمام ابن أثير الجزري(٣): «في أسماء الله "الواحد"، هو الفرد الذي لم يزل

---

(١) الزمر: ٤٥.

(٢) المفردات للراغب، ص: ٥١٤-٥١٥.

(٣) هو: الإمام مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، (٥٤٤-٦٠٦هـ)، المحدث، اللغوي، الأصولي، وله كتب كثيرة، من أشهرها: النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول في أحاديث الرسول. قيل: إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه وإملاء علي طلبته. انظر: الأعلام للزركلي: ٥/٢٧٢.

وحده ولم يكن معه آخر».

قال الأزهري[١]: «الفرق بين الواحد والأحد: أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول: ماجاءني أحد، والواحد: اسم بني لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول: جاءني أحد. فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى.

وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزء ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولامثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالى.[٢]

توضيح ما يتعلق بهذه الآيات:

يقسم الله سبحانه بالملائكة الذين يتمون صفوفهم في مقام العبودية، ويردعون الناس عن الشر بالإلهام، ويتلون آيات الله على أنبيائه -إن معبودكم الذي يجب إخلاص العبادة له لواحد لا ثاني له، ولا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ فإنه متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن كل شائبة من شوائب النقص، فلا جرم أنه يستحق أن يعبد وحده، ويصرف إليه وحده جميع الشعائر التعبدية من الصلاة والزكاة والصوم والحج والدعاء والاستعانة والاستغاثة والإنابة والتوكل والخوف والرجاء والنذر ونحوها. والرجوع إليه في كل ما أمر به ونهى عنه في جميع شئون الحياة؛ إذ به تتحقق العبودية لله سبحانه وحده التي أرسل الرسل لأجلها، وأنزل الكتب لأجلها.

فإن تحقيق العبودية لله وحده هو غاية خلق الإنس والجن، وهو رسالتهم في الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٣].

---

(١) هو: أبو منصور، محمد بن أحمد بن أزهر الهروي، اللغوي الشهير، (٢٨٢-٣٧٠هـ) صاحب معجم "تهذيب اللغة"، أحد الأئمة في اللغة والأدب، انظر: الأعلام للزركلي: ٣١١/٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٥٩/٥، تحقيق: محمد محمود الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، الطبعة الأولى: ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م. وهذا لا يعني إنكار الصفات، بل إنما يدل على نفي مشابهة صفات الخالق بصفات الخلق.

(٣) الذاريات: ٥٦-٥٨.

توضيح معنى الألوهية:

قد أشرنا آنفا إلى أن الألوهية لله سبحانه تقتضي طاعته المطلقة في جميع ما أمر به من الطاعات، سواء كان من الشعائر التعبدية، أو من غيرها مما يتعلق بشئون الحياة، وبدونها لا تتحق العبادة المطلوبة التي خلق الإنس والجن من أجل تحقيقها، وأرسل الرسل وأنزل الكتب للدعوة إليها؛ فإن العبادة المطلوبة في الشرع هي عبارة عن جميع ما أمر الله به وأحبه ورضيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١] ردا على السؤال عن معنى العبادة: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد مع الكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة»[٢].

فالعبادة تشمل الفرائض والنوافل من الأعمال التعبدية، وكذلك تشمل الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة،ولايخرج واحد منها من دائرة العبادة حينما يمارسه الإنسان انطلاقا من الشعور الصحيح بالعبادة، وهو إمتثال ما أمر الله به ظاهرا وباطنا.

---

(١) هو: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، (٦٦١-٧٢٨هـ)، قد كان رحمه الله إماما في العلوم الشرعية وحجة فيها، وقد نذر حياته كلها في نشر علوم الكتاب والسنة، وقمع البدعة، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. انظر: الأعلام للزركلي: ١/١٤٤.

(٢) رسالة العبودية، ص: ٣٨، الطبعة السادسة: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م، تقديم: الشيخ عبد الرحمن الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

ولا يجد متأمل في النصوص الشرعية أي تفريق بين الأوامر التي تتعلق بإقامة الشعائر التعبدية والأوامر التي تتعلق بأداء الأمور الأخرى في كون كل منهما نابعا من مقتضى الألوهية.

وقوله تعالى آمرا رسوله محمدا ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.[1] من أوضح البراهين على شمول معنى العبادة؛ فالعبادة تشمل جميع نواحي الحياة، سواء تتعلق بالأمور التعبدية، أو تتعلق بغيرها من الأمور الدنيوية من السياسة والاقتصاد والاجتماع، ونحو ذلك.

«وهذا هو الموافق لما تعطيه الآية الكريمة من معنى كبير: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] فأين هي العبادة التي جعلها الله غاية لخلقهم إذا حصرنا معنى العبادة في تلك الشعائر التي لا تستغرق إلا دقائق معدودات من يوم الإنسان وليلته، أما جل الوقت ففي معترك الحياة»[3].

كون الحاكمية لله وحده من خصائص ألوهيته:

يزعم كثير من الشباب المسلم الذين تأثروا بالثقافة الغربية والشرقية الملحدة بسبب الغزو الفكري المكثف من عند أعداء الإسلام أن العبادة محصورة في الشعائر التعبدية، ولا علاقة لها بالسياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، ويرددون هذه العبارات في كتاباتهم ومقالاتهم ومحاضراتهم، إيمانا منهم بأن تلك الأمور تتم وتسير حسب ما تهدي إليه عقولهم وأهواؤهم.

وهذا يعنى أن الإنسان له حق التحريم والتحليل، ووضع القوانين والأنظمة في غير الأمور التعبدية.

---

(١) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) العبادة في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ٦٤، الطبعة الرابعة: ١٣٩٥هـ =١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ومن هنا نرى أكثر الدول المشهورة بالدول الإسلامية أنها تحكم في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك على غير هدي من الكتاب والسنة.

وما من شك أن هذا انحراف خطير أصاب الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بعد غياب الخلافة الإسلامية عن ساحة الوجود، وهو يؤدي إلى التدخل في بعض خصائص الألوهية، وهو الحاكمية لله وحده.

إن النصوص متضافرة مستفيضة في الدلالة على هذا المعنى:

منها قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[١]

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٣].

فهذه النصوص ونحوها تؤكد تأكيدا جازما أن التشريع من خصائص الألوهية لله، وليس لأحد من خلقه أن ينازعه فيه، بل عليه أن يتلقى جميع القوانين مما جاء به الإسلام الذي اختاره دينا للياس أجمعين، والذي ينازع فيه يسمى طاغوتا بلسان الشرع، وأما الذي يتحاكم إليه فهو قد اتخذ أربابا من دون الله.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٤]

الطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أومطاع في غيرطاعة الله ورسوله فهوطاغوت، والطواغيت كثيرة، ورؤوسها خمسة:

١- الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله.

٢- الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى.

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) الأنعام: ١١٤.

(٤) النساء: ٦٠.

٣- الذي يحكم بغير ما أنزل الله.

٤- الذي يدعي علم الغيب من دون الله.

٥- الذي يعبد من دون الله.[١]

ويقول تعالى حكاية عن اتخاذ اليهود والنصارى أربابا من دون الله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢]

فقد فسر النبي ﷺ هذه الآية بأنهم -اليهود والنصاري- اتبعوا ما قال أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله، وهو عبادتهم إياهم.

روي أن عدي بن حاتم رضي الله عنه[٣] قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن[٤] وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا

---

(١) مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول: العقائد الإسلامية، ص ٣٧٧-٣٧٨، جامعة الإمام محمدبن سعودالإسلامية، الرياض. وانظر: المصطلحات الأربعة للشيخ أبي الأعلى المودود، ص: ١٠٧، دار التراث العربي للطباعة والنشر.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرة بن امرئ القيس بن عدي الطائي، صحابي، أسلم في سنة تسع، وقيل: عشر. وكان نصرانيا قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، توفى: سنة ثمان وستين، وهو ابن مائة وعشرين. أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ٤/٢٢٨-٢٢٩، القسم الأول، حرف العين، دار الكتب العلمية، بيروت، أعد فهارسه محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

(٤) الوثن: كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي، والصنم: الصورة بلا جثة، وقيل: هما سواء، وقد يطلق الوثن على غير الصورة، كما في هذا الحديث. تحفة الأحوذي، للشيخ المباركفوري ٨/٤٩٢، ضبطه وراجعه عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثالثة: ١٣٨٧هـ، المكتبة السلفية، المدينة والمنورة.

يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه »[١]

أي: ما عبدوا أحبارهم ورهبانهم في الشعائر التعبدية لكنهم حكموهم في تحريم الأمور وتحليها مع أنه أيضا لا يرد إلا إلى الله عزوجل وحده، فالذي رد شيئا في تحريم الأمور وتحليها إلى غير الله فقد اتخذ أربابا سواه.

ونسوق في هذه المناسبة آيات أخرى صريحة الدلالة على المطلوب:

يقول تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤]

ويقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥] ونحو ذلك.

فهذه الآيات ونحوها تؤكد أن جميع النظم والقوانين والمذاهب التي أسست على غير الدين الرباني هي منافية لتوحيد الألوهية؛ فإنها تعني حكم البشر على البشر، وتعطي حق التشريع له، وهذا ليس إلا لله عزوجل وحده.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب التفسير، ٨/٤٩٢-٤٩٤، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال صاحب تحفة الأحوذي: «أخرجه أحمد، وابن جرير، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في سننه»، ٨/٤٩٤.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) المائدة: ٤٧.

(٥) النساء: ٦٥.

المبحث الثاني في توحيد الربوبية

الآيات المتعلقة بهذه القضية:

﴿ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾(١٠).

معاني الكلمات:

"الرب" يقول الإمام راغب الأصفهاني[١]: الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال: ربه ورباه وربيه.

وقيل: لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن، يعني: لأن يملكني، فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال: الرب مطلقا إلا لله سبحانه المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[٢] وعلى هذا قال: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾[٣] أي: آلهة.

وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو "رَبُّ الْعَالَمِينَ" [٤] و ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[٥] ويقال: رب الدار، ورب الفرس لصاحبهما، وعلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) هو: الحسين محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، (ت: ٥٠٢هـ) أديب، من الحكماء العلماء، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، ومن أشهر كتبه: المفردات في غريب القرآن، الذريعة إلى مكارم الشريعة. انظر: الأعلام ٢/٢٥٥.

(٢) سبأ: ١٥.

(٣) آل عمران: ٨٠.

(٤) وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة، انظر: معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص: ٣٦٢-٣٦٤، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الحديث القاهرة.

(٥) الشعراء: ٢٦.

﴿أُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾[٣] قيل: عنى الله تعالى، وقيل: عنى به الملك الذي رباه، والأول أليق بقوله.[٤]

يقول الإمام ابن الأثير الجزري: "الرب" يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا.

ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٥]: «لا يقل المملوك لسيده: ربي[٦]، كره أن يجعل مالكه ربا له، لمشاركة الله في الربوبية.

فأما قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فإنه خاطبه على المتعارف عندهم وعلى ماكانوا يسمونهم به.

فأما الحديث في ضالة الإبل حتى يلقاهاربها[٧]، فإن البهائم غيرمتعبدة ولامخاطبة،

---

(١) يوسف: ٤٢.

(٢) يوسف: ٥٠.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص: ١٨٤. وانظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣/٢٩-٣٠.

(٥) هو: أبوهريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف، من قبيلة دوس، واختلف في اسمه على نحو ثلاثين قولا، والأرجح فيها هو عبد الرحمن، صحابي مشهور، أكثر الصحابة حديثا وأحفظهم، أسلم سنة: سبع من الهجرة بين الحديبية وخيبر، توفى سنة: تسع وخمسين. انظر: الإصابة: ٧/١٩٩ ومابعدها، القسم الأول، حرف الهاء.

(٦) مسلم، كتاب الألفاظ، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد، ولفظ الحديث: «ولايقل العبد: ربي ولكن ليقل: سيدي: ٤/١٧٢٤، ٢٢٤٩، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: ١٤٠٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
وبنحوه روى الإمام البخاري في صحيحه، انظر: كتاب العتق- باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي، وأمتي: ٢/٩٠١، ٢٤١٤، تحقيق وترقيم: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى: ١/١٤هـ، دار القلم، دار الإمام البخاري، دمشق.

(٧) هو لفظ من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتسليم إذا رأى ما يكره: ١/٤٧، ٩١. ومسلم، كتاب اللقطة، ٣/١٣٤٩، ٥-٦.

فهي بمنزلة الأموال التي يجوز إضافة مالكيها إليها وجعلهم أربابا لها.[١]

علم مما سبق أن إطلاق كلمة "الرب" على الله عزوجل هو إطلاق حقيقي؛ لأن المعاني المذكورة لاتنطبق إلا على ذاته العلية وحده، كما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله.

﴿ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ﴾

هو مثل قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَٰلَمِينَ﴾ أى: أن الله عزوجل رب جميع ماسواه من الكائنات العلوية والسفلية ومابينهما من الموجودات والمخلوقات من الملائكة والجن والإنس، والحيوانات من الطيور والدواب، والشمس والقمر والنحوم والبحار والأشجار وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، فالكل مخلوق مربوب محتاج إلى ربوبية الله سبحانه في وجوده وبقائه.

إن هذه الآية الكريمة سيقت للتدليل على تفرد الله سبحانه بالألوهية، فمادام أن الله سبحانه هو وحده رب الكائنات كلها، وليس له أي شريك في ربوبيته فيلزم بداهة أن يكون هو وحده معبودا، يصرف إليه جميع أنواع العبادة من الخوف والرجاء والاستعانة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مما تقدم، والقرآن الكريم يستدل على وحدانية الله في الألوهية بوحدانيته في الربوبية في جميع المواضع، فإن كون الله عزوجل ربا للعالمين هو أمر اتفقت البشرية كلها في جميع عصورها على الاعتراف به بفطرتها، كما سنذكر النصوص الدالة على ذلك.

﴿ إنا زينا السمآء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطن مارد﴾ إلى ﴿دحورا ولهم عذاب واصب﴾

"السماء الدنيا": هي السماء القربى، «وخص هذه السماء بالذكر؛ لأنها هي التي تشاهد بالأبصار، وفيها وحدها يكون الحفظ من الشيطان»[٢].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٩/٢.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: ٣٥٢/٧، بهامشه تفسير من البحر من المفسر نفسه، والدر اللقيط لتاج الدين، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت.

"الكواكب": جمع كوكب، المراد بها الأجرام السماوية التي تلمع في الليل، عدا الشمس والقمر، وتسمى بالنجوم.[١]

"بزينة الكواكب": إما بالإضافة وإما بالبدل، وكلاهما بمعنى واحد.

في خلق الكواكب في السماء الدنيا حكم ثلاث: الزينة، الرجوم للشياطين -كما تفيدهما هذه الآية، والنور للإهتداء به- كما تفيده آية: ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمت البر والبحر﴾[٢]

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾

"الشيطان": واحد، والجمع الشياطين، مأخوذ من شطن إذا بعد عن الخير، وسمى الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان.

وقيل: مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك، فالنون زائدة، والأول أرجح؛ لأن العرب تقول: تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشياطين، فهذا بين أنه تفعيل من شطن، ولوكان من شاط لقالوا تشيط، ولقول أمية بن أبي الصلت[٣]:

أيما شاطن عصاه عكاه ورماه في السجن والأغلال.

فهذا شاطن من شطن لاشك فيه.[٤]

"مارد": متمرد خارج الطاقة.

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور التونسي، ٨٧/٢٣، الدر التونسية للنشر، ١٩٨٤م، تونس.

(٢) الأنعام: ٩٧.

(٣) هو: أمية بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، كان يلبس المسوح تعبدا، وقد حرم الخمر على نفسه، ونبذ عبادة الأوثان في الجاهلية، وقد أتى على النبي ﷺ بمكة وسمع منه آيات وعرف صدقه، ولكنه امتنع عن قبول الإسلام لما علم بمقتل ابني خال له في غزوة بدر، ومات سنة ٥ من الهجرة في الطائف. انظر: أعلام ٢٣/٢.

(٤) انظر: المفردات للأصفهاني، ص:٢٦١، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩٠/١، الطبعة الثالثة: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، دار القلم، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، ٣٢٠/٣.

المعنى:

أى جعلنا الكواكب حفظا من كل شيطان يحاول استراق ما يدور في الملأ الأعلى، وهم الملائكة.

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

"لا يسمعون": قرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله: يتسمعون، والضمير لكل شيطان؛ لأنه في معنى الشياطين، والجملة مستأنفة لبيان ما عليه حال المسترقة للسمع من أنهم لايقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة.[١]

أو هي علة للحفظ، أى: لئلا يسمعوا، فحذفت "اللام"، ثم "أن" وأهدر عملها، ويمكن حمل الآية على كلا المعنيين.[٢]

﴿ دحورا ولهم عذاب واصب﴾

أى: طردا، مصدر ليقذفون، ولهم عذاب شديد غير منقطع، أى: في الدنيا مرجومون بالشهب، وفي الآخرة معذبون بعذاب شديد دائم.

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

أى: لايسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة، أى: اختلس الكلمة فلحقته شعلة نارية ملتهبة تنقض من السماء، ثاقب: أى مضئ كأنه يثقب الجو بضوئه.

توضيح ما يتعلق به آيات الربوبية:

لما أقسم الله سبحانه على توحده بالألوهية ببعض مخلوقاته العظيمة الشأن أعقبه برهانا ساطعا ودليلا ناطقا عليه، وهو تفرده بربوبية جميع الكائنات الموجودة

---

(١) اختاره الزمخشري، انظر: تفسير الكشاف ٣/٣٣٦، بهامشه حاشية السيد الشريف الجرجاني، وكتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) انظر: الإنصاف، للمالكي، في هامش الكشاف، ٣/٣٣٦، ومحاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، ١٤/٩٦.

بالنمط البديع والنظام المحكم والاتزان الدقيق؛ فإن وجودها على هذه الكيفية أوضح دليل وأعدل شاهد على وحدانية الله عزوجل في كونه مستحقا للعبادة وحده.

ثم ذكر الله سبحانه بعض آثار ربوبيته مناسبا للمقام، فقال: إنا جعلنا في السماء الدنيا هذه الكواكب التي تبدو لكم لامعة متلألئة تزدان بها السماء، وقد جعلنا هذه الكواكب أيضا حرسا لملوكتنا، تحرس من الشياطين المسترقة المسع إلى ما يدور في الملأ الأعلى مما أوحاه الله إليهم من شرعه وقدره، فهم لا يستطيعون أن يتسمعوا شيئا من كلام الملائكة الأبرار، وإذا حاولوا استراق شيء منه قذفوا من كل جانب بشهب محرقة فيرتدون مدحورين مطرودين.

وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع بالإسهاب في الرد على التنجيم والكهانة بإذن الله.

تحقيق كلمة الرب في ضوء النصوص:

ذكرنا فيما سبق تعريف كلمة "الرب" عند الأئمة المتخصصين في اللغة والشرع، ورأينا أن هذه الكلمة لا تطلق بلا قيد إلا على الله عزوجل وحده، فإنها تدل على معان عظيمة لا يمكن أن يتصف بها أحد كائنا من كان، سوى ذات الله عزوجل، فإنه وحده متصف بها.

إن كلمة "الرب" كلمة جامعة تدل على جميع صفات الكمال لله عزوجل، إما مطابقة وإما التزما،[1] مثل كلمة "الإله"، وسوف نرى ذلك حينما نذكر توحيد الأسماء والصفات والعلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

لكن يهمنا في هذا المقام أن نوضح نقطتين مهمتين مستفادتين من كلمة الرب، وهما: إنشاء الشيء، وإتقانه، في ضوء النصوص البينات.

---

(١) الدلالة منقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزم؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام. انظر: التعريفات للجرجاني، ص: ١٠٤، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

النقطة الأولى: إنشاء الشيء:

وهو ما يعبر عنه بلفظ الخلق في آيات قرآنية تفوق الحصر، وهو كما يقول الأصفهاني: «فأصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[١] أي: أبدعهما بدلالة قوله: ﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢].

ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٣] و﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾[٤] و﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾[٥] و﴿ خَلَقَ الْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٦].

وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٧].

وأما الذي يكون بالاستحالة -أي: من التصوير والتقدير- فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال، حيث قال: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾[٨]»[٩].

فالخلق هو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود على غير مثال سابق، وهو صفة خاصة بالله عزوجل.

---

(١) وردت هذه الألفاظ نحو عشرين مرة في القرآن الكريم. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، ص: ٣٠٦- ٣٠٧.

(٢) ورد مثل هذه الآية مرتين: سورة البقرة: ١١٧، وسورة الأنعام: ١٠١.

(٣) ورد ثلاث مرات: النساء: ١، الأعراف: ١٨٩، الزمر: ٦.

(٤) النحل: ٤.

(٥) المؤمنون: ١٢.

(٦) الرحمن: ١٥.

(٧) النحل: ١٧.

(٨) المائدة: ١١٠.

(٩) المفردات للأصفهاني: ١٥٧.

فكل ما سوى الله مخلوق وجد بعد أن لم يكن موجودا وشيئا مذكورا، يقول تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[١].

ويقول عزوجل: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢].

ويقول عزوجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٣].

ويقول عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[٤].

ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٥]. ونحو ذلك كثير جدا يصعب ذكره بالاستيعاب.

وهذا أمر أقر به المشركون على الرغم مما كانوا فيه من ضلالات وخرافات شركية، كما حكى الله عنهم: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾[٦].

ويقول عزوجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٧].

ويقول عزوجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[٨].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[٩].

لكن وقعوا في ضلالة الشرك في الألوهية فعبدوا غير الله، وأشركوا معه غيره

---

(١) الفرقان: ٢.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) البقرة: ٢٩.

(٤) الأنعام: ٧٣.

(٥) الأنبياء: ٣٣.

(٦) العنكبوت: ٦١.

(٧) لقمان: ٢٥.

(٨) الزخرف: ٩.

(٩) المؤمنون: ٨٦-٨٧.

في العبادة، وسنبين أسباب الشرك فيما بعد بإذن الله.

أما إقرارهم بأن الله هو الخالق لا غير، فهو أمر مركوز في الفطرة والعقل الصريح، لايستطيع أحد إنكاره، مادام باقيا على فطرته، أو متعاملا معها. ومن ثم لم تتعرض النصوص القرآنية صراحة لهذه القضية؛ لأنها ليست من الأمور الغامضة التي تصلح للتوضيح والبيان.

وإنما هي من الأوليات البديهية التي لاتحتاج إلى دليل وبرهان، بل هي برهان على غيرها، وهذه هي صبغة الله في كل مخلوق، وفطرته التي فطر الناس عليها، وإليه الإشارة في قوله تعالى حكاية عن الرسل عليهم السلام: ﴿ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.[١]

وفي قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[٢] وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

فشعور الإنسان بوجود خالق الكون كله أكبر وأعظم دليل وبرهان على وجوده سبحانه، وأن وجوده أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما »[٤].

وسيظل قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٥] تحديا صارخا أمام كل معاند ومكابر إلى يوم القيامة، فهل يستطيع أحد أن يواجه هذا الاستفهام الإنكاري الساخر إلا الخضوع للحقيقة الثابتة الفطرية بأنه مخلوق خلقه غيره، وهو الله عزوجل.

---

(١) إبراهيم: ١٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) مدارج السالكين، ١/ ٦٠، تحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، ط: ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

(٥) الطور: ٣٥.

النقطة الثانية: الإتقان في الكون:

الإتقان في الكون هو أبرز وأظهر ما يرى فيه كل ناظر، فما من شيء في هذا الكون إلا ويجده محكما ومتقنا ومنظما بغاية من الحكمة، سواء كان من عالم الحيوان، أم من عالم النبات أو من عالم الجماد، أو من عالم الفلك، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تنطق بوجود الإتقان المدهش في كل ذرة من ذرات الكون، نذكر بعضها على سبيل المثال:

يقول جل شأنه: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[1]

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا () وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا () وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا () وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا () وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا () وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا () وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا () وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا () وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا () لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا () وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[2]

ويقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ () ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[3].

ويقول سبحانه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[4]

ونحو ذلك مما يهدف إلى أن يتوصل الإنسان إلى الحقيقة العظمى التي خلق لأجلها، وهي الاعتراف بأن المعبود الحقيقي هو واحد؛ فإن مدبر هذا الكون واحد، وإلا لما كان هذا الإتقان في كل شيء.

وكما كان الإنسان القديم يشهد ويلمس الإتقان في كل شيء من الكون، كذلك الإنسان الحديث يعترف بهذه الحقيقة، بل زاد دهشة وتعجبا، لما تقدم العصر الحديث

---

(١) النمل: ٨٨.

(٢) النبأ: ٦-١٦.

(٣) الملك: ٣-٤.

(٤) الأعلى: ١-٣.

في ميادين العلوم الكونية، فزاد إيمانا بالصانع العظيم -كمال عظمته وقدرته وبالغ حكمته.

هذا التقدم الهائل في جميع مجالات العلوم رهن لما أودع الخالق في جميع أشياء الكون من نواميس وسنن تكفل بإذن الله تحقيق الغايات والأهداف التي خلقت لأجلها، فلو كان اختلال في النواميس، واضطراب في السنن لما استطاع العلم الحديث أن يصل إلى ما وصل تقدما وازدهاراً.

ولا بأس أن تنقل في هذه المناسبة نبذة من أقوال العلماء الكونيين الذين توصلوا إلى معرفة بعض الحقائق الكونية، مع الاعتراف بأن العلم الإنساني لايستطيع معرفة جميع الحقائق؛ فإنها خارجة عن دائرة وسعه. ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

يقول بعض العلماء الأمريكيين:[2] «إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض الصدفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى.

ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله، ومن إيماننا بوجوده»[3].

ويقول بعضهم[4]: «ومما يدعو إلى الدهشة أن يكون تنظيم الطبيعة على هذا

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) وهو: جون وليام كلونس، عالم في الوراثة، أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة: ١٩٤٥م، عضو جمعية الدراسات الوراثية، متخصص في علم الوراثة وعلم الهيئة، انظر: هذه الترجمة في مقدمة ص: ٥٢ من كتاب: "الله يتجلى في عصر العلم".

(٣) الله يتجلى في عصر العلم، ص: ٥٢، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور مرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الآفندي، دار القلم، بيروت.

(٤) هو: الأستاذ كريسي موريسون، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة، وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني، انظر: هذه الترجمة في بداية كتاب: "العلم يدعو للإيمان"، ص: ٤.

الشكل بالغا هذه الدقة الفائقة؛ لأنه لوكانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني اكسيد الكربون الأكسيجن، ولما أمكن وجود حياة النبات.

ولو كان الهواء أرفع كثيرا مما هو فإن بعض الشهب التي تحترق الآن بالملايين في الهواء الخارجي كانت تضرب جميع أجزاء الكرة الأرضية، وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلا في الثانية، ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية لارتطمت كلها بالأرض، ولكانت العاقبة مروعة.

أما الإنسان فإن اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة كان يمزقه إربا من مجرد حرارة مروره»[1].

هذا وقد توصل العلماء المسلمون إلى معرفة كثير من الحكم والأسرار في الكون بسبب التأمل الصادق في النصوص القرآنية والحديثية، والتفكر الصحيح في صفحات الكون، فكتبوا ملاحظاتهم الدقيقة، وذكروا أمورا مدهشة في تركيب أعضاء الإنسان والحيوان، وفي العوالم الفلكية والأرضية والنباتية ونحوها.[2]

يتبين مما سبق أن الربوبية الكاملة لله عزوجل ظاهرة باهرة في كل شيء، فهو وحده الرب المطلق والمتصرف في الكون، والمهيمن على كل شيء، وهو الذي أنشأ هذا الكون وبلغ كل ما فيه إلى حد الكمال، وأحاطه برعايته الشاملة المستمرة، لايستغني شيء منه عن فيضان عنايته في وجوده وبقائه في أي وقت من الأوقات.

فقد صدق الله العظيم رب العالمين: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[3]

---

(١) العلم يدعو للإيمان، للأستاذ كريسي موريسون، ص: ٦٥-٦٦، ترجمة: محمود صالح الفلكي، تصدير: الشيخ أحمد حسن الباقوري، تقديم: الدكتور أحمد زكي، الطبعة الخامسة: يونيو ١٩٦٥م، مكتبة النهضة، القاهرة - مصر. هذا الكتاب سماه المؤلف: الإنسان لا يقوم وحده ردا على كتاب "الإنسان يقوم وحده" للمستشرق جوليان هكسلي الإنجليزي؛ فإنه يزعم فيه أن العلم ينكر وجود خالق هذا الكون.

(٢) من أحسن ما ألف فيه كتاب "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" للعلامة ابن قيم الجوزية، فهو قيم في موضوعه.

(٣) السجدة: ٥.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية:

القرآن الكريم يسوق الآيات الدالة على تفرد الله عزوجل بالربوبية للكون كله من الخلق والتدبير والتصريف والرزق والإحياء والإماتة، ونحو ذلك ليصل إلى إثبات المقصد الأعظم، وهو تفرده عزوجل بالألوهية، فتلك الآيات بمثابة الدليل والبرهان لإثبات المقصود والمطلوب.

فمادام أن الله عزوجل هو وحده خالق كل شيء من العدم إلى الوجود، والمتصرف فيه، والمهيمن عليه بتدبيره المحكم وتصريفه المتقن، وكل شيء محتاج إليه في وجوده وبقائه وعمله ونفعه وضره، فلا جرم أنه وحده يستحق العبادة وصرف جميع الأمور التعبدية: من الخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والدعاء والتوكل والإنابة والصلاة والزكاة والقرابين والنذور وغير ذلك، وغير الأمور التعبدية مما له علاقة بشئون الدنيا من الاقتصاد والسياسة والاجتماع ونحو ذلك.

القرآن الكريم مملوء بالآيات الناطقة بربوبية الله عزوجل الشاملة، فهو دائما يدعو إلى توحيد الألوهية لله سبحانه بذكر آثار ربوبيته المبثوثة في الكون والأنفس مع تاكيد نفي شركة غيره سبحانه.

مثل الآيات التالية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ() إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

---

(١) يس: ٨٣.

(٢) البقرة: ٢١-٢٢.

الرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لَأٓيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ() أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ() أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ() أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَـٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَـٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَـٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ() أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2] ونحو ذلك كثير جدا.

فهذه الآيات تنفي مؤكدا إلاهية غير الله سبحانه عزوجل؛ لأن الرب ليس إلا الله وحده، فالذي هو الرب وحده هو الإله المعبود وحده.

ويتبين منهنا أن العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية علاقة التلازم، وأن الألوهية والربوبية صفتان مختصتان بالله عزوجل وحده، لا توجد أية منهما في غيره، لا في نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا ولي صالح، ولا في الشمس، ولا في القمر، ولا في حيوان، ولا ....، ولا ....، في أي خلق من المخلوقات.

وسنرى في باب الرد على الشرك إن شاء الله كيف رد الله على المشركين، أبطل مزاعمهم ببيان تفرده عزوجل بالربوبية التي كانوا هم مقرين بذلك. ويكشف حقيقة معبوداتهم من كونها عبادا أمثالهم في العجز والاحتياج، وعدم النفع والضر، ونحو ذلك من صفات المخلوق.

---

(١) البقرة: ١٦٣-١٦٤.

(٢) النمل: ٦٠-٦٤.

المبحث الثالث في توحيد الأسماء والصفات:

قد أشرنا قبل قليل أن كلمة "الإله" وكلمة "الرب" كلمتان جامعتان تدلان على جميع صفات الكمال، ونعوت الجلال لله عزوجل.

لأن كلمة الإله معناها معبود، لايعقل أن يكون متصفا بصفات النقص من الموت والعجز والجهل والاحتياج والعمى والصمم والخرس ونحو ذلك.

ولو كان كذلك لما صلح أن يكون معبودا يخاف منه ويرجى منه ويتوكل عليه ويلجأ إليه لقضاء الحوائج ودفع الأضرار ونحو ذلك.

وكذلك كلمة "الرب" معناها الخالق المتكفل بمصلحة جميع الموجودات - كما رأيناه- لايمكن أن يتصف بصفات النقص التي ذكرناها، وإلا فكيف يقدر على تدبير الكون كله، هل يمكن أن صنع رجل شيئا متقنا محكما رائعا وهو لا يملك قوة زائدة من العلم والقدرة والوسائل بالنسبة للآخرين؟ هذا مرفوض ببداهة العقل، فكذلك هذا الكون الضخم المحكم المتقن يدل على أن خالقه منعوت بجميع صفات الكمال، ومنزه عن مشابهة المخلوق.

وهذا القدر من المعرفة الإجمالية به يمكن لكل من يتدبر في هذا الكون المشهود، لكن المعرفة التفصيلية عن أسمائه الحسنى وصفاته العليا لا تتأتى إلا عن طريق النصوص من الكتاب والسنة؛ فإن عقل الإنسان محدود مادي وذات الله تعالى لا يحاط بها كما يحاط بذوات خلقه لأنه كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[1]

وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾[2] و ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3]

ونحو ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن عقل الإنسان قاصر عن الإحاطة بذات الله العلية وصفاته العليا، فالواجب على العبد في هذا الباب التقيد بما ورد في

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) النحل: ٦٠.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

الكتاب والسنة من الأسماء والصفات.

ومن هنا قال السلف رحمهم الله: «الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته رسله نفيا وإثباتا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه».

«فطريقتهم إثبات ما أثبته من الصفات غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه، ولا في آياته»[1] .[2]

---

(١) **التكييف** معناه تعيين كنه صفات الباري، وهذا مما استأثر الله به فلا سبيل إلى الوصول إليه.
التشبيه والتمثيل: معناه تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق وهذا لا يجوز فإن الله ليس كمثله شيء.
التحريف: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها، وهذا أيضا لا يجوز فإنه مما نهى الشرع عنه وذم فاعله.
التعطيل: معناه جحد الصفات وإنكار قيامها بذاته سبحانه، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال، وهذا أيضا مخالف لما ثبت بالنصوص.
الإلحاد العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت، وهذا أيضا مخالف لما ثبت بالكتاب والسنة.
فكل هذه الأمور منهي عنه في الشرع الحنيف، ومن ثم كان السلف رضي الله عنهم يذمون كل من ارتكب أمرا منها في باب الأسماء والصفات، وكانت طريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل. فالمشبهة مثل الكرامية والمعطلة مثل: الجهمية والمعتزلة ونحوهم مخالفون للسلف في باب الأسماء والصفاف، فإنهم ارتكبوا أمورا منهيا عنها في أسماء الله وصفاته.

(٢) الرسالة التدمرية، لابن تيمية، مع شرحها التحفة المهدية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، ص:٢٩، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، مكتبة الحرمين، الرياض. وانظر: العقيدة الواسطية له، ص:١٥ وما بعدها، مع تعليق: الشيخ صالح بن فوزان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ، مكتبة المعارف، الرياض. ومجموع الفتاوى ٢٦/٥، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، المكتب التعليمي السعودي، الرباط. والفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة، مع شرح الملا علي القاري، ص: ٢٤-٢٥، ٥٨-٥٩، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وهذا المذهب للسلف الصالح موافق للكتاب والسنة، ووسط بين التعطيل والتشبيه، فيمثل الوسطية المحمودة التي وصف الله الإسلام وأهله بها، حيث يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

يقول الإمام ابن قيم: «إن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فالعارفون بالله والمصدقون برسله والمقرون بكماله يثبتون له الأسماء والصفات وينفون منه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين».

وفيما يثبتون لله عزوجل الصفات والأسماء يعتقدون جازمين أن هذه الصفات صفات كمال، وهذه الأسماء أسماء حسنى، تدل على صفات الكمال التي هي المثل الأعلى لله عزوجل؛ فإن وردت بعض الأسماء في حق المخلوقين كالسميع والبصير ونحو ذلك فهي مختصة بهم على ما يليق بهم، وأما الأسماء التي وردت في حق الله فهي مختصة به لا يشترك فيها غيره من المخلوقات؛ فإن الإضافة تجعلها مختصة بالمضاف إليه، فإذا قيل: علم الله وقدرة الله وإرادة الله، ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي لا يشاركها المخلوق.

وإذا قيل: علم العبد وقدرته وإرادته ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه.

فالاشتراك في الأسماء كثيرة مطردة في جميع الصفات مع التباين في حقائق المسميات.[2]

العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة:

قد تكلمت فيما سبق عن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) مدارج السالكين: ٢/٣٥٩.

وأرجو أن أكون قد وفقت في توضيح هذه الأنواع من النواحي الضرورية بإذن الله، فأريد أن اختتم هذا الموضوع المهم بتوضيح العلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة.

فأقول وبالله التوفيق: إن العلاقة بين أنواع التوحيد هي علاقة تلازم وتضمن وشمول باعتبارات ثلاثة، فإذا أخذنا في الاعتبار توحيد الربوبية أولا ونظرنا في العلاقة بينه وبين توحيد الألوهية، فالعلاقة التلازم يعني أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فإنه إذا علم أن الله وحده الرب والخالق والمالك والمدبر والرزاق والنافع والضار ونحو ذلك - كما سبق توضيحه- وجب أن يكون هو المعبود وحده، فتوحيد الربوبية كالدليل والمقدمة يستلزم المدلول والنتيجة.

ومن هنا يسوق القرآن الكريم آيات توحيد الربوبية ليخلص إلى توحيد الألوهية -كما وضحنا ذلك عند الكلام عن توحيد الربوبية-.

وأما إذا أخذنا في الاعتبار أولا توحيد الألوهية، ونظرنا في العلاقة بينه وبين توحيد الربوبية فتكون علاقة تضمن بمعنى أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا لا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذي لا رب له غيره.

أما توحيد الأسماء والصفات فالعلاقة بينه وبين النوعين السابقين شمول بمعنى أنه شامل لكليهما؛ لأنه يقوم على إفراده عزوجل بكل ماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، -كما بيناه آنفا-.

ومن جملتها كونه ربا واحدا لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلها واحدا لا شريك له في إلهيته، فاسم الرب لا ينصرف عند الإطلاق إلا إليه، فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة لجميع خلقه.

وكذلك اسم الجلالة "الله" لا يطلق إلا عليه وحده، فهو ذوا الإلهية على جميع خلقه، ليس لهم إله غيره.

وبالجملة فهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد متكاملة متلازمة يكمل بعضها بعضا، ولا ينفع أحدها بدون أخرين.

فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية فكذلك لا يصح توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية؛ فإن من عبد الله وحده ولكنه اعتقد مع ذلك لغيره تأثيرا في شيء أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله، أو أنه يملك ضر العباد ونفعهم، ونحو ذلك فهذا لا تصح عبادته؛ فإن أساسها الإيمان بالله ربا له شئون الربوبية كلها.

وكذلك من وحد الله في ربوبيته واعترف أنه هو الخالق والمالك للسماوات والأرض وما بينهما لكن عبد أحدا غيره، أو معه فلا ينفعه هذا التوحيد، فالمشركون كانوا يعتقدون هذا.

وكذلك من وحد الله في ربوبيته وإلهيته ولكنه سمى غيره باسمه، أو ألحد في أسمائه فلم يثبت له ما دلت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال، أو أثبت لغيره مثل صفته، لم ينفعه توحيده في الربوبية والإلهية؛ فلا يكمل لأحد توحيده حتى يجمع بين أنواع التوحيد الثلاثة.[1]

---

(١) انظر: دعوة التوحيد، أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها، للدكتور محمد خليل هراس، ص: ٨٣-٨٦، مكتبة الصحابة، طنطا، شارع الحنبلية الغربي.

الفصل الثاني

في رد الشرك

تمهيد:

قد ذكرت فيما سبق أن الأصل في الإنسان هو التوحيد لكنه ينحرف عن الأصل بسبب عوامل خارجية وداخلية، فيقع في بؤرة الشرك وخرافاته وهذه العوامل على سبيل الإيجاز:

أولا : من العوامل الخارجية :

الأول: إبليس وجنوده، وهو المسمى بالشيطان في لسان الشرع، وهو من الجن -كما سيأتي معناه في موضعه-.

فهو أكبر عدو خارجي لبني آدم، لا يهمه إلا إغواؤهم بأساليب متنوعة ومكايد مختلفة.

القرآن الكريم مملوء بحكاية إبليس وعداوته للإنسان، وسعيه لإغوائه بقصد التحذير منه.

فهو أول عدو أظهر عداوته وحسد أبا البشر آدم عليه السلام حينما خلقه الله بيديه خليفة في الأرض فأمر الملائكة وإبليس بالسجدة أمام آدم تكريما وتشريفا له، فأنكر إبليس وحده السجدة له حسدا وتكبرا.

يقول تعالى حكاية عن إنكار إبليس السجدة لآدم وسببه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَن لَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[1]

فأخرجه الله من الجنة وطرده منها، وحذر آدم عليه السلام من إبليس، فإنه عزم أنه سيظل عدوا له ولذريته، وسيحاول بكل إمكانياته إغوائهم وإضلالهم ليكونوا هم أيضا مطرودين من الجنة.

كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن

---

(١) الأعراف: ١١-١٢.

شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[١]

وجميع مكايده وتلبيساته تهدف إلى تزيين الأمر الباطل وتحسينه لكي يحمل الإنسان على فعله، وتتنوع حسب تنوع الإنسان في علمه وفكره ورغبته وشهوته، فلا يترك أحدا من بني آدم إلا ويأتيه وفق هواه لإغوائه، ويدعوه إلى ماينا سبه لتضليله من الشر.[٢]

ولا ينجو من كبده إلا من أخلص في التوحيد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣]

الثاني : البيئة الفاسدة:

الإنسان يتأثر بما يجد حوله من أفكار وعقائد يعتنقها الناس، ويجاهرون بها، ويتحمسون للدفاع عنها، ويبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل نشرها، ومن هنا يقال: الإنسان وليد البيئة، ولو كانت هذه الأفكار والعقائد باطلة في حقيقة الأمر، وعارية من أية حجة وبرهان.

ويقرر هذا الأمر كثير من النصوص القاطعة، ويؤكده تاريخ البشرية، يقول جل وعلا موضحا أن ضلالة كثير من الناس تعود إلى البيئة الفاسدة: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٤]

ويقول عزوجل في جدالهم الباطل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٥]

ويقول الرسول ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها جدعاء»[٦].

---

(١) الأعراف: ١٣-١٧.

(٢) ينظر للتوسع في معرفة مكايد إبليس، كتاب تلبس إبليس لابن الجوزي، وكتاب إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان، لابن قيم الجوزية.

(٣) الحجر: ٣٩-٤٠.

(٤) الصافات: ٦٩-٧١.

(٥) البقرة: ١٧٠.

(٦) سبق تخريجه، ص: ١٧.

وتاريخ البشرية كتاب مفتوح لدراسة ضلالات أكثر الناس، فهم ينساقون إلى ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم من العقائد والأفكار، ولا يرضون مخالفته، إما تقديسا له وإما خوفا من الناس.

الثالث: الطغاة والجبابرة:

قد يوجد في المجتمع الإنساني أفراد قلقة شاذة في طبائعهم ونوازعهم فيريدون الاستعلاء على الناس والإفساد في الأرض تحقيقا لمطالبهم الدنيئة، وحاجاتهم الخبيثة، ويبررون كل ظلم وعدوان بأسماء وألقاب خادعة، ظاهرها إنسانية، وباطنها حيوانية. وعن أمثال هؤلاء يحكي القرآن الكريم في مواقع عديدة.

يقول الله جل شأنه حكاية عن فرعون أكبر الطغاة في الأرض: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾(١)

ويقول سبحانه عن استبداده وإضلاله الناس: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٢)

وكيف استغل قومه السذج ضد موسى عليه السلام ورماه بكونه مفسدا في الأرض وساحرا قلبا للحقيقة، تقرأ الآيات التالية:

﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾(٣)

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾(٤)

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾(٥)

وإلى نحو ذلك من الآيات الكثيرة التي تصور نفسيات الطغاة في الأرض واتهامهم أهل الحق بالألقاب الشنيعة في كل زمان وفي كل مكان، بغية المحافظة على

---

(١) يونس: ٨٣.

(٢) الزخرف: ٥٤.

(٣) الإسراء: ١٠١.

(٤) طه: ٧١

(٥) الأعراف: ١٢٧.

مركزهم الاجتماعي، وتبريرا لجرائمهم الأثيمة.[١]

فهؤلاء يجعلون أنفسهم آلهة ومعبودات، وشعوبهم مستعبدين وعابدين، وليس هذا إلا الشرك في أبشع مظاهره.

ثانيا : من العوامل الداخلية وهي عديدة من أهمها :

الأول : الحسد: وهو مرض خطير يجعل صاحبه منكرا للحق وجاهدا به، مهما كان بينا واضحا مؤيدا بالبراهين الساطعة.

يقول الإمام الغزالي[٢]: «إعلم أنه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك، فيه حالتان:

أحدهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسدا، فالحسد حده: كراهية النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

ثانيهما: أن لا تحب زوالها ودوامها لكن تشتهي لنفسك مثلها، وهذه تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة»[٣].

وهو من أكبر العوامل لإنكار الحق ورفضه، وحب زواله من الذي ظهر على يديه، وما منع إبليس من السجدة لآدم إلا الحسد، وما قتل قابيل أخاه هابيل إلا الحسد.

والسن هو السبب الأكبر لعدم إيمان اليهود بعيسى عليه السلام حينما جاء بالحق، ومحاولتهم قتله، لكن الله نجاه منهم فرفعه إليه، وهو السبب الأعظم لعدم إيمانهم بالنبي الخاتم محمد ﷺ وبما نزل عليه من القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

---

(١) ومن هؤلاء المجرمين طواغيت العصر الحاضر، لينن واستالن وهتلر ونحوهم.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي (٤٥٠-٥٠٥هـ) أبوحامد، حجة الإسلام، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، وإلجام العوام من علم الكلام، وفضائح الباطنية، وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. انظر: الأعلام، ٢٢/٧-٢٣.

(٣) إحياء العلوم بذيله المغني للحافظ العراقي، ١٨٩/٣، ط: دار المعرفة، بيروت.

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[١]

واستمر حسدهم وحقدهم ضد الإسلام والمسلمين حتى الآن فيحاولون جاهدين للقضاء عليه بمكايد شتى، وأساليب ماكرة، فهم أكبر أعداء لكل حق ولكل فضيلة ولكل شعب غير منتمين إليهم، ويزعمون أنفسهم شعب الله المختار والآخرين حمرا ليركبوا عليهم.[٢]

والحسد هو السبب الأكبر لعدم إيمان أبي جهل -فرعون هذه الأمة- بالنبي ﷺ فقد اعترفه بنفسه في حديث مع المغيرة بن شعبة[٣] حينما قال له: «والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء، إن بني قصي قالوا فينا الحجابة، أي: الإشراف على شئون بيت الله الحرام، فقلنا: نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل، أي: لا أومن.[٤]

وفي رواية: قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه.[٥]

---

(١) البقرة: ٨٩-٩٠.

(٢) ينظر للتوسع في المعرفة عن نفسياتهم المعقدة ونواياهم الخبيثة ضد البشرية جمعاء الآيات التي تتحدث عنها، وبروتوكولات صيهون، ترجمة: أحمد عبد الغفور عطار، ط: مكة المكرمة، سنة: ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م. ومكايد اليهود عبر التاريخ للشيخ عبد الرحمن حسن الميداني، ونحوها من الكتب المؤلفة في تاريخهم.

(٣) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، صحابي، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، وولاه عمر البصرة، ثم الكوفة، وكان أول من وضع ديوان البصرة، وكان يقال له: مغيرة الرأي. انظر: الإصابة: ٦/١٣١-١٣٢، حرف الميم- القسم الأول.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير، ١/٥٠٧، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة: ١٣٩٤هـ = ١٩٦٤م.

(٥) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ١/٣٣٨، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

هذا هو غاشية الحسد والغضب الجاهلي، قد أعمى رؤساء قريش عن رؤية الحق الواضح، وصدهم عن الإيمان بالتوحيد.

الثاني: الكبر والعجب، معناه: الامتناع عن قبول الحق.[١] وقد عرفه الرسول ﷺ: «الكبر بطر الحق، أي: إنكاره، وغمط الناس، أي احتقارهم.[٢]

الكبر من أكبر العوامل لصد صاحبه عن إذعان الحق وقبوله، وأول من أنكر قبول الحق بسبب الكبر هو إبليس اللعين؛ فإنه امتنع عن السجدة لآدم عليه السلام ظنا منه أنه أعلى قدرا وأفضل مكانة من آدم؛ فإنه خلق من طين، وهو مفضول، وهو خلق من نار، وهي أفضل من الطين.

قد حكى الله عن زعمه هذا فقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٣].

وهو كان من أكبر العوامل لصد الأمم الماضية عن الإيمان بأنبيائهم يرون أن الأنبياء والذين آمنوا بهم ضعفاء مستضعفون في الأرض من حيث المال والجاه والمنصب ونحوها.

والآيات التي تتحدث عن الأمم الماضية وعنادهم الحق كثيرة:

منها قوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[٤].

منها قوله تعالى حكاية عن طغيان الأمم الغابرة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة: "كبر"، باب الراء، فصل الكاف، ١٢٥/٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن حديث ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، ٩٣/١، الرقم: ١٤٧. وأبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، ٣٥٢/٤، الرقم: ٤٠٩٠، والترمذي في جامعه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، ١٣٧/٦، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) سورة ص: ٧٦.

(٤) نوح: ٧.

ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[١].

وقوله تعالى حكاية عن استكبار قريش عن قبول الإيمان في السورة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢]

الثالث: الغلو، هو تجاوز الحد.[٣]

حاصله تنزيل الشيء فوق منزلته، ورفعه فوق مكانته.

الغلو في الشيء يؤدي إلى عواقب سيئة ونتائج خطيرة في العقيدة والسلوك إنه أهلك الأمم الماضية، كما قال عليه السلام محذرا عن الغلو: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٤].

وقد ثبت أن السبب الأول الأكبر لحدوث الشرك في بني آدم هو الغلو، فقد حدث الشرك أولا في قوم نوح عليه السلام بسبب غلوهم في الصالحين، وهو الاعتقاد بتأثيرهم في عالم الكون، وهو شرك في الربوبية.

في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥] في قول الله عزوجل: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[١] قال

---

(١) الفجر: ٦-١٣.

(٢) الصافات: ٣٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٦٤.

(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في مسنده، ١/٢١٥-٣٤٧، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصي الرمي، ٢/١٠٠٨، ٣٠٢٩، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي دار الفكر، بيروت. والنسائي في سننه، كتاب المناسك، التقاط الحصى، ٥/٢٦٨، مع شرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السند، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، حبر هذه الأمة، ترجمان القرآن، ودعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل، مات بالطائف سنة ثمان وستين، انظر: الإصابة، ٤/٩٠ وما بع دها، حرف العين - القسم الأول.

ابن عباس رضي الله عنهما: «هذه أسماء صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوصى الشيطان إلى قومنهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت»[١].

وجاء في كتاب الأصنام: «كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين ماتوا في شهر فجزع عليهم أقاربهم، فقال رجل من بني قابيل: يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم؟ غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا، قالوا: نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول، عملت على عهد بردي بن مهلايل بن قينان بن أخوش بن شيث بن آدم، ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول، ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجعون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم»[٢].

فتبين أن الغلو في الصالحين أول وأكبر عامل لحدوث الشرك في بني آدم، وأصيب بهذا المرض أمم ماضية كثيرة فعكفوا على قبور موتاهم، وصوروا تماثيلهم وعبدوها ليتقربوا بها إلى الله زلفى في زعمهم.

والأسف الشديد أن الأمة الإسلامية أصيبت بهذا الداء الخطير، حيث تقصد إلى قبور الصالحين، وتمارس أنواعا من الشرك: من الاستغاثة بهم، والدعاء لهم، وتقديم القرابين لهم، ونحوها مما لا يجوز صرفه إلا لله سبحانه وحده.

وليست الأعراس والمواسم المبتدعة عند القبور إلا مظاهر الشرك بكلا النوعين الأكبر والأصغر.

وكذلك الاعتقاد في النجوم والكواكب -وهو الاعتقاد بتأثيرها في عالم الكون، وهو شرك في الربوبية- وهو الغالب على الفلاسفة ونحوهم.

---

(١) نوح: ٢٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق، ١٨٧٣/٤، ٤٦٣٨.

(٣) كتاب الأصنام، لأبي المنذر هشام الكلبي، ص: ٥١-٥٢، تحقيق: أحمد زكي باشا.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «والشرك في بني آدم أكثره من أصلين:

أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي ابتدع الآدميين الشرك، وهو شرك قوم نوح.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام»[١].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ «أن نوحا أول رسول بعث إلى أهل الأرض»[٢]. ولهذا لم يذكر الله في القرآن قبله رسولا، فإن الشرك إنما ظهر في زمانه.

والسبب الثاني: عبادة الكواكب، فكانوا يصنعون للأصنام طلاسم للكواكب، ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطلاسم، ويصنعونه من مادة تناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكواكب، ويتكلمون عليها بالشرك والكفر، فتأتي الشياطين فتكلمهم، وتقضي بعض حوائجهم ويسمونها روحانية الكواكب، وهي الشيطان أو الشيطانة التي تضلهم»[٣].

هذه هي أهم عوامل الانحراف البشري عن المنهج الفطري المستقيم عقيدة وسلوكا.

---

(١) أنظر: تفسير الطبري، ٣/٣٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما، كتاب الأنبياء، باب قول الله ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ ٣/١٢١٥-١٢١٦، ٣١٦٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١/١٨٠، ٣٢٢.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين، ص: ٢٨٥-٢٨٦، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، الطبعة الرابعة، ترجمان السنة، لاهور- باكستان.

المبحث الأول

الرد على عبادة الأصنام

آيات السورة في هذا الصدد:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ(٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ(٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ(٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ(٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ(٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ(٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢).....

وقوله تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين(١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخلقين(١٢٥) أللّه ربكم ورب ءابائكم الأولين (١٢٦) فكذبوه فإنهم لمحضرون(١٢٧) إلا عباد اللّه المخلصين﴾ (١٢٨).

معاني الكلمات:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ﴾: أي: ممن شايعه وتابعه في الإيمان والدعوة القوية إلى التوحيد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي: بقلب خالص من جميع العلل والآفات النفسية من الشرك والشك والحسد والغل ونحو ذلك.

﴿أَئِفْكًا﴾ الإفك هو أسوأ الكذب، وهو الذي لايثبت ويضطرب، ومنه ائتفكت بهم الأرض.[١]

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ استفهام توبيخ وتحذير، والمعنى: أي شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره.[٢]

أو المعنى: أنه لايقدر في ظن ولا وهم ما يصد عن عبادته؛ لأن استحقاقه للعبادة أظهر من أن يختلج عرق شبهة فيه فأنكر ظنهم الكائن في بيان استحقاقه للعبادة.[٣]

---

(١) تفسير القرطبي، ٩٢/١٥.

(٢) تفسير الطبري، ٤٥/٢٣. وانظر: الكشاف للزمخشري، ٣٤٤/٣.

(٣) انظر: الكشاف، ٣٤٤/٣، ومحاسن التأويل للقاسمي، ٥٠٤٦/١٤.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾. أى: نظر في السماء على عادة قومه حيث كانوا منجمين وأوهمهم أن النجوم تدل على أنه سيسقم غدا تبريرا لعدم خروجه معهم في اعتقادهم فتركوه.

وقيل: إن المعنى: إنهم لما كلفوه الخروج معهم تفكر فيما يعمل، فالنظر في النجوم عبارة عن التفكر، يقال للرجل إذا فكر في الشيء يدبره: نظر في النجوم.

وقيل: المعنى: فنظر فيما نجم من الأشياء فعلم أن لها خالقا ومدبرا وأنه يتغير كتغيرها، فقال: إن سقيم.[١]

﴿ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أى: سأسقم سقم الموت؛ لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية وتعريض.

أو أنه سقيم القلب غير نشيط ولا خفيف بسبب كفر قومه وشركهم فهو حزين وعلى كل حال فأراد إبراهيم عليه السلام[٢] أن لا يخرج معهم في يوم عيدهم لينفذ ماعزم عليه من كسر أصنامهم.

﴿ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ﴾ أى فذهب إليها في خفية: من روغة الثعلب.[٣]

﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ قاله استهزاء بهم واحتقارا بشأنهم.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أى ضربهم ضربا قويا؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدها. حتى تركهم جذاذا إلا كبيرهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[٤].

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير القرطبي، ١٥/٩٢-٩٣.

(٢) هو إبراهيم بن آزر بن ناحور. وينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، وبينه وبين نوح مدة تزيد على ألف عام، خليل الله، أفضل الرسل بعد نبينا محمد ﷺ، وقد خصه الله عزوجل بخصائص ومزيا فريدة، فجعله أبا الأنبياء وإماما للأتقياء وقدوة للمرسلين، واختاره من بين الرسل بالخلة والاصطفاء، وأثنى عليه ثناء عاطرا في مواضع عديدة في الكتاب الخالد القرآن العظيم. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ١/١٥٥ وما بعدها، قصته عليه السلام، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد. ونحوه من الكتب المؤلفة في حياة الأنبياء.

(٣) الكشاف للزمخشري، ٣/٣٤٤. والقرطبي، ١٥/٩٤.

(٤) الأنبياء: ٥٨.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ اقبلوا إليه مسرعين كأن يدفع بعضهم بعضا.[١]

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ لما عاتب القوم إبراهيم عليه السلام أخذ يؤبخهم ويؤنبهم على عبادة الأصنام؛ لأنها مصنوعة ومنحوتة بأيديهم، والمستحق للعبادة هو الله وحده، فإنه خلقهم وخلق أصنامهم فعبادة الأصنام بعيدة كل البعد عن ما يقتضيه العقل السليم.

ذهب بعض المفسرين إلى أن "ما" مصدرية، والمعنى: الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وذهب بعضهم إلى أن "ما" موصولة بمعنى الذي، والمعنى: خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها. وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.[٢]

وهذه الآية كثر الكلام فيها حول تعيين كلمة "ما" هل هي مصدرية أو موصولة، واشتد إصرار الأشاعرة[٣] على أنها مصدرية لاثبات أن أعمال العباد مخلوقة لله عزوجل، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق عملكم، يريدون بهذا التوجيه الرد على المعتزلة[٤] القائلين إن الإنسان خالق لأفعاله.

ولا شك أن نسبة الخلق إلى غير الله مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، ومع ذلك فإن الظاهر من سياق الآيات هو إرادة "ما" موصولة؛ فإن السياق هو التنديد بعبادة الأصنام، فالأولى هو المصير إلى إرادة الأصنام التي تدل عليها كلمة ما الموصولة،

---

(١) انظر: القرطبي: ٩٦/١٥.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٣/٣.

(٣) هي الجماعة المنتسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري من أهل السنة والجماعة، القائلة بالصفات السبع العقلية من صفات الله عزوجل وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة، والمؤولة في غيرها من الصفات الخبرية مثل: الاستواء والنزول والضحك ونحوها.

(٤) هي الفرقة المفارقة من أهل السنة في كثير من الآراء لاسيما في أصولها الخمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفسيرهذه الأصول يخالف مذهب السلف كما هو معروف بين أهل العلم.

ولذلك رجحه كثير من السلف والخلف.[١]

وهذا الظاهر يدل أيضا على أن الله خالق لأعمال العباد من وجه آخر، وهو أنه إذا خلق المعمول الذي عملوه، وهو الصنم المنحوت فقد خلق التاليف القائم به، وذلك مسبب من عمل بني آدم وخالق المسبب خالق السبب بطريق الأولى»[٢]. على كل حال، فالآية حجة على المعتزلة.

توضيح ما يتعلق بهذه الآيات:

إن إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل أولي العزم بعد النبي الخاتم محمد ﷺ، قد أعطاه الله الرشد في صغره كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[٣].

فأنشأه الله نشأة طيبة ورباه تربية خاصة وأعطاه قلبا سليما وفهما سديدا ورزقه من الحجة والبرهان لإثبات التوحيد ما أنار به الطريق المستقيم، ونبذ به الشرك من عبادة الأصنام والأوثان والكواكب والنجوم، وقد كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والنجوم والأفلاك، وأرسله الله إليهم للدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك بجميع أنواعه.

وقد ذكر الله عزوجل دعوته إلى التوحيد وجداله مع قومه في القرآن الكريم أكثر من مرة.

ومنها ما ذكره في هذه السورة (الصافات) في سياق ذكر حسن عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة المكذبين.

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية، ٣/٣٣٦-٣٣٧ و ٢٦٠-٢٦١. تحقيق: الدكتور رشاد سالم، ط:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وبدائع الفوائد لابن قيم، ١/١٤٩-١٥٠، دارالكتاب العربي، بيروت. وشرح الطحاوية، ص: ٤٩٦. وتفسير البيضاوي، ٨/٥، وبهامشه حاشية الكازروني، مؤسسة شعبان، بيروت. وتفسير ابي السعود، ٥٤٢/٤. تحقيق: عبد القادر أحمد عطار، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. وتفسير روح المعاني، ١٢٦/٢٣. وتفسير التحرير والتنوير، ١٤٦/٢٣.

(٢) منهاج السنة، ٢٦١/٣. وانظر بدائع الفوائد لابن قيم ، ١٤٩/١، ١٥٠.

(٣) الأنبياء: ٥١-٥٢.

إن إبراهيم عليه السلام قد سلك مسلكين في إبطال الشرك وعجز المعبودات الباطلة.

الأول : مسلك قولي، أي: ناقشهم مناقشة علمية لإثبات عدم صلاحية الأصنام للعبادة؛ لأنها غير متصفة بصفات الكمال.

والثاني: مسلك علمي، أى: أبطل عبادتها بهدمها وكسرها فعلا وإذلالها. وهذان المسلكان سنوضحهما فيما يلي بإذن الله.

توضيح المسلك الأول:

يَقُولَ إبراهيم عليه السلام مخاطبا لقومه المشركين في أسلوب شديد وساخر: ﴿هَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

ما هذه الأصنام المنحوتة بأيديكم؟ هل هي تصلح للعبادة؟ هل تعبدونها لأنها تملك شيئا؟ أو تعبدونها اتباعا للهوى بدون حجة وبرهان وافتراء على الله المعبود الحقيقي بإغواء الشيطان؟ وهل هذه العبادة الباطلة تنفعكم شيئا يوم القيامة حينما تجزي كل نفس بما كسبت؟

أنتم تكونون أحق بالعذاب الأليم لشرككم بالله رب العالمين، والشرك ظلم عظيم لا يغفره الله أبدا.

وقد جاء ذكر جدال إبراهيم عليه السلام مع قومه المشركين في أكثر من موضع في القرآن العظيم، مؤيدا بالحجج الواضحة والبراهين الصريحة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَـٰلِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) الأنبياء: ٥١-٥٢.

(٢) الشعراء: ٦٩-٧٣.

تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

فلما أكد إبراهيم عليه السلام جديته في السؤال والسخر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

أجابوا بما لا يقوم حجة في شيء كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[3].

نتأمل في الحجج والبراهين التي قدمها إبراهيم عليه السلام لإثبات ألوهية الله سبحانه وحده، ولإبطال عبادة غيره من المعبودات الباطلة من الأصنام والأوثان.

فقد أتي باللفظ الجامع لجميع صفات الكمال المختصة بالله عزوجل وحده، وهو لفظ "الرب". إن صفة الربوبية مختصة بالله وحده ومنتفية عن غيره.

وقد تقدم أن توحيد الربوبية لله عزوجل كان يعترفه المشركون في كل زمان ومكان، فما دام أن الله وحده هو المدبر والمتصرف في الكون فإنه وحده جدير بالعبادة بجميع أنواعها، وإن غيره مخلوق مربوب محتاج إليه مثل العابد فكيف يستحق العبادة.

إن هذه القضية بدهية من أجلى البديهيات، ولذلك يكون كلام الأنبياء والرسل في إبطال عبادة الأصنام يحمل شدة وغلظة وتهكما لعله يوقظ فطرة عابدي الأصنام من غفلتها ويزيل غشاوتها ويرجعها إلى رشدها، ولا يستطيع أحد من المشركين أن ينكر هذه القضية البدهية استنادا إلى حجة من العقل الصريح أو النقل الصحيح المنزل من عند الله عزوجل، لكن ينكرها اعتمادا على البيئة السائدة، واتباعا لتقاليد موروثة، وإن كانت باطلة من أساسها، فيجيب بجواب يردده أمثاله قديما وحديثا:

---

(١) العنكبوت: ١٦-١٧.

(٢) الأنبياء: ٥٥-٥٦.

(٣) الأنبياء: ٥٣.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾[١]

والآيات في حكاية مثل هذا الجواب كثيرة جدا.

هذه هي العصبية الممقوتة للتقاليد الموروثة عند أصحابها، لا يتحركون أمامها إلا كتحرك الريشة على مهب الرياح فهم مغلوبون على أمرهم.

ولما أقام إبراهيم عليه السلام الحجة القارعة لإبطال الشرك هدده أبوه بغلظة وشدة -مع أنه خاطبه بأسلوب يفيض أدبا وتواضعا- بأني سوف أرميك بالحجارة إن أصررت على تسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، فقابله إبراهيم عليه السلام كعادته بالأدب واللين فيقول: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٢].

وكذلك خوفه قومه سوء عاقبة كفره بآلهتهم وسخرهم بهم كما حكى الله عنهم فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

تأمل كيف ناقشهم مناقشة مبرهنة ببراهين واضحة لا غموض فيها، يستسيغها كل من له أدنى تفكير سليم، تقرر تفرد الله سبحانه بالألوهية وتفند عبادة غيره.

ويهدف إيراد هذه القصة إلى إنذار المشركين العرب من سوء عاقبتهم إن استمروا على الشرك والكفر، وإنذار غيرهم من المشركين في كل مكان وكل زمان إلى يوم القيامة.

كما يهدف في نفس الوقت إلى تسلية قلب النبي عليه السلام وتقويته على المضى قدما في سبيل الدعوة وإبشاره بحسن العاقبة في الدينا والآخرة.

---

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) مريم: ٤٧.

(٣) الأنعام: ٨٠-٨٣

المسلك الثاني لإبراهيم عليه السلام في إبطال عبادة الأصنام:

لما رأى إبراهيم عليه السلام أن الحجة القولية ما نفعتهم في الامتناع عن عبادة الأصنام، وما هدتهم إلى رشدهم، سلك مسلكا عمليا، وأراد أن يقدم أمامهم برهانا عمليا على بطلان عبادتها فعزم على كسرها وهدمها بالفأس.

وما من شك أن تنفيذ هذه الخطة الجريئة ليس سهلا ميسورا، فالفرصة للخلوة بها نادرة جدا لما كان يحوطها سدنة، وحرس للحفاظ عليها، وللدفاع عنها من كل سوء، فانتظر يوما يغادرون فيه أصنامهم، وهو يوم عيد عندهم فخرجوا جميعا، وقالوا له: أن يخرج معهم، وكان قوم إبراهيم يعتقدون في النجوم بأن لها تأثيرا في عالم الكون، كما كانوا يتشاءمون من السقم وسريان العدوي، فأجابهم بأني سقيم لا أستطيع الخروج، وأكد سقمه في زعمهم بأنه نظر في النجوم، فظنوا أنه نظر في أحوال النجوم واستدل بها على سقمه فتركوه وشأنه، ولم يصروا على خروجه.

ونظره في النجوم من معاريض الأفعال، كما أن قوله: "إني سقيم" من معاريض الأقوال، أراد بهما التوصل إلى تنفيذ خطته الحكيمة، وليس النظر في النجوم بسبب اعتقاده في النجوم، وكيف يعتقده وهو أعظم عدو لعباد الكواكب، --كما سيجيء في إبطال التنجيم- وكذلك ليس قوله: "إني سقيم" كذبا، بل تورية وتعريض،[1] مثل نظره في النجوم.

وفي التورية مندوحة عن الكذب، وهو جاء لمقصد شرعي ديني، كما جاء في

---

(١) التعريض والتورية أن يطلق المتكلم لفظا هو ظاهر في معنى ويريد به معنى آخر يتناوله اللفظ، لكنه خلاف الظاهر، وهو جائز لمقصد شرعي.

انظر: كتاب الأذكار للنووي، باب التعريض والتورية، ص: ٥١٤. شرح العلامة ابن علان مختصرا، وحققه وعلق عليه محمد رياض خورشيد، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت. ورياض الصالحين، للنووي، باب بيان ما يجوز من الكذب، ص: ٥٩٢، حققه وأخرج أحاديثه عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، راجعه: شعيب أرناؤوط، دار المامون للتراث، دمشق.

الحديث: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»[١]. [٢]

فجارى إبراهيم مع قومه ظاهرا فيما يعتقدونه، فكايدهم من حيث يعتقدون ليمكن له تنفيذ خطته.

ولما وجد الأصنام خالية من الحرس، وكانوا قد تركوا أمام الأصنام طيب الأطعمة والفواكه لتبارك فيها، فقال لهم مستهزءا بهم وساخرا: لم لا تأكلون أيها الأصنام هذه الأطعمة اللذيذة؟ بدهي أنهم جماد صماء عاجزون من كل شيء.

ثم وجه إليهم سؤالا آخر متهكما: لم لا تنطقون ولا تجيبون على سؤالي؟ هنا أفرغ شحنة الغيظ حركة، لاقولا، فضرب بفأسه عليهم ضربا شديدا حتى جعلهم جميعا حطاما وجذاذا تفرقت أجزاؤهم إلا كبيرهم، ووضع الفأس في يده زيادة في إهانته.

فلما رجع القوم إلى معبدهم ووجدوا الأصنام على هذا النحو من التفتت والهوان، فدار بينهم حوار ونقاش وقلوبهم تكاد تتميز من الغيظ، كما حكى الله عن ذلك بقوله: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[٣].

فلما حضر إبراهيم عليه السلام بقلب مؤمن صادق لا يخاف أحدا إلا الله، وهو يرى تحقيق أمنيته الصادقة في هذه المناسبة لما سيجري بينه وبين قومه من المحاكمة، ويثبت فيها أمام الجمهور بالمنطق الصريح الواضح بطلان عبادتها، وجه قومه السؤال إليه: ﴿قَالُوا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري موقوفا عن عمران بن حصين، أنه قال: «إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب»، الأدب المفرد، ٣٤٤/٢، مع شرح الشيخ فضل الله الجيلاني، المكتبة الإسلامية، حمص. وقال العلامة المرتضى الزبيدي، شارح إحياء العلوم للغزالي: «روي ذلك عن ابن حصين مرفوعا وموقوفا، والموقوف أصح. انظر: الإتحاف شرح الإحياء، ٧٢/١٠، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٢١/٤. والقرطبي، ٩٣/١٥. والكشاف، ٣٤٤/٣.

(٣) الأنبياء: ٥٩-٦٠.

(٤) الأنبياء: ٦٢-٦٣.

«وهذا المنهج الذي سلكه إبراهيم عليه السلام في عمله هذا هو منهج الجدل الحي للتفاعل مع طوايا النفس وكوامن الضمير، حيث ساق إبراهيم عليه السلام جوابه لأبيه وقومه على طريق الإلزام والإفحام، ولم يكن كاذبا في قوله كما يظنه من لا علم عنده بعصمة الأنبياء، فإن إبراهيم عليه السلام ساق لهم جوابه من واقع معتقداتهم ليبرهن لهم أن تلك المعبودات لا تصلح للعبادة، وإتيان الدليل من واقع ما يعتقده الخصم أبلغ في الإلزام والإفحام.

وفرق بين سوق الدليل لمن يطلب الرشد ويبحث عن الحقيقة وبين سوقه للمعاند المعرض عن الحق فيساق لقطع لجاجته وإبطال شبهاته»[١].

وكان قول إبراهيم عليه السلام بمنزلة صيحة عليهم بددت أفكارهم، وأربكت لجاجتهم، فبقي الحوار دائرا في قرارات نفوسهم، ثم تنفسوا فقالوا: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[٢].

فهناك وجد الفرصة المنتظرة فأفحمهم ووبخهم على سفاهة عقولهم، فقال: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣].

وكما جاء في سورة الصافات: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٩٦).

إنه منطق الفطرة الواضح يتحداهم به، فليس من المعقول أن يجعل المخلوق المصنوع معبودا، بل من المعقول الصريح أن يجعل الخالق معبودا.

ومع وضوح هذه الحجة الساطعة الفطرية تمادوا في غيهم، ولجأوا إلى منطق الحديد والنار والبطش الذي لا يعرف الطغاة منطقا سواه لإطفاء نور التوحيد والعدل.

---

(١) مناهج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ص: ١٦٧-١٦٨، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ.

(٢) الأنبياء: ٦٤-٦٥.

(٣) الأنبياء: ٦٦-٦٧.

وقد حكى الله عنه بقوله: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ(٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨).

إنهم جمعوا له أكوام الحطب واشعلوا فيها النار المتأججة ليحرقوا إبراهيم عليه السلام انتقاما، ونصرة لآلهتهم في زعمهم، وما عقلوا أن رعاية الله المعبود الحقيقي تحوط عباده المخلصين، وتنصرهم على المشركين، فقال تعالى آمرا للنار: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[1].

فأصبحت النار بردا وسلاما على إبراهيم، ووجد فيها ما لم يجد طول حياته من طيب عيش وأهنئه.[2]

هكذا يتم هذا المشهد العجيب للصراع بين الحق والباطل بانتصار الحق على الباطل انتصارا رائعا يأخذ بيد المتأمل إلى الرشد والهداية.

ولا يستطيع أحد المكابرة أمامه إلا أن تعمى القلوب التي في الصدور. نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) الأنبياء: ٦٩-٧٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٩٥.

قصة إلياس عليه السلام في الرد على عبادة الصنم (البعل)

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ(١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ(١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ(١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ(١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٢٨).

معاني الكلمات:

﴿ البعل﴾ المراد به الصنم الذي كان يعبده قوم إلياس عليه السلام. وقيل: هو ملك. وقيل: امرأة كانوا يعبدونها، والمعنى الأول هو الراجح عند أكثر المفسرين.[١]

﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي: تتركون عبادة أحسن من يقال له: خالق، فالجمع على تقدير وفرض، لا على حقيقة.

أو المعنى: أحسن المصورين والصانعين، فالخلق بمعنى التصوير، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [٢]. [٣]

إن إلياس عليه السلام[٤] كما أرسل إلى أهل بعلبك غربي دمشق، وكان أهلها يعبدون صنما يسمى بعلا، وكان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعا، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربع مائة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة.[٥] فدعا إلياس عليه السلام

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي، ١١٧/١٥.

(٢) المائدة: ١١٠.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص: ١٥٧، وتفسير القرطبي، ١١٧/١٥.

(٤) قال علماء النسب: هو إلياس التشبي، ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون. وقيل: إلياس بن العزر بن العيزار بن هارون بن عمران. والراجح أنه من أنبياء بني إسرائيل، وليس هو إدريس كما زعمه البعض. وانظر: قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير: ٨٢/١، و٥٤٠/٢.

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري، ٣٥٢/٣، وتفسير القرطبي، ١١٧/١٥.

إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة البعل استنادا إلى الدليل الفطري الواضح، وهو أن الله وحده هو الرب لجميع الناس، وغيره أيا كان مخلوق مربوب، لا ينفع ولا يضر -وهذا قد بسط في قصة إبراهيم عليه السلام- فالله سبحانه وحده يستحق أن يعبد، ويخاف منه، ويرجى منه، ولكن قومه أصروا على عنادهم وعبادتهم للبعل، وكذبوه وهددوه بالقتل، فهناك نصره الله على قومه تحقيقا لسنته الدائمة في نصر الحق على الباطل، وأذاقهم خزي الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني

الرد علي عبادة الملائكة

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ(١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ(١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ(١٥٣) مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ(١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ(١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١٥٩)

معاني الكلمات:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أي فاسئلهم علي سبيل التوبيخ والإنكار.

﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ اللام للتخصيص، فالمعنى: يا أيها النبي سلهم توبيخا وتأنيبا، من أين جاءهذا التقسيم الجائر ؟إنهم كانوا يكذبون علي الله أنه اصطفي لنفسه البنات، وهن الملائكة في زعمهم.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ أم للإضراب الإنتقالي ، وفيه ترق في التوبيخ لهم علي مقالتهم الشنيعة: إن الملائكة إناث.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ أم للإضراب الإنتقالي ، والسلطان المبين: الحجة الواضحة من العقل الصريح أو النقل الصحيح، ولكن لما انتفي أن يكون هناك حجة من العقل؛ إذلا يعرف كون الملائكة إناثاعن طريق العقل طولبوا بإتيان الحجة النقلية بقوله تعالي: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ المراد بالجنة جماعة الجن ، فتأنيت اللفظ بتأويل الجماعة ، مثل تأنيث رجلة الطائفة من الرجال ، وذلك لأن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله من سروات الجن، أي من فريق نساء من الجن من أشرافهم[1]

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٨٧/٢٣.

وري أنه لما قال المشركون: الملائكة بنات الله، فقال أبوبكر رضي الله عنه[١]: فمن أمهاتهن؟ قالوا بنات سروات الجن.[٢]

وفسر بعض المفسرين الجنة بالملائكة . والأولي أنها جماعة من الجن المخالف للملائكة في الحقيقة -كما سيأتي- والوجه ما قال صاحب تفسير محاسن التأويل:

أولا : خلو هذا الكلام عن تشتيت الضمائر ؛فإنه لو أريد الملائكة بالجنة لزم أن يرجع الضمير في "إنهم "للكفرة؛ فإنهم لمحضرون العذاب، لا الملائكة ،

ثانيا : موافقته للأغلب من استعمال الجن والجنة فيما عدا الملائكة.[٣]

توضيح ما يتعلق بالآيات المذكورة:

الرد علي المشركين[٤] في عقائدهم تجاه الملائكة هو الموضوع البارز لهذه السورة، وللإشارة إلي أهمية هذا الموضوع بدأت السورة بذكر طوائف من الملائكة ، وذكرت بعض صفاتهم ووظائفهم مما يدل علي أنهم عباد الله المكرمون يحمدونه بمحامد الصفات و يقدسونه من نقائصها ، ويكونون مستعدين لتنفيذ أوامر الله، ولا يعصونه فيما يؤمرون -وسوف نذكر بعض ما جاء من صفاتهم ووظائفهم في موضعه-

والمقصود هنا ذكر خرافات المشركين و أساطيرهم في شأن الملائكة، والرد عليها في ضوء السورة الكريمة .

---

(١) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن سعد القرشي التميمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، أمه أم الخير، سلمى بنت صخر بن عامر، ابنة عم أبيه، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، هو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الأسفار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وبشره رسول الله ﷺ بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد الرسول على الإطلاق، وله مناقب وفضائل لا يمكن إحصاؤها. انظر: الإصابة، ١٠١/٤ وما بعدها، حرف العين- القسم الأول.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣٥/٤. وتفسير القاسمي، ٥٠٦٦/١٤.

(٣) تفسير القاسمي، ٥٠٦٦/١٤. وانظر: التحرير والتنوير، ١٨٧/٢٣. وفي ظلال القرآن، ٣٠٠١/٢٣.

(٤) والقائلون بهذه الخرافة هم بعض قبائل العرب، كجهينة وخزاعة، وبني مليح، وبني سلمة، وبني عبدار، فقد زعموا أن الملائكة بنات الله. انظر: تفسير القرطبي، ١٣٣/١٥.

يعود سياق الآيات إلي المناقشة الحادة مع المشركين في مزاعمهم تجاه الملائكة، فيذكر هنا ثلاثة من أقوالهم الشنيعة:

الأول : أن الله اختار لنفسه بنات، وهن الملائكة

الثاني: أن الملائكة إناث،

الثالث: أن الله ولد الملائكة -تعالي الله عما يقول المشركون علوا كبيرا-.

ويطالبهم لإثباتها بدليل من الأدلة الثلاثة المسلمة -الحس والنظر والخبر- لاسيما لصحج اثنين منها، وهما زعم أن الملائكة بنات الله، وزعم أنهم إناث، في أسلوب سؤال إنكاري ساخر متكرر يفيض غيظا واستنكارا شديدا وتبكيتا زاجرا وتسفيها لأحلامهم، ويكتفي السياق في الفرية الثالثة بتكذيبهم .

ثم ينتقل السياق إلي ذكرأسطورة أخري، لأنها منشأ للأسطورة السابقة، فلنأخذ هذه الأساطير الشركية وندحضها في ضوء السورة.

يبدأ السياق مناقشتهم في أسلوب سؤال ساخر بقوله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ أي هل هذا الإختيار والتقسيم مبني علي العدل والإنصاف في نظركم أنتم؟ وفي حكم بيئتكم التي تعيشون فيها؟ ولو سلمنا جدلا أن لله بنات ، أنتم ترون عارا شنيعا علي جبينكم في ولادة البنات ، وتحتقرون نفوسهن وإذا بشر أحدكم بولادة الأنثي اسود وجهه بشدة الغضب، وحاول الاختفاء من قومه بسبب العار الذي يلحقه بسبب ولادتها كأنهامصيبة، وليست هبة إلهية ، ثم يتفكر ماذا يصنع؟ أيعيش مع هذه الأنثي عل ذل وهوان ، أم يدسهافي التراب حية ؟.

وقد حكي القرآن عن حالتهم النفسية القلقة عن ولادة الأنثي في معرض الإنكار علي جعلهم له البنات، فقال : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١)

وقد ندد القرآن الكريم بهذا التقسيم الجائر حتي بمقاييسهم أكثر من مرة.

---

(١) النحل: ٥٧-٥٩.

فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾[١]

وقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[٢]

وقال: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[٣]

ولاشك أن هذا الزعم خرافة سخيفة واضحة، وأسطورة ناتجة من نسيج الوهم الباطل، لا تستند إلى دليل معقول من النظر الصحيح ، حتي من حكم العرف السائد عندهم، وإليه الإشارة بقوله تعالي: ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ أي: أما لكم عقول تتدبرون بها ماتقولون، وتتفكرون في صحة ما تعتقدون فالعقل يقضي ببطلان مثل هذا.

و﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا خطأ وفساد زعمكم، وترجعوا علي أنفسكم باللائمة فيما تزعمون .

وإليه الإشارة بقوله تعالي : ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي اعتقادكم فاسد بحكم بيئتكم أيضا ، فضلا عن حكم العقل السليم ؛ فإن بيئتكم تقضي أيضا ببطلان هذا التقسيم، فالأنثي مفضول عندهم ،والخالق أفضل فكيف تصح نسبة المفضول إلي الأفضل؟

---

(١) الزخرف: ١٦.

(٢) الطور: ٣٩.

(٣) النجم: ٢١-٢٢.

الرد البليغ على مزاعمهم الأخرى

زعموا أن الملائكة إناث فيعود السياق إلى نقض هذه الفرية، ويحاصرها من كل مسارب، ويضيق عليهم كل باب في سورة سؤال متكرر ساخر.

يبدأ المناقشة معهم في إثبات هذا الزعم بمطالبة ما يثبت صحته من دليل قاطع من الأدلة الثلاثة -الحس والنظر والخبر الصادق- إذ من المسلم أن طريق معرفة الأمور ينحصر في الثلاثة المذكورة.[١]

فما هو الدليل أيها المشركون يدل على صدق دعواكم؟ هل عندكم دليل الحس والمشاهدة؟ فشاهدتم الملائكة إناثا حينما خلقهم الله، وكنتم موجودين آنذاك.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[٢]

ولا يخفى ما فيه من التهديد الشديد، والوعيد الأكيد على تقولهم وافترائهم بهذه الفرية، فتسجل شهادتهم هذه ويطالبون بإثباتها يوم القيامة. ومعلوم بداهة أن دليل المشاهدة منتف وغير موجود، فلا يستطيع أحد أن يقول: إنه كان شاهدا عند ما خلق الله الملائكة.

ثم يعود السياق إلى مطالبة الدليلين الآخرين بقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ فهل عندكم دليل العقل؟ أى هل عرفتم كون الملائكة إناثا عن طريق الاستنتاج العقلي، وهذا يستحيل؛ لأن العقل لايدل على أن الملائكة إناث، ولا على أنهم ذكور، لكون هذا الموضوع من علم الغيب، لايستطيع العقل معرفته، وبقي دليل آخر، وهو دليل الخبر الصادق، وطالبت الآية الكريمة تقديم هذا الدليل صراحة، وما تعرضت صراحة بمطالبة دليل العقلي؛ لأن انتفاء هذا الدليل مقطوع، ومن هنا فرع على قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ بمطالبة دليل النقل بقوله: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣]

---

(١) انظر: تفسير الرازي، ١٦٩/٢٦. والكشاف للزمخشري، ٣٥٤/٣. والتحرير والتنوير ١٨٤/٢٣.

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ١٨٤/٢٣.

وهذه المطالبة بإتيان دليل النقل من قبيل المطالبة بإتيان مثل القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]

فهو أمر تعجيز، لا يستطيعون أن يأتوا بدليل من النقل الثابت من عند الله.

إن النقل الثابت من عند الله هو الوحي المنزل على رسله وأنبيائه عليهم السلام، وكلهم متفقون على نفي الولد والشريك لله سبحانه، وعلى دعوتهم إلى التوحيد الخالص - كما مر سابقا -.

نتأمل كيف حاصر القرآن الكريم أسطورة المشركين من جميع المسارب، وأفحمهم بمنطق الحجة والبرهان، وبكتهم بهذه المناقشة المبنية على القوانين العقلية، ولذلك صاروا كالمعترفين بأن لا دليل لهم على مازعموا، بل هم مفترون كاذبون.

ونجد نظير هذه المجادلة المحكمة في غير هذا الموضع من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[٢]

إن هذه الآيات ناطقة بتسفيه أحلام المشركين وتجهيل نفوسهم مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بال، ويحدث به نفسا، فضلا أن يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا.[٣]

وأما افتراؤهم الثالث بأن الله ولد الملائكة، فاكتفى السياق في الرد عليه بأنه جاء من إفكهم والكذب الواضح، ليس له أيّ نصيب من الصحة، فلا شك في كونهم كاذبين فيه.

---

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) الزخرف: ١٥-١٩.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري، ٣/٣٥٥.

إن هذا الافتراء قد يشترك فيه اليهود والنصارى مع المشركين، كما حكى الله عنهم هذا فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]

وقد أبطل القرآن الكريم هذه الفرية ببرهان قاطع فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فنفي التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد، وأن التولد إنما يكون بين اثنين، وهو سبحانه لا صاحبة له، وأيضا: فإنه خلق كل شيء، وخلقه لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء، وهو بكل شيء عليم، وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلا بإرادته، فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع، فيمتنع مع كونه عالما أن يكون كالأمور الطبيعية التي تتولد عنها الأشياء بلاشعور، كالحار والبارد، فلا يجوز إضافة الولد إليه بوجه»[3].

وبما أن الكائنات كلها ظاهر فيها كونها مخلوقة بكل معاني الكلمة من الحدوث والافتقار الذاتي للخالق عزوجل، ينكر الله سبحانه على المفترين بأن له ولدا إنكارا شديدا، ويعظم هذه المقالة الشنيعة المخالفة لفطرة الكائنات، المهددة لتعطيلها، فيقول: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[4]

فلنتفكر في هذه الآيات كيف تصور عظم شناعة هذه المقالة النابية، وتصور مشهدا مخيفا لغضب ذي الجلال والجبروت، الذي يكاد يعطل نظام الكون كله بتلك المقالة فتنفطر السماوات وتنشق الأرض وتندك الجبال، لولا كان حلمه ووقاره سبحانه.

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) الأنعام: ١٠١.

(٣) الرد على المنطقيين، ص ٢١٩.

(٤) مريم: ٨٨-٩٥.

كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١]

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآيات المذكورة: «إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين -الجن والإنس- وكادت أن تزول لعظمة الله»[٢].

وفي نفس الوقت تفند الآيات الفرية المذكورة بحجة قوية، وهي: ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأتي الرحمن عبدا، أى: يأوى إليه ويلتجئ إليه عبدا منقادا خاشعا راجيا، وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره، وهو مهيمن عليهم، محيط بهم، وبجمل أمورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد، وهم برآء منهم.[٣]

تبين من هذا كله أن نسبة الولد لله سبحانه مما تستحيله الفطرة السليمة، والعقول الصحيحة.

الرد على الأسطورة الأخرى:

وهي ما يستفاد من الآيات: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

لما افترى المشركون أن الملائكة بنات الله فاختلقوا من عند أنفسهم كيفية الولادة، فقالوا: إن الله -سبحانه- تزوج من بنات سروات الجن وتولد من هذا التزاوج الملائكة، رد الله على هذه الفرية ردا مفحما، فقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أى: من أين تفترون هذه الفرية؟ ولقد علمت الجنة علما بأنهم يحضرون العذاب المهين يوم القيامة لعصيانهم وفسوقهم، فلو كانوا من أقرباء الله لما رأوا هذه

---

(١) فاطر: ٤١.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٢٢٣.

(٣) انظر: الكشاف، ٢/٥٢٧.

المعاملة المخزية، إذ أن القرابة تستحق احترام القريب وإكرامه في منطق الناس، فما بال هؤلاء المشركين يهرفون بما يعرف بطلانه وسخافته في أول وهلة.

ونظير هذا الرد قوله تعالى ردا على اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[1]

من المعلوم بداهة أن الحبيب لا يهين كرامة حبيبه بالتعذيب فلأيّ شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، وقد اعترفتم بأنه سيعذبكم في الآخرة بالنار أيّامًا معدودة بعدد أيام عبادتكم العجل، ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر، ولما وقع عليكم ما وقع.

ثم ينزه الله نفسه عن الولد والنسب لعدم العلاقة، أيّ علاقة بينه وبين غيره، فهو خالق وغيره مخلوق، وهو صمد وغني وغيره محتاج فقير إليه، فمن المستحيل عقلا أن يكون غيره ندا له بوجه من الوجوه، ثم يستثنى الله من المحضرين العذاب المخلصين منهم، وهم المؤمنون المؤحدون، فهم لا يعذبون بالنار بسبب توحيدهم في العبادة لله سبحانه.

---

(١) المائدة: ١٨.

في بيان عجز العابد والمعبود

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ(١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ(١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣).

يقول سبحانه ردا على زعم المشركين بأنهم ومعبوداتهم يملكون نفعا وضرا للآخرين: أيها المشركون أنتم ومعبوداتكم باطلة لا تستطيعون إفساد أمر الله في شأن عباده المخلصين -ولا تقدرون على فتنتهم،

إنما يقع في حبالة فتنتكم من هو مثلكم ضال ومشرك وقدر في علم الله أنه من أصحاب الجحيم بكفره وشركه، فللجحيم وقود من نوع معروف- طبيعته تؤهله أن يستجيب للفتنة ويستمع للفاتنين.

أما المخلص الباقي على فطرته الأصلية فلا يستجيب للفتنة لصفاء قلبه المنور بنور التوحيد.

إن المشركين كانوا يموهون للناس أن الجن تنفع وتضر، وأن الأصنام كذلك، وكانوا يخوفون الناس من بأسها وانتقامها، كما قالت امرأة الطفيل الدوسي[1] لما أسلم ودعاها إلى الإسلام: ألا تخشى على الصبية من ذي الشرى[2]؟ قال: لا. فأسلمت. وكانوا يزعمون أن من يسب الأصنام يصيبه البرص والجذام.[3]

---

(١) هو: الطفيل بن عمرو بن طريف، من قبيلة دوس، صحابي، لقبه ذو النور، أسلم بمكة ورجع إلى بلاد قومه، وأتى النبي ﷺ في عمرة القضية، وشهد الفتح بمكة، ومات شهيدا يوم اليمامة على القول الراجح. انظر: الإصابة، ٢٨٦/٣ وما بعدها -حرف الطاء، القسم الأول.

(٢) هو اسم صنم لقبيلة دوس.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٤٠٩/١، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين الخطيب، دار الفكر، بيروت.

قال ابن إسحاق[١]: «لما قدم ضمام بن ثعلبة[٢] وافد بني سعد بن بكر على قومه من عند النبي ﷺ قال في قومه: «بئست اللات والعزى، فقالوا: يا ضمام إتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.[٣]

هكذا يعيش المشرك في مخاوف باطلة ويموت عليها، أما المؤمن المخلص فلا يخاف أحدا إلا الله سبحانه؛ لأنه يعتقد اعتقادا جازما أن غيره لا يملك له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فهو مستمسك بالعروة الوثقى -عروة التوحيد- التي يأمن بها عن الوقوع في فتنة الأوهام الشركية.

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المولى: من أقدم مؤرخي العرب، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث. قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار، توفى: ١٥١هـ، انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٢٨.

(٢) هو: ضمام بن ثعلبة السعدي، من بني سعد بن بكر، صحابي، قال رسول الله ﷺ في حقه: «فقه الرجل»، وكان عمر بن الخطاب يقول: «ما رأيت أحدا أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة». انظر: الإصابة، ٣/٢٧١. حرف الضاد، القسم الأول.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٤/٢٤٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

رد الملائكة على المشركين باعترافهم بالعبودية الكاملة لله وحده.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ(١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ(١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦).

يقول الملائكة الأبرار عليهم السلام ردا على المشركين: أي: وما منا ملك إلا له مرتبة ومنزلة ووظيفة لا يتعداها، فمنا المؤكل بالأرزاق، ومنا المؤكل بالآجال، ومنا من يتنزل بالوحي، ولكل منزلته من العبادة والتقريب والتشريف، والواقفون في العبادة صفوفا، والمنزهون الله سبحانه عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه.[١]

فنحن متقيدون في طاعة أوامر الله وعبادته تقيدا كاملا لانتجاوزها قيد شعرة، فلسنا نحن شركاء لله عزوجل في ربوبيته وألوهيته، ولا علاقة بينه وبيننا بالنسب ونحوه، إنه المعبود ونحن عباده المخلصون.

«ففي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال: إنهم بنات الله وشركاؤه؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية لله، والطاعة له، والتنزيه له جل وعلا»[٢].

تنزيه الله عزوجل نفسه عن ما لا يليق به وتحميده بما يليق به.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٨٠) وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ(١٨١) وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١٨٢).

تختتم السورة بهذه الآيات الجامعة الملخصة بجميع قضايا السورة، فهي جمعت تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به من صفات النقص، والثناء على الرسل والملائكة، وحمد الله على ما سبق ذكره من نعمة على المسلمين من هدى ونصر وفوز بالنعيم المقيم.[٣] ونقمة على المشركين من إذلالهم بسوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة؛ فإنها هي الجزاء الأوفق الذي اقتضاها العدل والحكمة الربانية، فهما من صفات الكمال لله

---

(١) صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، ٤٦/٣، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، دار القرآن الكريم، بيروت.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل.

(٣) التحرير والتنوير، ١٩٨/٢٣- ١٩٩.

عزوجل، يستحق الثناء عليهما، كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١]. [٢]

بدأت السورة الكريمة بإثبات وحدانية الله في الألوهية والربوبية وختمت به أيضا ليتم التناسق والانسجام بين البداية والنهاية.

وفي هذا الختم الرائع أدب رباني لعباده المؤمنين أن يقولوا هذه الكلمات المباركة في ختام أعمالهم.

فقد ورد في الحديث: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك رب العزة ... الخ». [٣]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولامرتين، يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» [٥].

فعلى المؤمن أن يتحلى بهذا الأدب الكريم عند ختام المجلس وختام الأعمال الجليلة تجديدا لروح الإيمان واكتسابا للأجر الجزيل.

---

(١) الأنعام: ٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ١٤٢/١٥. والجلالين، ص: ٥٤٩، دار الريال للتراث.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي مرسلا، وأخرجه البغوي في تفسيره من وجه آخر عن علي موقوفا. انظر: الدر المنثور، للسيوطي، ١٤١/٧.

(٤) هو: سعد بن مالك بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، كان من أفاضل الصحابة، وحفظ حديثا كثيرا. انظر: الإصابة، ٣/ ٨٥-٨٦، حرف السين، القسم الأول.

(٥) رواه غير واحد من أئمة الحديث. انظر: الدر المنثور، ١٤١/٧. وتفسير ابن كثير، ٣٩/٤. وفتح القدير، للشوكاني، ٤١٧/٤.

المبحث الثالث في صفات الملائكة و أعمالهم

فقد تقدم ذكر الملائكة إجمالا في المبحث السابق حسب ما اقتضاه المقام، و الآن أريد ذكرهم بشيء من التفصيل من حيث صفاتهم و أعمالهم التي أشارت إليها عدة آيات في السورة.

و هي ﴿ وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) ﴾ و ﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُوْنَ ﴾ (١٦٦).

و حيث إن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، و إنهم عالم من عوالم الغيب، لايستطيع العقل الإنساني التوصل إلى ما يجب معرفته من أحوالهم وأعمالهم، فينبغي أن أذكرها في ضوء آيات هذه السورة و نصوص أخرى من الكتاب و السنة مراعيا الإختصار، ليكون التصور عنهم تصورا واضحا فيعمق الإيمان بهم في النفوس، و يرد على ما شابه من خرافات و أوهام.

معنى الملائكة لغة: هو مفرد الملك بفتح اللام، و أصله مألك، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل: ملأك، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، و قد يستعمل متمما و الحذف أكثر.

و الجمع ملائكة، دخلت فيها الهاء لا لعجمة و لا لنسب و لكن على حد دخولها في القشاعمة و الصياقلة.

و الملك مأخوذ من الألوك و المألكة و المألك، و هي بمعنى الرسالة.[١]

و معناه شرعا: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات،[٢] و أعمالها القيام بأوامر الله بدون معصية في شيء منها.[٣]

---

(١) أنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: ألك، ١٠/٣٩٢ - ٣٩٤، و المفردات في غريب القرآن، ص: ٢١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، ٦/٢٣٢.

(٣) و على هذا تدل نصوص كثيرة كما مر بعضها في المبحث السابق ، و كما سيأتي بعضها.

أولا : من صفاتهم.

منها مادة خلقهم:

قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور، و خلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».[١]

اكتفى الرسول ﷺ بأنهم خلقوا من نور و لم يبين أي نور هذا الذي خلقوا منه، فليس لنا أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث، فعلينا أن نقف عند النصوص في مثل هذه الأمور، لأنها خارجة عن مدارك العقل.[٢]

منها : أن الله خلقهم أعظم و أكبر خلقة و قوة من الجن و الإنس.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُوْنَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ ﴾ [٣]

مع تفاوتهم في مراتب القوة و الخلق، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَ ثُلاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤]

و يظهر من مطالعة النصوص في شأن جبريل عليه السلام، أمين الوحي أن الله عزوجل قد وهبه من القوة و العظمة في الخلق أكثر من غيره.

فقد روي أن رسول الله ﷺ رأي جبرئيل عليه السلام في صورته و له ست مائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل من الدرر و اليواقيت ما

---

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد و الرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ٤/٢٢٩٤، ٢٢٩٦.

(٢) أنظر: عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر سليمان الأشقر، ص: ٩ - ١٠، الطبعة السادسة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م ، مكتبة الفلاح، دار النفائس - الكويت.

(٣) التحريم : ٦.

(٤) فاطر: ١.

الله به عليم»[١].[٢]

و قد قال عليه السلام في عظمة حملة العرش: «أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش، ما بين شحمة أذنيه و عاتقه مسيرة سبع مائة عام».[٣]

أما قوتهم الخارقة فقد تظهر بكونهم حاملين العرش العظيم يوم القيامة مع قلة عددهم، و هم ثمانية، كما قال تعالى: ﴿ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[٤]

و منها أن لهم أجنحة:

و هي متفاوتة في العدد، فالبعض منهم له جناحان، و البعض له ثلاثة أجنحة و البعض له أربعة، و البعض له أكثر من أربعة، كما أخبرنا الله بها في قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَ ثُلاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥]

و منها أنهم لا يوصفون بذكورة و لا أنوثة:

فقد رأينا في مبحث الرد على عبادة الملائكة أن المشركين كانوا يصفونهم بالأنوثة و رد الله على هذه الفرية أبلغ رد، و بين سخافتها بأقوى حجة.

إن الملائكة نوع مغاير لنوع الإنس و الجن في الحقيقة فلا يوصفون بالذكورة و الأنوثة. و من ثم نص العلماء على تكفير من قال بأنوثة الملائكة لمعارضته صريح النص القرآني، و على تفسيق من قال بذكورتهم لعدم ورود الخبر بذلك.[٦]

---

(١) و المراد بتهاويل جبرئيل عليه السلام مبدعات جماله مثل الدر و اليواقيت.

(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في مسنده، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٨٢/٥ ، ٣٧٤٨، و سنده جيد قوي كما قال. ط: ١٣٧٠ هـ، دار المعارف بمصر.

(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رواه أبو داؤد باسناد صحيح، أنظر: مشكاة المصابيح، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، كتاب أحوال القيامة، باب بدء الخلق و ذكر الأنبياء، ١٥٩٦/٣ ، ٥٧٢٨.

(٤) الحاقة : ١٧.

(٥) الفاطر : ١.

(٦) ينظر تفسير الرازي ٢٠٣/٢٧، و تفسير أبي السعود ٨٠/٥، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، و روح المعاني للآلوسي ٧١/٢٥ - ٧٢، و الإيمان بالملائكة للشيخ عبد الله سراج الدين، ص: ٢٢، الطبعة الأول، ١٣٩١هـ، و تبسيط العقائد الأسلامية للشيخ حسن محمد أيوب، ص: ١٥٦، ط: ١٣٩١ هـ، مكتبة الثقافة العربية - الكويت.

و من صفاتهم: أنهم لا يأكلون و لا يشربون.

فقد أخبر الله عزوجل حكاية عن ملائكة عذاب لقوم لوط عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ (١)

و في آية أخرى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٢)

فهم ما أكلوا و شربوا ما قدمه إليهم إبراهيم عليه السلام من طعام و شراب ضيافة لهم ظنا منه أنهم بشر، فلما أخبروه بحقيقتهم ذهب الروع من قلبه.

ومن صفاتهم: أنهم يسكنون السماء:

قال تعالى: ﴿ فَالَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ و النَّهَارِ وَ هُمْ لا يَسْئَمُونَ ﴾ (٣)

و لأن السماء مساكنهم سموا بالملأ الأعلى، و لأن الأرض مساكن الجن و الإنس سموا بالملأ الأسفل. (٤)

و قال ﷺ في الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأهم» (٥) و هم الملائكة عليهم السلام، و لكنهم يتنزلون إلى الأرض لأداء مسئولياتهم التي تتعلق بهذا الكون السافل.

ومن أهم صفاتهم: العصمة:

إن العصمة من جميع المعاصي هي صفة لجميع الملائكة، فلا يعملون إلا ما أمر الله به

---

(١) الذاريات : ٢٤ - ٢٨.

(٢) هود : ٧٠.

(٣) فصلت : ٣٨.

(٤) أنظر: الكشاف للزمخشري ٣/٣٣٦.

(٥) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله : ﴿ و يحذركم الله نفسه ﴾ ٦/٢٦٩٤، ٦٩٧٠، و مسلم في صحيحه، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة ، باب الحث على ذكر الله، ٤/٢٠٦١، ٢٦٧٥.

و لا يخالفون قيد شعرة ما أنيط بهم من القيام بمهام و تنفيذها.

كما قال جل و علا: ﴿ وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَولِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [1]

و كما قال سبحانه: ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ ﴾ [2] فهم من ناحية القول لا يتقدمون بقول إلا من بعد إذن الله لهم.

و أما من ناحية العمل فلا يتحركون لعمل إلا بأمره عزوجل.

و بالجملة أنهم مطبوعون على طاعة الله فيمتثلون بأوامره بدون كلفة و مشقة.

---

(١) الأنبياء : ٢٧.

(٢) التحريم : ٦.

ثانيا : أعمالهم و وظائفهم:

أعمالهم:

إن الملائكة الأبرار عليهم السلام عباد الله المكرمون يتصفون بكل صفات العبودية، فهم أمام أوامر الله كالريشة في مهب الرياح، تحركهم و توقفهم، و لا خيرة لهم من عند أنفسهم.

و مما كلفهم الله بالقيام به بعض الأمور التعبدية، فيقومون بأحسن قيام.منها:

التسبيح والتحميد:

فأعظم ذكرهم التسبيح و التقديس و التنزيه لذات الله سبحانه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص و العيب، و تحميده بكل ما يليق به من صفات الكمال و الجلال.

و إلى هذه الصفة جاءت إشارة في قوله تعالى من السورة: ﴿ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ .

و في قوله تعالى: ﴿ الَّذِيْنَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [١]

و في قوله تعالى : ﴿ وَ الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [٢]

و في قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [٣] و نحو ذلك.

فهذه الآيات تدل دلالة قاطعة أن التسبيح أعظم و أفضل ذكر للملائكة، يكونون رطب اللسان به دائما و لا يفترون، بل يفتخرون بأن التسبيح ذكرهم الخاص بهم حق لهم أن يفخروا بذلك، فكأن الغير لا يسبح الله كما يستحقه، و الذي يؤدي حقه هم الملائكة فقط، و من ثم قالوا: ﴿ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ بتعريف الخبر.[٤]

و قال رسول الله ﷺ في فضل التسبيح حينما سئل عن أفضل الذكر: «ما اصطفى

---

(١) الغافر: ٧.

(٢) الشورى : ٥.

(٣) الأنبياء : ٢٠.

(٤) من المعروف في علم البلاغة أن تعريف الخبر يفيد حصره في المبتداء، ومع ذلك فهو محمول على المبالغة لا الحقيقة؛ فإن الملائكة أيضا لا يستطيعون أن يؤدوا حق عبادته سبحانه.

الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله و بحمده».[١]

و قد ورد في فضل هذه الكلمة غير واحد من الأحاديث، منها قول الرسول ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».[٢]

الصلاة:

و من الأمور التعبدية الصلاة فالملائكة أيضا يصلون فيقومون و يركعون ويسجدون.

و إلى أهم صفة من صفاتها المتممة لها ورد ذكرها في قوله تعالى في السورة : ﴿ وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (١) ﴾

و في قوله تعالى: ﴿ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) ﴾

فقد ورد في كيفية اصطفافهم في الصلاة و الحث بالإقتداء بهم فيه، قال رسول الله ﷺ : «أ لا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقالوا: و كيف يصفون عند ربهم؟ قال: يكملون الصفوف الأول و يتراصون في الصف»[٣] .

و قال رسول الله ﷺ فيما فضل الله هذه الأمة على بقية الأمم : «وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة»[٤] .

و قد ورد أن الملائكة يقومون و يركعون و يسجدون في صلاتهم، فروي أنه بينما كان رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: أتسمعون ما أسمع؟ فقالوا ما نسمع من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الذكر، باب فضل سبحان الله و بحمده، ٢٠٩٣/٤، ٢٧٣١.

(٢) آخر حديث في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب التوحيد، باب قول الله عزوجل: ﴿وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ و أن أعمال بني آدم و قولهم يوزن ، ٢٧٤٩/٦، ٧١٢٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة و إتمام الصفوف، ٣٢٢/١ ، ٤٣٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه، كتاب المساجد، باب.....، ٣٧٨/١ ، ٥٢٢.

شيء. قال: إني لأسمع أطيط السماء، و ما تلام أن تئط، و ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم »[١].

و منها الحج :

فالملائكة أيضا يحجون إلى كعبة لهم و هي في السماء السابعة، و سماها الله بالبيت المعمور، و أقسم به في قوله تعالى: ﴿ وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ [٢]

قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء بعد ما جاوز السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٣].

يقول الحافظ ابن كثير[٤] رحمه الله في تفسيره: «يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وجد إبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقاله له بيت العزة - والله أعلم»[٥].

فالملائكة عليهم السلام يقومون بشعائر الحج وفق ما أمرهم الله، فيتعبدون ويطوفون حول الكعبتهم مكبرين مهللين.

---

(١) رواه الطحاوي في مشكل الآثار، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، والطبراني في المعجم الكبير، قال فيه الشيخ الألباني: صحيح على شرط مسلم. أنظر: السلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٥٣١ - ٥٣٢ ، ٨٥٢. الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) الطور : ٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٣/١١٧٤ ، ٣٠٣٥، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء، ١/١٥٠ ، ٢٦٤.

(٤) هو اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصروي ثم الدمشقي، (٧٠١ هـ - ٧٧٤ هـ) أبو الفداء، عماد الدين، حافظ، مؤرخ، فقيه، تناقل الناس تصانيفه في حياته. من أشهر كتبه، تفسير القرآن العظيم في التفسير، و البداية و النهاية في التاريخ، اختصار علوم الحديث في مصطلح الحديث. أنظر: الأعلام للزركلي، ١/٣٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير.٤/٣٧٠.

ومنها الخوف والخشية:

الخوف والخشية من الله عزوجل أعظم وأكبر صفة للملائكة الأطهار عليهم السلام، فإنهم يشاهدون الذات العلي الكبير وصفاته الكمال، وأفعاله العظام، إذ أن الله عزوجل ليس من الغيب بالنسبة لهم بخلاف الجن والإنس، فمن المقطوع أن مدى خوفهم وخشيتهم من الله عزوجل بالغ إلى نهايته، يقول الله عزوجل: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١].

ويقول سبحانه كذلك: ﴿ وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢].

فقد روي أن النبي ﷺ قال:

«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير»[٣].

فضرب الملائكة بأجنحتها من شدة خوفهم من الله عزوجل، ومن هذا يخرون لله ساجدين خاشعين قانتين.[٤]

فهذه نماذج عبادتهم لله سبحانه التي تمثل عبوديتهم الكاملة أمام جناب القدس عزوجل، وجاء ذكرها لنقتدي بهم ونتأسى بهم فننال رحمة من الله عزوجل ومكانة عنده.

---

(١) الأنبياء : ٢٨.

(٢) سبأ : ٢٣.

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ... ﴾ الخ. ٤/١٨٠٤، ٤٥٢٢.

(٤) أنظر: تفسير ابن كثير، فقد ذكر عدة أحاديث صحيحة في خشية الملائكة، ٣/٨٥٤ - ٨٥٥.

ب : أعمالهم الأخرى:

و للملائكة أعمال غير تعبدية و هم في هذا المجال أصناف، و لهم وظائف فيختلف عمل البعض من عمل البعض، فالبعض مؤكل بالإنسان بمختلف شئونه و البعض مؤكل بغيره من الكون من السحاب و الجبال و نحو ذلك.

و كذلك لهم درجات عند الله مكانة و منزلة، فالبعض أفضل من البعض، و قوله تعالى: ﴿ وَ مَا مِنَّا إلا مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ يتضمن كل ذلك المذكور.

فالآن نذكر هذه الأعمال بايجاز.

أفاضل الملائكة :

أولا: جبرئيل عليه السلام:

إنه أفضل الملائكة أجمعين و أقربهم عند الله مكانة و رتبة لتظاهر الأدلة على أفضليته. فقد أثنى الله تعالى عليه بمحامد صفاته و كريم منزلته عنده فقال: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (١)

فوصفه بأنه رسول الوحي إلى الرسل و الأنبياء و أنه كريم عنده و أنه ذو قوة ومكانة مرموقة عند ربه، و أنه مطاع في السماوات ، و أنه أمين على الوحي.

و وصفه الله بالروح الأمين في قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٢)

و بروح القدس في قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣) .

من وظائفه عليه السلام: تبليغ الوحي.

من أهم ما يتميز به جبرئيل عليه السلام أنه يتنزل بالوحي إلى الأنبياء، و ينزل الكتب عليهم؛ و لذلك يسمى الناموس الأكبر، فان الناموس في أصل اللغة هو

---

(١) التكوير: ١٩ - ٢١.

(٢) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) النحل: ١٠٢.

صاحب سر الخبر، فهو أمين الله عزوجل على أسراره الموحاة إلى أنبياءه صلوات الله عليهم أجمعين.[١]

ومنها: تاييد الله رسله به.

فقال تعالى في تاييده عيسى عليه السلام: ﴿ وَ آتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٢] فقد حفظه الله من شر اليهود و مكرهم بقتله بواسطة جبرئيل عليه السلام.

و قال تعالى في تاييد النبي محمد ﷺ به: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [٣]

إن طواغيتَ قريش كانوا يحاولون دائما إيذاء النبي ﷺ بأصناف الأذى فوكل الله جبرئيل عليه السلام لحمايته ﷺ منهم، و إيقاع العذاب عليهم في أوقات مختلفة.[٤]

ومنها تائيد عباده الصالحين به:

فقد ثبت أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت رضي الله عنه[٥] : «أهجهم - يعني المشركين - و جبرئيل معك».[٦]

و منها: إيقاع الله عزوجل العقوبات لمكذبي الرسل و التاركين أوامره بواسطته عليه السلام، فهو الذي صاح بقوم ثمود فسقطوا على وجوههم لا صقين بالتراب.

---

(١) أنظر: الإيمان بالملائكة للشيخ عبد الله سراج الدين ص: ٦٦. و قد سماه ورقة بن نوفل عم خديجة رضي الله عنها بالناموس في الحديث المشهور ببدء الوحي.

(٢) البقرة: ٨٧.

(٣) الحجر : ٩٤.

(٤) أنظر: تفسير ابن كثير ٨٦٧/٢.

(٥) هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، ثم النجاري، شاعر رسول الله ﷺ ، عاش» في الجاهلية ستين ، و في الإسلام ستين، و مات و هو ابن عشرين و مائة، و كان يوضع له المنبر في المسجد ليهجو المشركين و المنافقين. الإصابة: ٨/٢ - ٩.حرف الحاء، القسم الأول.

(٦) من حديث براء بن عازب رضي الله عنه، رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ١١٧٦/٣، ٣٠٤١. و مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل حسان بن ثابت ١٩٣٢/٤، ٢٤٨٦.

قال تعالى: (وَ أَخَذَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (١) .

و هو الذي رفع مدائن قوم لوط و قلب عاليها سافلها، قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ) (٢)

و بالجملة أن جبرئيل عليه السلام قد يشارك في جميع المناسبات و الظروف التي عذب الله فيها الكافرين المعاندين و نجى المؤمنين فيها. (٣)

ثانيا: اسرافيل عليه السلام:

هو ملك من أفاضل الملائكة مؤكل للنفخ في الصور و هو القرن(٤) قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٥)

و قال النبي ص : «كيف أنعم و قد التقم صاحب القرن القرن و حنى جبهته ينتظر أن يؤمر فينفخ». (٦)

ثالثا: و منهم ميكائيل عليه السلام:

فهو عليه السلام مؤكل على النبات و المطر.

قد ورد عن النبي ص أنه قال في حديث طويل: «قلت يا جبرئيل على أي شيء أنت؟ فقال: على الرياح و الجنود. قلت: على أي شيء ميكائيل؟ فقال: على النبات والقطر». (٧)

و من وظائفه شد الأزر عند احتدام الأمر و حدوث مشكلة للرسول ص . فقد قال

---

(١) هود : ٦٧.

(٢) هود : ٨٢.

(٣) أنظر: كتاب الإيمان بالملائكة للشيخ عبد الله، ص: ٧٧ - ٨٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٤.

(٥) الزمر: ٦٨.

(٦) من حديث أبي سعيد الخدري، رواه الترمذي، كتاب القيامة، باب ما جاء في الصور ٧/١١٧ - ١١٨، ٢٥٤٨، مع شرح تحفة الأحوذي، و قال: هذا حديث حسن.

(٧) قد ذكره السيوطي في تفسيره: الدر المنثور ١/٢٢٦، و قال: سنده حسن، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الفكر - بيروت.

النبي ص : «إن لي وزيرين من أهل السماء و وزيرين من أهل الأرض، فوزيراي من أهل السماء جبرئيل و ميكائيل، و وزيراي من أهل الأرض أبو بكر و عمر(١).(٢)

رابعا من أكابر الملائكة: حملة العرش:

قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ)(٣) فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعززا و تشرفا، و في ذلك مظهر لسلطان الملك و مقام هيبة الربوبية.

الملائكة من غيرهم و هم أصناف:

١- ملائكة الجنة، يقومون على تجميلها و تحسينها، و سوف يستقبلون الذين يدخلونها بالترحاب و التحية المباركة.

قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدَنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (٤)

٢- ملائكة النار و اسمهم الزبانية: يقول تعالى في وصف جهنم مبينا أن المشرفين عليها تسعة عشر من الملائكة: (وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَ مَاجَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً) (٥)

و يقول تعالى: (كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين، و أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، و كان إليه السفارة في الجاهلية، و كان عند المبعث شديدا على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحا على المسلمين و فرحا لهم من الضيق، قال ابن مسعود: ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر رضي الله عنه، و قد سماه الرسول ﷺ بالفاروق، و قد قال: «ما لقيك الشيطان قطّ سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك»، و فضائله أكثر من أن تحصى، توفي شهيدا في سنة ٢٣ هـ . أنظر: الإصابة ٤/٢٧٩ و مابعدها، حرف العين، القسم الأول.

(٢) هو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر، ١٠/١٦٥، ٣٧٦١، و قال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) غافر : ٧.

(٤) الرعد: ٢٣-٢٤.

(٥) المدثر : ٢٧ - ٣١.

نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [١]

و يسمى رئيسهم مالكا، يقول تعالى: ﴿ وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [٢]

٣- و منهم ملائكة مؤكلون بالإنسان، يقومون بتدبير ما يتعلق به من أمور دنيوية و دينية.

فمنهم مؤكلون بتطوير النطفة و تصوير ما في الأرحام و نفخ الروح في ذلك، فقال عليه السلام: «وكل الله تعالى بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة، رب ذكر أم أنثى؟ أ شقي و سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه». [٣]

و منهم مؤكلون بمراقبة أعمال الإنسان و الجن و حفظها و كتابتها في صحف الأعمال. قال تعالى: ﴿ وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٤]

و قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [٥] صاحب اليمين يكتب الحسنات و صاحب الشمال يكتب السيئات.

و منهم المؤكلون لحفظ الناس من كل شر بأمر الله إلا ما قدر الله أن يصيبه.

قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [٦]

قال مجاهد رحمه الله: [٧] «ما من عبد إلا له ملك مؤكل يحفظه في نومه و يقظته

---

(١) العلق: ١٥ - ١٨.

(٢) الزخرف : ٧٧.

(٣) رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ،كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة ١/١٢١، ٣١٢. ومسلم كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه٤/٢٠٣٨، ٢٦٤٦.

(٤) الانفطار : ١٠ - ١٢.

(٥) ق : ١٨

(٦) الرعد : ١١

(٧) هو مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤هـ) أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء و المفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله فيم نزلت؟ و كيف كانت؟ و تنقل في الأسفار و استقر في الكوفة، و يقال: إنه مات و هو ساجد. أنظر: الأعلام ٥/٢٧٨.

من الجن و الإنس و الهوام فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك: وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه».[١]

و منهم ملائكة الموت المؤكلون بقبض الأرواح: قال تعالى: ﴿ وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[٣]

و منهم ملائكة السؤال في القبر:

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا وضع في قبره و تولى عنه أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - يعني به نفسه ﷺ - فيقول: أشهد أنه عبد الله و رسوله. قال: فيقال له: أنظر: إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة. قال نبي الله ﷺ : فيراهما جميعا».[٤]

و منهم ملائكة مؤكلون بالمؤمنين فيبشرونهم بالجنة و يسددونهم إلى طريق الحق بالإلهام و يشاركونهم في الأعمال الصالحة.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[٥]

و يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.[٦]

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٧٧٩.

(٢) الأنعام : ٦١.

(٣) السجدة : ١١.

(٤) رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب الجنة و نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة و النار، ٤/٢١٩٩، ٢٨٦٦ - ٢٨٧٥.

(٥) فصلت: ٣٠.

(٦) الأحزاب : ٤٣.

و قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحهتم إلى السماء الد نيا ».[١]

و يقول ﷺ : «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فاذا جلس الإمام طووا الصحف و جاءوا يستمعون الذكر»[٢]

و يقول ﷺ : «إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرسل الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. فقال: هل لك من نعمة تربيها؟ فقال: لا، غير أني أحبه في الله، قال الملك: إني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته».[٣]

فهذه طائفة من النصوص تدل على مشاركة الملائكة الأطهار مع المؤمنين في الأعمال الصالحة، و لا عجب فانهم عباد الله المكرمون المطبوعون على الطاعة وحبها، و من ثم يكرهون المعاصي و الذنوب و أصحابها. و قد ورد في ذلك نصوص كثيرة في الكتاب و السنة.

منها قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَّ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٤]

و منها قوله ﷺ: « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه و اللفظ له، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ٢٣٥٣/٥، ٦٠٤٥. و مسلم ، كتاب الذكر، باب فضل مجالس الذكر، ٢٠٦٩/٤، ٢٦٨٩.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، ٣١٤/١، ٨٨٧. و مسلم ، كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، و اللفظ له. ٥٨٧/٢ ، ٨٥٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر ٤٤/١٥ - ٤٥، ٧٩٠٦، اسناده صحيح.

(٤) آل عمران: ٨٦ - ٨٧.

لعنتها الملائكة حتى يصبح »[١]

و منها قوله ﷺ : «من أشار إلى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه و إن كان أخاه لأبيه و أمه».[٢] و نحو ذلك من أمور المعصية التي ذكرت النصوص أنها مما تكرهه الملائكة و تبغض أصحابه.[٣]

و من أصناف الملائكة من هم مؤكلون بالكون:

ملائكة مؤكلون بالسحاب، قد وكل الله بعضا من جنوده الملائكة لتدبير أمور السحاب يسوقونه إلي حيث ما أمرهم الله إليه.

وقد مر في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ أنه قد يراد به الملائكة الذين يزجرون السحاب و يسوقونه بأمر الله عزوجل.

و قد ثبت أن النبي ﷺ قال: « بينما رجل في فلاة من الأرض إذ سمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة[٤] فاذا شرجة من تلك الشراج[٥] قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، قال له: يا عبد الله ما اسمك؟ فقال: فلان، للإسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ فقال: سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه. يقول: اسق حديقة فلان، لإسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذا قلت هذا فاني أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه و آكل أنا و عيالي ثلثا و أرد عليها ثلثه. »[٦]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال: أحدكم آمين، ٣/١١٨٢، ٣٠٦٥. و مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها، ٢/١٠٥٩ ، ١٤٣٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب البر، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ٤/٢٠٢٠، ٢٦١٦. و الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في إشارة الرجل على أخيه بالسلاح، ٦/٣٨٠، ٢٢٥٠.

(٣) ينظر(الكتب المؤلفة في ذلك الموضوع بالتفصيل.

(٤) هي أرض ذات حجارة سوداء.

(٥) أي مسايل الماء إلى السهل ن الأرض.

(٦) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في صحيحه، كتاب الزهد، باب الصدقة في المساكين: ٤/٨٢٨٨ ، ٣٩٨٤.

و قال ﷺ : «الرعد ملك من ملائكة الله مؤكل بالسحاب معه مخاريق من النار يسوق بها حيث شاء الله».[١]

ملائكة الجبال:

ثبت عن عائشة رضي الله عنها[٢] أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكم يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ : «لقد لقيت من قومك ما لقيت و كان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل[٣] بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت و أنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا و أنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبرئيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، و قد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلا مكة: أبو قبيس و الجبل الأحمر و جبلا منى) فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».[٤] يفيد هذا الحديث

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب التفسير، باب من سورة الرعد: ٥٤٣/٨، ٥١٢١.

(٢) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ و هي بنت ست، و دخل بها و هي بنت تسع، ولدت بعد مبعث النبي ﷺ بأربع سنين أو خمس، و كانت أحب نسائه إليه، و هو لم ينكح بكرا غيرها، و كانت رضي الله عنها على مكانة كبيرة من العلم و الفقه و الرأي، فكان الأكابر من الصحابة يسئلونها في المسائل و يجدون عندها علما. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين و علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. قد روت عن الرسول ﷺالكثير، و روي عنها خلق كثير، توفيت سنة ثمان و خمسين و دفنت بالبقيع. أنظر: الإصابة ١٣٩/٨ و ما بعدها. حرف العين، القسم الأول.

(٣) من أكابر ثقيف، و ذلك أنه لما توفي أبو طالب و توجه النبي إلى الطائف، و عمد إلى ثلاثة نفر من أكابر ثقيف لأجل أن يساعدوه فعرض عليهم نفسه و شكا إليهم أذى قومه في مكة فردوا عليه أقبح رد، و قابلوه بأشد الأذى، كما هو معروف في كتب السيرة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين.. الخ. ١١٨٠/٣ - ١١٨١، ٣٠٥٩. و مسلم ، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين و المنافقين، ١٤١٩/٣ - ١٤٢٠، ١٠٩.

أن بعضا من الملائكة موكل لتدبير أمور الجبال.

ملائكة الرياح:

يقول الإمام البخاري[١] عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [٢] يقال: طغت الريح على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح.[٣] والمراد بالخزان الملك المؤكل بالرياح.

و هناك ملائكة مؤكلون بالبحار و الأنهار و الأشجار و غير ذلك فما في الكون شيء إلا و به ملك مؤكل يقوم على تدبيره بأمر الله عزوجل.

و هذه الآيات التاليات : ﴿ وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [٤]

و ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ [٥]

و ﴿ وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [٦]

فهذه الآيات و نحوها تتحدث عن أصنافهم و وظائفهم.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فكل حركة في السماوات و الأرض من حركات الأفلاك و النجوم و الشمس و الرياح و السحاب و النبات و الحيوان فهي ناشئة عن الملائكة المؤكلين بالسماوات و الأرض».[٧]

---

(١) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ) أبو عبد الله ، حبر الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، و كتابه: "الجامع الصحيح " المعروف بصحيح البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله، و هو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. أنظر: الإعلام ٣٤/٦.

(٢) الحاقة : ٦.

(٣) رواه في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحاقة. ١٨٧١/٤.

(٤) النازعات : ١ - ٥.

(٥) الذاريات: ٤.

(٦) المرسلات : ١ - ٥.

(٧) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٤٧٩/٢، تحقيق و تقديم: الدكتور السيد الجيلي، أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥.

التأويلات الباطلة للملائكة عند الفلاسفة و الرد عليها

قد ذكرنا من الملائكة الأطهار عليهم السلام - حقيقتهم و أعمالهم - في ضوء النصوص من الكتاب و السنة فهما مصدران حقيقيان في أمور العقيدة، و لكن المغرورين بعقولهم - و هم الفلاسفة الإسلامية - قد خاضوا فيما لا يمكن التوصل إلى معرفته بواسطتها، وجاءوا بتوهمات وتخبطات في هذا الباب، و زعموا أنها تحاول التوفيق بين ما جاء به الشرع و بين ما أثبته عقولهم، و قد انخدع كثير من المسلمين بما زعموا، وسوف نرى أنها لا علاقة بينهما ألبتة.

يقول ابن سينا[١]: «حد الملك هو جوهر بسيط ذو حياة و نطق عقلي غير مائت، وهو واسطة بين الباري تعالى و الأجسام الأرضية فمنه عقلي، و منه نفسي، و منه جسماني.»[٢]

و يقول في موضع آخر: «ثم بينوا (أي الحكماء) أن الأفلاك لا تفني و لا تتغير أبدا الدهر، و قد ذاع في الشرع أن الملائكة أحياء قطعا لا يموتون كالإنسان الذي يموت».

فاذا قيل: إن الأفلاك أحياء ناطقة لا تموت، و الحي الناطق غير الميت يسمى ملكا فالأفلاك تسمى ملائكة.[٣]

و يقول الإمام الرازي[٤] في تعريف الملائكة عند الفلاسفة: «إن الملائكة جواهر

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب و المنطق و الطبعيات و الإلهيات. و قال ابن تيمية: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات و النبويات و المعاد و الشرائع لم يتكلم بها سلفه، و لا وصلت إليها عقولهم، و لا بلغتها علومهم، فانه استفاد من المسلمين و إن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية». أنظر: الأعلام ٢/٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) الحدود لابن سينا، المصطلح الفلسفي عند العرب، ص ٢٥١، دراسة و تحقيق: الدكتور عبد الأمير الأعسم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م - القاهرة.

(٣) رسالة إثبات النبوة لابن سينا، (ص:٥٤) حققها و قدم لها ميشال مرموره، دار النهار- بيروت ١٩٦٨م

(٤) هو العلامة الكبير ذوالفنون فخرالدين، محمد بن عمر بن الحسين، القرشي البكري، الطبرستاني الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء و الحكماء و المصنفين، ولد سنة ٥٤٤هـ، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، و كان يحسن الفارسية، من تصانيفه مفاتيح الغيب في التفسير، ومحصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من الحكماء و المتكلمين، المباحث الشرقية، المحصول

قائمة بأنفسها، و ليست بمتحيزة، و أنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، و أنها أكمل قوة منها و أكثر علما منها، و أنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة للأضواء.

ثم إن هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنسبة إلى أجرام الفلك و الكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا.

و منها: ما هي لا على شيء من تدبير الأفلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبته و مشتغلة بطاعته، و هذا القسم هم الملائكة المقربون، و نسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات و الأرض كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا».

فهذان القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما.[1]

و يظهر مما سبق أن الملك و الفلك اسمان لمسمى واحد عندهم، و لا فرق بينهما، والفلك عندهم ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع العقلي: و هو نوع القوي المدبرة المفارقة بما فيها المحرك الأول؛ لأنه عقل أيضا.

و النوع النفسي: هو نوع القوي المدبرة المتصلة بالأجسام الفلكية.

و النوع الجسمي: و هو النوع القابل للتدبير و التحريك، أي جرم الفلك.

فهذه الأنواع الثلاثة يشتمل عليها علم الفلك و السماء عند الفلاسفة، و كلها يسمى عندهم بعالم الملائكة أيضا، كما يسمى أحيانا بالعقول و النفوس.

و هذه الأفلاك أو الملائكة واسطة بين الباري تعالى و الأجسام الأرضية التي تحت السماء من هواء و سحاب و جبال و حيوان و نبات و معدن. و ليست صادرة من الله تعالى بل الصادر منه موجود واحد، هو أول المخلوقات، و هو عقل، و صدرت منه باقي

== في علم الأصول، و الأربعين في أصول الدين، و غير ذلك. و قد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم و سحر و إنحرافات عن السنة - و الله يعفو عنه -؛ فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، مات سنة ٦٠٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢١/٥٠٠-٥٠١ تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف و الدكتور محي هلال السرحان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت. و الأعلام للزركلي ٦/٣١٣.

---

(١) التفسير الكبير، ٢/١٧٥.

العقول، و هي تسعة أو عشرة - على اختلاف بينهم - و الأخير منها مبدع جميع ما تحت السماء، و هو يسمى بالعقل الفعال، و بالجبرئيل عندهم.[١]

و الأمور التي يجب الرد عليها في ضوء النصوص الشرعية ما يلي:

أولا: أن الملائكة جواهر مجردة عن المادة.

ثانيا: أنها صادرة عن الله عزوجل، أي متولدة عنه - سبحانه و تعالى -.

ثالثا: أنها واسطة في صدور العالم الأرضي عن طريق الفيض.

رابعا: أنها لا تفنى و لا تموت.

خامسا: أنها تسمى عقولا و نفوسا عندهم كما تسمى في الشرع بالملائكة.

الرد على هذه التاويلات :

أما الأمر الأول: أنها جواهر مجردة عن المادة فهو غير صحيح لما سبق من الحديث الصحيح من أن النبي ﷺ قال: « خلق الملائكة من نور و خلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم».[٢]

و هذا الحديث الشريف يفيد في شأن الملائكة أمورا عديدة:

١-: أنهم خلقوا من مادة كانت موجودة قبلهم و هي نور، فهم حادثون بعد أن لم يكونوا موجودين، و هذا خلاف زعمهم فانهم قدماء بالزمان عندهم.

٢-: أنهم مخلوقون خلقهم الله بارادته و مشيئته لا صادرون منه بطريق الفيض.

٣-: أنهم ليسوا مجردين عن المادة فان النور مادة لخلقتهم.[٣]

وأما الأمر الثاني: أن العقول أو الملائكة صادرة عن الله - سبحانه و تعالى-، فلا يخفى على المتأمل أن هذا القول من قبيل قول المشركين: «إن الله ولدهم»، و من قبيل قول النصارى: «المسيح ابن الله»، فهو باطل، لأنه يؤدي إلى فرض أنداد و شركاء

---

(١) أنظر: السياسة المدنية للفارابي، ص: ٣٢، تحقيق: الدكتور فوزي قري نجا، ط: ١٩٦٤م، والرسالة العرشية، ص : ١٥ - ١٦، ط : حيدر آباد، ١٣٥٤هـ . و النجاة: ص ٢٧٣، ٢٨٧، ٣٠٠، الطبعة الثانية، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م. و تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي ص: ١٤٤ - ١٤٥، تحقيق: الدكتور سليمان الدنيا، الطبعة السابعة، و الرسالة الضعدية للإمام ابن تيمية، ٩/١، تحقيق : الدكتور رشاد سالم - الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ .

(٢) و سبق تخريجه في ص ٧٩ من هذه الرسالة.

(٣) أنظر: الرد على المنطقين، ص: ١٩٧ - ١٩٨.

لله سبحانه في الألوهية و الربوبية، و قد مضى الرد على الشرك و أنواعه بالتفصيل، وهذا القول شر من قول المشركين و النصارى و نحوهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «و هذا القول يوجد في مشركي العرب و في النصارى و غيرهم، و الذي يوجد في هولاء شر من هذا كله، و ذلك أن مشركي العرب والنصارى و نحوهم يقرون بأن الله خالق كل شيء و ربه و مليكه و لكن يثبتون تولدا من بعض الوجوه، و هو تولد حادث كما تقوله النصارى في المسيح، و كما كانت تقوله مشركو العرب في الملائكة و نحو ذلك.

و أما هولاء فيقولون: «إن العقول و النفوس متولدة عن الله تولدا قديما أزليا لازما لذاته و العالم متولد عن ذلك».

فالعالم كله متولد عندهم عن الله تولدا قديما أزليا لازما لذاته، و إن كانوا لا يعبرون بلفظ الولد، فهم يعبرون بلفظ المعلول و العلة، و هو أخص أنواع التولد، ويعبرون بلفظ الموجب و الموجَب».[1]

و ما ذكره الله في كتابه من إبطال التولد يبطل قولهم عقلا و سمعا و ذلك أنه قال: ﴿ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [2] و هولاء المتفلسفة يجعلون العقل كالذكر و النفس كالأنثى.

قال سبحانه: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [3]

و ذلك أن التولد لايكون إلا عن أصلين، لا يكون عن واحد فيمتنع أن يكون له ولد من غير صاحبة، و هو سبحانه لم يكن له كفوا أحد. و هولاء جعلوه واحدا و جعلوا العالم معلولا عنه، و قالوا: «الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد»، و هذا باطل فان الواحد البسيط لا يصدر عنه شيء بل الواحد الذي قدروه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان، و لا يصدر في العالم العلوي و السفلي أثر إلا عن سببين فأكثر، فالنار إذا أحرقت إنما تحرق بشرط قبول المحل لإحراقها، فالإحتراق حاصل بسببين، لا بسبب واحد، و كذلك

---

(١) و هو يؤدي معنى العلة.

(٢) الأنعام : ١٠٠.

(٣) الأنعام : ١٠١.

الشعاع، و كذلك جميع الأمور.[١]

و هذا أي القول بالتولد هو ما صرح به أفلوطين[٢] حينما قال: «الواحد ولد العقل، و العقل ولد النفس، و من النفس كان العالم المحسوس، فنجدها أنه صرح بلفظ الولادة، و فلاسفة المسلمين أخذوا هذه الأفلوطينية.[٣]

فتبين أن القول بصدور العقل عن الله - سبحانه - هو عين قول التولد عنه - سبحانه و تعالى عما يقول المشركون علوا كبيرا.

و هو أبين و أوضح الأقوال بطلانا و فسادا.

أما الأمر الثالث: أي أنهم واسطة بين الباري تعالى و بين العالم الأرضي ففيه شيء من الحق و شيء كثير من الباطل.

فنقول: إن أرادوا أن الملائكة يقومون بتدبير الأمور الأرضية فانه مطابق لما جاء به الكتاب و السنة.

و إن أرادوا أن الله خلق الملائكة و هذه الملائكة خلقوا ما سوى أنفسهم فهو باطل قطعا، لأنه يناقض توحيد الربوبية و يثبت لله شريكا في ربوبيته. و قد ذكرنا نصوصا عديدة لإثبات تفرد الله في الربوبية.[٤]

أما قولهم الرابع: إن الملائكة لا يفنون ولايموتون فهو أيضا باطل مخالف للنصوص، فقد ثبت أن الملائكة يموتون كما يموت الإنس و الجن يوم القيامة من صعق الموت.

يقول تعالى: ﴿ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾[٥] فالذين هم في السماء هم الملائكة الأطهار، فالآية تشملهم صراحة.

---

(١) الصفدية ١/٢١٥ - ٢١٦. و انظر: مجموع الفتاوي ٤/١٢٧ - ١٣١، و الرد على المنطقين، ص: ٢١٨ - ٢٢٣.

(٢) هو أفلوطين، المعروف بالشيخ اليوناني، عاش ما بين ٢٠٥ - ٢٧٠م، مبدع الأفلوطونية المحدثة القائلة بنظرية الفيض و التولد. أنظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص ١٧٠، دار الآثار للطباعة و النشر - بيروت.

(٣) أفاده الدكتور أستاذي الجليل، بركات عبد الفتاح دويدار، حفظه الله ، المشرف على الرسالة.

(٤) ينظر مبحث توحيد الربوبية من هذه الرسالة.

(٥) الزمر: ٦٨.

يقول الحافظ ابن كثير: «هذه هي النفخة الثانية، و هي نفخة الصعق، و هي التي تموت بها الأحياء من أهل السماوات و الأرض إلا من شاء الله، كما جاء مصرحا به في حديث الصور المشهور[١] . ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، و ينفرد الحي القيوم الذي كان، و هو الباقي آخرا بالديمومة و البقاء، و يقول: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ أنا الذي كنت وحدى و قد قهرت كل شيء و حكمت بالفناء على كل شيء ، ثم يحيى أول من يحيى اسرافيل و يأمره أن ينفخ في الصور مرة أخرى، و هي النفخة الثالثة: نفخة البعث. قال الله عزوجل: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [٢]

و يقول الله مقررا بأن كل شيء فان: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[٣] فعلم أن كل شيء سوى الله عزوجل سائر إلى الفناء و الزوال كما هو حادث بعد العدم.

يقول الإمام ابن تيمية: «الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة، وحتى عزرائيل ملك الموت، وروي في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ[٤] والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة أتباع أرسطو[٥] وأمثالهم ، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أواليهود والنصارى كأصحاب رسائل إخوان الصفا[٦] وأمثالهم، ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس وأنه لا يمكن موتها بحال، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم.[٧]

---

(١) و هو حديث طويل عن أبي هريرة، ذكره ابن كثير في تفسيره. أنظر: ٢/٢٣٤ - ٢٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٩٦.

(٣) القصص : ٨٨.

(٤) و هو الحديث المشهور بحديث الصور الذي أشرنا إليه آنفا.

(٥) هو أرسطوطاليس، عاش فيما بين ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م، لقب بالمعلم الأول عند الفلاسفة و المناطقة، له كتب كثيرة في عدة موضوعات: المنطق و الطبعيات، و الإلهيات، و الأخلاق و الخطابة، أنظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص: ١١، ٣٢-٣٦.

(٦) جماعة من الشيعة الباطنية عامة، و من الإسماعيلية خاصة، ظهرت في العالم الإسلامي و لزمت التستر خوفا من الناس، سموا أنفسهم باخوان الصفا و خلان الوفا، كتبوا مقالات و بثوها في الوراقين و وهبوها للناس، أنظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، ص: ٥٨ - ٥٩.

(٧) مجموع الفتاوى ٤/٢٥٩.

و أما الإستثناء في الآية فهو يتناول لمن في الجنة من الحور العين فان الجنة ليس فيها موت، و متناول لغيرهم، و لا يمكن الجزم بكل من استثناه عزوجل فان الله أطلق في كتابه:[١] فلا يجوز التقييد، و مع ذلك فانه لا علاقة بما يزعمه المتفلسفة.

و أما قولهم: «إن العقول و النفوس هم الملائكة في لسان الشرع» فيرد عليه ابن تيمية بقوله: «و ملائكة الله الذين يدبر بهم الله السماء و الأرض، و هم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا التي أقسم الله بها في كتابه، ليست هي الكواكب عند أحد من السلف، و ليست الملائكة هي العقول و النفوس التي تثبتها الفلاسفة المشاءون أتباع أرسطو ونحوهم، كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع، و بين خطأ من يظن ذلك ويجمع بين ما قالوه و بين ماجاءت به الرسل»[٢].

«و أيضا فان العقل في لغة الرسول و أصحابه و أمته عرض من الأعراض - التي تقوم بالغير - يكون مصدر عقل يعقل كما في قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ ﴾[٣] و ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤] و (وَ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَعْقِلُونَ بِهَا).[٥]

و قد يراد به الغريزة التي في الإنسان.

و العقل عند الفلاسفة: جوهر قائم بنفسه، فأين هذا من هذا.[٦]

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٦١.

(٢) الرد على المنطقين، ص : ٢٧٥. و انظر: مجموع الفتاوى ١١٩/٤.

(٣) بهذا اللفظ ماورد في التنزيل.

(٤) بهذا اللفظ ورد سبع مرات في التنزيل، أنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبدالباقي، ص: ٥٩٥.

(٥) لم يرد في التنزيل آية هكذا، بل الذي ورد قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٩. و في موضع آخر: ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الحج : ٤٦.

(٦) أنظر: الرد على المنطقين، ص ٢٧٥، و الصفدية ٢٣٨/١ - ٢٤٠. و قد يستدل المتفلسفة بحديث العقل الموضوع عند أهل العلم، فليرجع في هذا الموضوع إلى كتابه، "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة و القرامطة و الباطنية و أهل الإلحاد" فجاء بكلام مسهب نافع جدا على حديث العقل، و تكلم عليه كلاما شافيا.

الفصل الثالث

في الرسالة

الفصل في الرسالة

تمهيد

قبل أن أتناول أصل البحث في هذا الفصل بالتوضيح أرى أن ألقى ضوءاً على أمور على سبيل التمهيد تكميلا للفائدة، و هي فيما يلي:

أولا : معنى النبي و الرسول و الفرق بينهما.

ثانيا: حاجة الناس إلى الرسالة.

ثالثا: أهم مزايا الرسل عليهم السلام.

أما الأمر الأول :

فقد قيل: إن النبي مشتق من النبأ بالهمزة، بمعنى الخبر، فالمعنى: أن النبي بمعنى المخبر، أي الذي أخبره الله من أموره و شرائعه.

و قيل: هو مشتق من النبوة، و هو ما ارتفع من الأرض و تطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدي بها الناس، فالمعنى: أنه أعلى و أشرف من سائر الناس.

و قيل: النبي بمعنى الطريق الواضح، و إنما يسمى به لكونه طريقا واضحا إلى معرفة الله و أحكامه.[1] و جمعه أنبياء.

و لفظ الرسول في اللغة، فهو مشتق من الرسالة، فهو المبعوث بالرسالة و الموجه لغيره.

و قيل معناه: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم: جاءت الإبل رسلا، أى متتابعة.[2] و جمعه رسل.

و إنما سمي رسولا لكونه مبعوثا من قبل الله تعالى إلى الناس.

---

(١) أنظر: لسان العرب ١٦٢/١ - ١٦٤، و بصائر ذوى التمييز للفيروزآبادي ١٤/٥، و لوامع الأنوار البهية ٤٩/١، ٢٦٥/٢، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية - بمصر. و الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا، ص: ٤٧، المكتب الإسلامي - بيروت.

(٢) أنظر: لسان العرب ٢٨٤/١١.

و أما معنى النبي و الرسول في اصطلاح الشرع فاختلف العلماء على أقوال:

الأول: أنهما متحدان معنى، و لا فرق بينهما ألبتة، و إليه ذهب أكثر المعتزلة والبعض من أهل السنة.[١]

و الثاني: أنهما مختلفان معنى، و هذا قول الجمهور،[٢] و هو الراجح بل إنه الصواب لقوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَّ لا نَبِيٍّ إلا إذَا تَمَنَّى ألْقَى الشَّيْطَانُ فِي أمْنِيَّتِهِ ﴾ [٣] فعطف النبي على الرسول يدل على تغايرهما.[٤]

و لقوله عليه السلام حينما سئل عن الأنبياء: «عدتهم مائة ألف و أربع و عشرن ألفا»، قيل: فكم الرسل منهم؟ قال:« ثلاث مائة و ثلاثة عشر جما غفيرا».[٥]

ثم اختلفوا في تحديد الفرق بينهما، فقال البعض: النبي هو الذي أنزل عليه الوحي و لم يؤمر بالتبليغ، و الرسول الذي أنزل عليه الوحي و أمر بتبليغه.[٦]

و يرد عليه أن الله أرسل الأنبياء إلى الناس كما أرسل الرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ .....﴾ [٧]

و أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله، و الله لا ينزل وحيه ليكتم و يدفن في صدر واحد من الناس ثم يموت هذا العلم بموته.

---

(١) أنظر: التفسير للرازي ٢٣/٤٨ - ٤٩. و ممن مال إليه من أهل السنة ابن الهمام. أنظر: كتابه: المسامرة مع شرحه المسمى بالمسابرة ٢/٨٣، الطبعة الثانية ١٣٤٧هـ، مطبعة السعادة - مصر.

(٢) أنظر: الشفاء للقاضي عياض، ١/٢٥١، الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من المعجزات، بحاشية العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني، ١٨٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) الحج : ٥٢.

(٤) و من ثم مال إليه الزمخشري من المعتزلة. أنظر: الكشاف، ٣/١٨.

(٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في مسنده، و غيره من أئمة الحديث من طرق، و هو حديث صحيح يحتج به. أنظر: مشكاة المصابيح، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، ٣/١٥٩٩ ، ٥٧٣٧.

(٦) و هو الشائع في الناس، و هو الذي اختاره شارح الطحاوية. أنظر ص: ١٦٧. و اختاره أيضا: الحافظ ابن كثير، أنظر: تفسيره، ٤/٦٩٠.

(٧) الحج : ٥٢.

و أن الرسول ﷺ قال: «عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي و معه الرهط، و النبي ومعه الرجل و الرجلان، و النبي ليس معه أحد»[١]. [٢]

و قال البعض: النبي أرسل إلى المؤمنين لتذكيرهم بالأوامر الشرعية فهو بمنزلة العالم في الأمة المحمدية - على صاحبها الصلاة و السلام-. و الرسول الذي أرسل إلى المنكرين و المكذبين.[٣]

و لكن يرد عليه أن الأنبياء لهم أعداء كما للرسل أعداء كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ﴾ [٤]

و في قوله تعالى: ﴿ وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٥]

و قال البعض: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، و النبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.[٦]

و هو الراجح عندي لعدم ورود ما ورد على التعريفين السابقين. و الله أعلم.[٧]

---

(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره و فضل من لم يكتو، ٢١٥٧/٥، ٥٣٧٨. و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و لا عذاب، ١٩٩/١، ٣٧٤.

(٢) الرسل و الرسالات، ص: ١٤ - ١٥.

(٣) و هذا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، أنظر: النبوات، ص: ٢٥٥ - ٢٥٧ . و قد يظن بعض الناس أنه يميل إلى الرأي الأول بما قاله: «إن قوله تعالى: ﴿ إِقْرَأْ ﴾ أمر بالقراءة، لا تبليغ الرسالة، و بذلك صار نبيا، و قوله: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و بذلك صار رسولا منذرا. مجموع الفتاوى، ٢٥٧/١٦. و لكن الصحيح ما نقلناه فانه يفصل ما أجمله. و الله أعلم.

(٤) الأنعام: ١١٢.

(٥) الفرقان : ٣١.

(٦) و هو اختيار العلامة الآلوسي. أنظر: تفسير روح المعاني، ١٧٢/١٧ - ١٧٣، ط: ١٣٩٨هـ ، دار الفكر - بيروت.

(٧) و هناك فروق أخرى ذكرها الإمام الرازي في تفسيره، ٤٩/٢٣، تركنا ذكرها و اكتفينا بما هو المشهور.

الأمر الثاني و هو حاجة الناس إلى الرسالة :

حينما يتفكر أي عاقل في مهمات الرسل عليهم السلام و وظائفهم يتجلى أمامه بغاية الوضوح حاجة الناس إليهم أكثر و أشد منها إلى شيء آخر.

و مهمات الرسل تتلخص في أمور آتية:

أولا : دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده و صرف جميع أنواع العبادة إليه وحده.

و هذه المهمة هي المهمة الأساسية و الكبرى لجميع الرسل عليهم السلام، تنطق بها عدة آيات حكيمات. منها قوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢)

و تاريخ البشرية شاهد أن من أعرض عن اتباع الرسل وقع في بؤرة الشرك و أخذ يجعل من دون الله أنداداً في الألوهية و الربوبية، فعلم أن المعرفة بالله و القيام بعبادته وحده ، و تحقيق العبودية له وحده لا تتحقق إلا عن طريق الرسل و الأنبياء عليهم السلام.

ثانيا : أن الأنبياء عليهم السلام يكونون قدوة صالحة و أسوة حسنة يمثلون الدين الرباني على أكمل وجه و أعلى صورة.

يقول تعالى عن كمالهم في الأخلاق و القيم: «أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٣)

و من ثم عصمهم الله من الوقوع في الذنوب و المعاصي، و الأطماع و الشهوات المحرمة.

و أما غيرهم من الناس فهم ليسوا على هذه المنزلة الرفيعة، بل هم عرضة دائما للوقوع في تلك الأمور الخبيثة، فكيف يستغني الإنسان عن الأنبياء و الرسل عليهم السلام.

---

(١) الأنبياء : ٢٥.

(٢) النحل : ٣٦.

٣) الأنعام : ٩٠.

ثالثا : أن الله عزوجل أرسلهم إلى الناس لتحقيق العدل بينهم ، لا يظلم أحد على حساب الآخر، و لا يأكل القوي الضعيف، بل يسود العدل في المجتمع و يشيع الأمن والإستقرار فيه.

يقول تعالى في ذكر هذه المهمة لهم: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (١)

و يقول تعالى: ﴿ وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢)

فالنبي أو الرسول لا يجنح إلى الظلم على أحد، و لا يندفع إلى الشهوة و إيثار نفسه و أقربائه على غيره، و لا يفرق في تنفيذ قضاء الله بين نفسه و بين غيره. و قد أعلن النبي ﷺ هذا الأمر الحاسم العادل حينما قال: «و الله لو أن فاطمة(٣) بنت محمد سرقت لقطعت يدها »(٤) .

رابعا : أن الأنبياء عليهم السلام قد أخبروا بأمور الغيب من الملائكة و الجن و الجنة و النار و ما أعد فيهما مما لا يستطيع العقل معرفته لكونه خارجا من دائرة تخصصه.

و من قبيل هذه الأمور تقدير الكيفيات و الكميات في الأعداد في العبادات، فلاتستطيع العقول تحديد هذه الأمور على أحسن وجه و أدقه مما يراعي ما شرعت لأجله

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) يونس : ٤٧.

(٣) هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولدت و الكعبة تبنى و النبي ﷺ ابن خمس و ثلاثين سنة، تزوجها علي رضي الله عنه، و انقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة الزهراء، قال ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة مريم و آسية و خديجة و فاطمة». و قال: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها و يريبني ما رابها ». و قال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». و فضائلها كثيرة جدا. انظر: الإصابة ١٥٧/٨ و مابعدها، حذف الفاء، القسم الأول.

(٤) جزء من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم...﴾ ١٢٨٢/٣، ٣٢٨٨، و مسلم، كتاب الحدود، باب قطع يد السارق، الشريف و غيره، ١٣١٥/٣، ١٦٨٨.

من أحكام و أسرار و غايات مما لا يحيط بها إلا الله عزوجل.[١]

خامسا: أن الله عزوجل أرسلهم لقطع عذر أحد عسى أن يعتذر بأنه عصى ربه وأشرك به لعدم مجيء رسول.

و هذا من فطرة الإنسان يبرر ارتكابه المخالفات و المعاصي بالجهل حينما يقدم أمام المحكمة، و يرى نفسه واقعا في براثن الخطر فيتعلل بالجهل و نحوه ليخلص ذاته مما أحاط به من العذاب.

و قطعا لمثل هذا العذر يقول تعالى: ﴿ رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٢]

و يقول جل شأنه: ﴿ وَ لَو أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى ﴾[٣] .

فالله سبحانه لا يعذب أحدا، لا في الدنيا و لا في الآخرة، إلا بعد إقامة الحجة الواضحة عليه، و هو الإعذار إليهم، و الإنذار لهم ببعثة الرسول عليه الصلاة و السلام.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله موضحا حاجة الناس إلى الرسالة أكثر منهم إلى غيرها: «الرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها و حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، و الرسالة روح العالم و نوره و حياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح و الحياة والنور؟ و الدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، و كذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، و يناله من حياتها و روحها فهو في ظلمة و هو من الأموات،

قال تعالى: ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ

---

(١) ينظر في هذا الموضوع مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢، ١١٦ - ١١٧، و زاد المعاد له ٦٩/١، حققه و خرج أحاديثه: شعيب الأرناووط، عبد القادر الأرناؤوط، ط: ٢٧، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، و حجة الله البالغة للإمام الشاه ولي الله الدهلوي، باب الحاجة إلى هداة السبل و مقيمي الملل، ١٧٣/١ - ١٧٥. حققه و راجعه: السيد سابق، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) طه: ١٣٤.

مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [١]

فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة و نور الإيمان و جعل له نورا يمشي به في الناس، و أما الكافر فميت القلب في الظلمات.[٢]

ثم بين رحمه الله أن أصول الدين لا يمكن معرفتها بالتفصيل عن طريق العقل، فقال: فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات و التوحيد و القدر و ذكر أيام الله في أوليائه و أعدائه، و هي القصص التي قصها الله على عباده، و الأمثال التي ضربها لهم. و الأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع و الأمر و النهي و الإباحة، و بيان ما يحبه الله و ما يكرهه.

و الأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر و الجنة و النار و الثواب و العقاب.

فهذه الأصول الثلاثة عليها مدار الخلق و الأمر و السعادة و الفلاح، و لا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل؛ فان العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها و معرفة حقائقها و إن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب و من يداويه، و لا يهتدي إلى تفاصيل المرض و تنزيل الدواء عليه.»[٣]

---

(١) الأنعام : ١٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٩٣.

(٣) نفس المرجع السابق، ص : ٩٦. و انظر: مثله في زاد المعاد لابن القيم، ١/١٥، و مفتاح دار السعادة له، ٢/٢- ١١٦ - ١١٧.

المنكرون لحاجة الرسالة و الرد عليهم :

لم يزل يردد بعض من الناس منذ القديم إلى يومنا هذا بأن لا حاجة للرسالة و النبوة فان العقول تغني عنها ، لأنها تستطيع معرفة الخالق و صفاته و ما يحبه و ما يكرهه، هذا ما زعمه البعض في القديم ، و هم البراهمة.[١] فقالوا: في العقل كفاية عن البعثة؛ فهو كاف في معرفة التكاليف، فلا فائدة في البعثة.

و زعموا أيضا: أن لا حاجة إلى شريعة و لا شارع أصلا، فان ما جاءت به الرسل إن كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله و إن لم يأت به، و إن كان مخالفا قبيحا لايفعله إلا أن يكون مضطرا إليه.[٢]

كما يزعمه الغرب و مقلدتهم اليوم أن لا حاجة إلى الدين و الشرائع فيجاهرون بالعلمانية والشيوعية من الأفكار الملحدة، و يسنون ويشرعون الأوامر والأحكام والقوانين من عند أنفسهم.

الردعليهم:

و الذي قررناه في حاجة الناس إلى الرسالة مؤيدا بالدلائل الواضحة و البراهين القاطعة يرد عليهم ردا قطعيا شافيا يقتنع به كل من له أدنى من تفكير سليم، و لا نرى بعد حاجة إلى إبطال مزاعمهم ، و الذي زعموه هو سفسطة في العقليات ترمي إلى خداع

---

(١) ينتسبون إلى برهم، و هي ديانة هندية كتابها المقدس (فيدا) من أصل عقائدهم القول بتناسخ الأرواح و القول بالطبقات: تقسيم الناس إلى طبقات أعلاها البراهمة، أدناها شودر (المنبوذين). أنظر: كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للمؤرخ البيروني، ص: ٣٨ ، ٧٦ ، ٧٧. مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بحيدراباد - الهند، ١٩٥٨م.

(٢) أنظر: اعلام النبوة للماوردي، ص: ٢٣، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت. و الفصل لابن حزم، ١٣٧/١، تحقيق: محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط:٢ ١٤٠٢ هـ، عكاظ للنشر و التوزيع - السعودية العربية. و الملل و النحل للشهرستاني، ٢/ ٢٥٠ - ٢٥٢، تحقيق: محمد سيد كيلاني. و تحقيق ما للهند للبيروني، ص: ٨١، فهو يحكي عنهم زعمهم بالإستغناء عن الرسالة في باب الشرع و العبادة و الإحتياج إليها في مصالح البرية.

الناس السذج، فان واقع البراهمة المشركين أصدق شاهد على فساد قولهم و بطلان زعمهم لما أن عقولهم هدتهم إلى عبادة الحيوانات و الأشجار و الأحجار و الكواكب و غيرهما مما سولت لهم أنفسهم، فأصبحوا كالبهائم بل أضل منهم، يتمرغون في أوحال الشرك وأنجاسه، و يتيهون في خرافات الوثنية و أوهامها، حتى أهانوا كرامة الإنسانية و أذلوها لدركة ليس بعدها درجة أحط منها للإذلال و الإهانة.[١] - نعوذ بالله من الخذلان -.

و الذي يزعمه الغرب و أفراخه من استغناء العقل عن الشريعة السماوية يكفي للرد سوء حال تلك الدول الغربية، ومدى ما وصلت إليه من الإنهيار الخلقي والإجتماعي و شيوع الفواحش و الفضائح مما أقلقت مضاجع العلماء المخلصين منهم لما يرون أن حضارتهم أوشكت على الفناء من ساحة الوجود لعدم صلاحيتها للإنسانية وكرامتها.

و بدأوا يعترفون أن المستقبل للدين الرباني الخالد، و هو الإسلام، لأنه دين الفطرة أنزله خالق الإنسان.[٢]

---

(١) أنظر: قصة عبادة المشركين الهنادس المضحكة و المزرية في كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " للندوي، ص: ٥٦ - ٥٧، الطبعة العاشرة، ١٣٩٣ هـ، دار الأنصار - الكويت.

(٢) أنظر: شهاداتهم و إعتناقهم بالإسلام، في كتاب "لماذا أسلمنا " مجموعة مقالات لنخبة عن رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام، في الأصل كانت باللغة الانجليزية، ترجمة مصطفى جبر. راجعه: السيد أبو يوسف، إدارة الشئون الدينية - قطر.

الأمر الثالث : في أهم خصائص الرسل و الأنبياء عليهم السلام:

الخصيصة الأولى هي الوحي :

إن الوحي من أهم ما يتميز به النبي من بين غيره، و عليه مدار الرسالات السماوية فهو المصدر الوحيد لجميع ما ياتي به النبي من أمور العقيدة و أخبار الغيب و أحكام التشريع.

و لله در الإمام البخاري رحمه الله حيث بدأ كتابه الجامع الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله، بذكر الوحي، للإشارة إلى أن الوحي هو مدار الدين السماوي بجميع مافيه من عقائد و أحكام.

و هو «الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر و يشرع بواسطة رأيه و عقله، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد».[١]

فما الوحي لغة و شرعا ؟ هذا ما أريد ذكره:

الوحي لغة : إعلام في الخفاء، و لذلك صار الإلهام يسمى وحيا.[٢]

و يقول الراغب الأصفهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، و لتضمن السرعة قيل: أمر وحي، و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض، و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب، أو باشارة ببعض الجوارح و بالكتابة. [٣]

و هو شرعا : إعلام الله لرسله ما أراده من ألوان الهداية و العلم بطريقة سرية خفية، سريعة غير معتادة للبشر.[٤]

فالخفاء و السرعة ملحوظان في معنى الوحي شرعا أيضا مثل معنى الوحي لغة. والفرق بينهما أن الوحي شرعا أخص منه لغة من جهة مصدره، و هو الله سبحانه، و من جهة الموحى إليهم، و هم الرسل عليهم السلام.

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية للدكتور سعيد رمضان بوطي، ص : ٢٠٠، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ، دار الفكر - بيروت.

(٢) لسان العرب ١٥/٣٨١.

(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص: ٥١٥.

(٤) أنظر: مناهل الفرقان للزرقاني، ١/٦٣، و نبوة محمد ﷺ في القرآن، للدكتور ضياء الدين عتر، ص: ١٦٥، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ ، دار النصر - حلب.

فان الوحي لغة قد يكون من الله سبحانه إلى غير الأنبياء و الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي ﴾ (١)

و قد يكون من غير الله سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (٢)

أما الوحي شرعا فلا يكون إلا من الله سبحانه، و لا يكون إلا إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. (٣)

أقسام الوحي:

و هو على ثلاثة أقسام رئيسية، تشير إليها الآية الكريمة: ﴿ وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ﴾ (٤)

فالقسم الأول للوحي أن يلقي الله في قلب النبي الموحى إليه كلامه مباشرة بدون واسطة الملك، في المنام أو في اليقظة، و إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إلا وَحْيًا ﴾ .

مثال إلقاء الله في قلب النبي في حالة النوم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٥).

و من هذا القبيل رؤيا خليل الله إبراهيم عليه السلام في المنام ذبح ابنه اسماعيل عليه السلام،

فلما أن رؤيا الأنبياء وحي - كما سيأتي بيانه - بادر ابراهيم عليه السلام إلى ذبح ابنه، كما قص الله هذه القصة الإيمانية في هذه السورة (الصافات) و سيأتي الكلام عليها في موضعه من هذه الرسالة.

و مثال إلقاء الله في قلب النبي في حالة اليقظة ما أشار إليه بقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا

---

(١) المائدة : ١١١.

(٢) الأنعام : ١٢١.

(٣) أنظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) الشورى : ٥١.

(٥) الفتح : ٢٧.

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [١]

يقول كثير من المفسرين أن معنى : "بما أراك الله ": بما أعلمك و أوحى به إليك بحيث يكون قطعيا كالرؤية في القوة و الظهور، فهو خاص بالنبي ﷺ ، و من ثم كان عمر رضي الله عنه يقول: «لا يقولن أحد قضيت بما أراني الله، فان الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه، و أما الواحد منا فرأيه يكون ظنا، و لا يكون علما ». [٢]

و من هذا القبيل قوله عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها و أجلها، فاتقوا الله و أجملوا في الطلب ». [٣]

القسم الثاني : أن يكلم الله النبي بلا واسطة الملك، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ ﴾ .

و هذا الوحي حصل لسيدنا موسى عليه السلام كثيرا، و من هذا لقب بكليم الله، و إلى هذا القسم إشارة بقوله تعالى: ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ [٤] . [٥]

القسم الثالث : أن يرسل رسولا، و هو جبرئيل عليه السلام إلى الرسول فيوحي إليه كلامه، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ .

و هذا الوحي حصل لجميع الأنبياء و الرسل عليهم السلام. و القرآن الكريم كله نزل بهذا القسم الثالث، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [٦]

و كما قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [٧] . [٨]

---

(١) النساء : ١٠٥.

(٢) أنظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٣٣/١١، و روح المعاني للآلوسي، ١٢٧/٥، و تفسير المنار، للشيخ رشيد رضا.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٨٤/٤.

(٤) البقرة : ٣٣.

(٥) أنظر: الرسل و الرسالات للدكتور الأشقر، ص: ٦٣.

(٦) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٧) النحل : ١٦٤.

(٨) أنظر: مناهل العرفان للزرقاني، ٦٤/١.

فهذه هي الأقسام الثلاثة الرئيسية للوحي و تندرج فيها أقسام أخرى.[١] .

الخصية الثانية: المعجزة.

إن من سنة الله عزوجل أنه لا يصطفى من الناس رسولا إلا و يؤيده بآيات بينات تدل على صدقه في دعواه بالنبوة كى تقوم الحجة على الناس، فلا يبقى لأحد عذر لعدم تصديقهم و طاعتهم، و لا يبقى اشتباه بين الحق و الباطل.

يقول جل شأنه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾[٢] أيْ بالدلائل و البراهين التي تدل على صدقهم في دعوى النبوة.

و يقول الرسول ﷺ : «ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن به البشر، و إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».[٣]

و اصطلح علماء الكلام على تسمية الآيات بالمعجزات من قبيل إطلاق الخاص على العام، فان الآية عام تشمل كل دليل يثبت نبوة النبي بدون شروط معتبرة في تعريفها عند علماء الكلام - كما سيجي قريبا -.

والمعجزة لغة: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز و عجزَ عجزاً فيهما.

والمعجزة: بفتح الجيم و كسرها - مفعلة من العجز.[٤]

و اصطلاحًا: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي وعدم المعارضة.[٥] و سمي معجزة لأنها تعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

و اشترط علماء الكلام فيها عدة شروط و المختار عندهم أنها سبعة و هي فيما يلي:

---

(١) أنظر: الإتقان للسيوطي، ٤٤/١، و زاد المعاد لابن القيم، ٧٧/١ - ٨٠، و شرح المواهب اللدنية، ٢٢٥/١ - ٢٣٤، بهامشه راد المعاد لابن القيم، الطبعة الأولى، ١٣٢٥ هـ ، المكتبة الأزهرية المصرية.

(٢) الحديد : ٢٥.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي و أول ما نزل، ١٩٠٥/٤ ، ٤٦٩٦، و مسلم في صحيحه مثله، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس و نسخ الملل بملته، ١٣٤/١ ، ٢٣٩.

(٤) لسان العرب، ٣٦٩/٥، باب الزاء، فصل العين المهملة.

(٥) شرح المقاصد للتفتازاني، ١٧٦/٢، مطبعة دار الطباعة العامرة، ١٢٧٧ هـ، و لوامع الأنوار البهية ٢٩٠/٢.

الأول : أن تكون فعل الله أو ما يقوم مقامه من التروك.

والثاني: أن تكون خارقا للعادة.

و الثالث: أن يتعذر معارضتها.

و الرابع : أن تكون ظاهرا على يد مدعي النبوة.

و الخامس: أن يكون موافقا للدعوى.

و السادس: أن لا يكون ما ادعاه و ظهر مكذبا له.

و السابع : أن لا يكون متقدما على الدعوى بل مقارنة لها.[١]

هذه هي الشروط السبعة المعتبرة في المعجزة عند أكثر المتكلمين، فان فات واحد منها لا تسمى معجزة لإنتفاء المشروط بانتفاء الشرط.

لكن الآية أعم من المعجزة، و كذلك البينة و البرهان من الألفاظ التي وردت في الكتاب و السنة.

يقول الحافظ ابن حجرمبينا النسبة بين المعجزة و علامات النبوة - و هي آيات وبينات و براهين -: «عبر بها المصنف لكون ما يورد المصنف، أي الإمام البخاري - أعم من المعجزة و الكرامة،

و الفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول: «إن فعلت كذا، أتصدق بأني صادق! أو يقول: لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة.[٢]

كما أن الإمام البيهقي[٣] عبر عن آيات النبوة بدلائل النبوة في كتابه المشهور بدلائل النبوة.

---

(١) أنظر: المواقف للإيجي ٣٣٩ - ٣٤٠، عالم الكتب - بيروت.

(٢) فتح الباري ٦/٥٨١، ط : المكتبة السلفية.

(٣) هو أحمد بن حسين بن علي، عاش فيما بين (٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ) أبو بكر، من أئمة الحديث، قال إمام الحرمين: «ما من شافعي إلا و للشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه و بسط موجزه و تائيد آرائه، صنف زهاء ألف جزء، من أشهر مؤلفاته، السنن الكبرى، الأسماء و الصفات، دلائل النبوة، مناقب الإمام الشافعي. أنظر: الأعلام ١/١١٦.

و إنما قلنا: إن هذه الآيات أعم من المعجزات، لأن السلف يذكرون ضمن دلائل النبوة و علاماتها كل ما يدل على نبوة النبي و رسالته، سواء كان ظهوره قبل مولد النبي مثل إهلاك أصحاب الفيل، أو كان ظهوره بدون الإقتران بدعوى النبوة مثل ظهور خاتم النبوة بين منكبيه الشريفين، و شق صدره في حالة صباه، و سواء كان ظهوره بعد نبوته بدون التحدي مثل حنين الجذع و تكثير الطعام و نبع الماء من بين أصابعه و غيرذلك، وسواء كان ظهوره بعد موته، مثل إنباء ما سيقع من علامات القيامة و نحو ذلك.

فكل هذه الآيات من الدلائل الواضحة على صدق النبي في دعوى النبوة، و مع ذلك لا يوجد فيها بعض شروط المعجزة المذكورة.

فما هو المراد بحديث النبي عليه السلام المذكور آنفا الذي يفيد أن كل نبي يؤتى آية تدل على صدقه؟ هل هي آية خاصة بمعنى المعجزة، أو هي عامة؟.

فالذي يظهر بعد التأمل في الحديث أن المراد بها آية خاصة بمعنى المعجزة؛ لأن الرسول ﷺ ذكر الآية التي أعطاه الله إلى جانب آيات الأنبياء الآخرين، هي القرآن الكريم، و ما من شك أن القرآن الكريم آية عظمى تتوفر فيها جميع شروط المعجزة، فيعلم أن كل نبي لا بد أن يؤيده الله بالآية التي تكون بمعنى المعجزة التي يتحدى بها النبي، و لا يستطيع أحد معارضتها، فيثبت صدقه في دعوى النبوة.

و أما الآيات العامة فلا يشترط أن تؤتى لكل نبي، هذا هو الظاهر من الحديث، والله أعلم.

و لكن من الأفضل أن تعرف الآية بما هو أدل على المقصود و أكثر تمشيا مع النصوص، كما يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فقد تبين أنه ليس من شرط دلائل النبوة إقترانه بدعوى النبوة و الإحتجاج به، و لا تقريع من يخالفه بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات لكن لا يجب أن ما لا يقع معه لايكون آية بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء».[1]

و يقول موضحا حقيقة آيات الأنبياء: «و حقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة و برهان عليها، فلا بد أن يكون مختصا بها، و لا يكون مشتركة بين الأنبياء و غيرهم، فان الدليل هو مستلزم لمدلوله، لا يجب أن يكون أعم وجودا منه، بل

---

(١) النبوات، ص: ٢١٠، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥ هـ.

إما أن يكون مساويا له في العموم و الخصوص أو يكون أخص منه، و حينئذ فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء.»[١]

و حاصل كلامه في آيات الأنبياء أنها دلائل النبوة بمعنى أنها مختصة بهم لا توجد لغيرهم، و خارقة للعادة بمعنى أنها ليست معتادة للجن و الإنس، و أنها دالة على صدق النبي في دعواه بمعنى أنها مستلزمة لمدلولها، و هو النبوة، و ليس من شرط دلالتها استدلال النبي بها، كما ليس من شرطها تحديه بالإتيان بمثلها.[٢]

و كما ليس من شرطها اقترانها بدعوى النبوة «حتى ظهورها على يد النبي بل متى اختصت به، و هي من خصائصه كانت آية له، سواء وجدت قبل ولادته أو بعد موته أو على يد أحد من الشاهدين له بالنبوة، فكل هذه من آيات الأنبياء. و الذين قالوا من شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة غلطوا غلطا عظيما.»[٣]

فكلامه يفرق بين آيات الأنبياء و بين خوارق الكفار و الفجار حقيقة، لا مشابهة بينهما إلا لفظا، و هو كونهما من الخوارق، بخلاف كلام المتكلمين، فان كلامهم يفيد أن جنس الخوارق واحد لا فرق بين حقيقة خوارق الأنبياء و بين حقيقة خوارق الآخرين، و إنما يفرق دعوى النبوة فقط.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «هنا اضطرب الناس، فقيل: دليلها - أي النبوة - جنس يختص بها، و هو الخارق للعادة، فلا يجوز وجوده لغير نبي، لا ساحر و لا كاهن ولا ولي كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة و غيرهم كابن حزم[٤] و غيره.

---

(١) المرجع السابق، ص: ١٩.

(٢) أنظر: النبوات، فصل المناقشة مع المعتزلة في خوارق العادات، ١٥٠ - ١٧٣.

(٣) المرجع السابق، ٣٢٢.

(٤) هو علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، و أحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، ولد بقرطبة، و كانت له و لأبيه من قبله رياسة الوزارة و تدبير المملكة فزهد بها و انصرف إلى العلم و التأليف، فألف أكثر من أربعمائة كتاب، و كان يقال: لسان ابن حزم و سيف الحجاج شقيقان، من مؤلفاته: الفصل في الملل و الأهواء و النحل، و المحلى في الفقه، جمهرة الأنساب، الإحكام في أصول الأحكام، إبطال القياس و الرأي، و غير ذلك، ولد سنة: ٣٨٤هـ، و توفي سنة: ٤٥٦هـ، أنظر: الأعلام ٤/٢٥٤ - ٢٥٥.

و قيل: بل الدليل هو الخارق للعادة بشرط الإحتجاج به على النبوة و التحدي بمثله، و هذا منتف في السحر و الكرامة، كما يقول ذلك من يقوله من متكلمي أهل الإثبات، كالقاضيين: أبي بكر[١] و أبي يعلى و غيرهما[٢]. [٣]

و يرد على هذا القول بشدة حيث يقول: «و هذا مستدرك من وجوه:

منها أن كون آيات الأنبياء مساوية في الحد و الحقيقة بسحر السحرة أمر معلوم الفساد بالضرورة من دين الرسل.

الثاني: أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء إذا كانت آياتهم من جنس السحرة و كهانة الكهان.

الثالث: أنه على هذا التقدير لا تبقى دلالة، فان الدليل ما يستلزم المدلول، و يختص به، فاذا كان مشتركة بينه و بين غيره لم يبق دليلا، فهولاء قدحوا في آيات الأنبياء و لم يذكروا دليلا على صدقهم.

الرابع: أنه على هذا التقدير يمكن للساحر دعوى النبوة.

و قوله: «أنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر أو يأتي بمن يعارضه دعوى مجردة، فان المنازع يقول: لا نسلم أنه إذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك، لا سيما على أصله: و هو أن الله يجوز أن يفعل كل مقدور، و هذا مقدور للرب فيجوز أن يفعله.[٤]

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد المغافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، قاض، من حفاظ الحديث، بلغ رتبة الإجتهاد في علوم الدين، و صنف كتبا كثيرع في الحديث و الفقه والأصول و التفسير و الأدب و التاريخ، و ولى قضاء أشبيلية، من كتبه: العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي شرح الترمذي، أحكام القرآن. عاش(فيما بين (٤٦٨ هـ - ٥٥٣ هـ) أنظر: الأعلام، ٦/ ٢٣٠.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، أبو يعلي: عالم عصره في الأصول و الفروع و أنواع الفنون، من أهل بغداد، حنبلي، له تصانيف كثيرة، منها: الإيمان، و الأحكام السلطانية، الكفاية في أصول الفقه، أحكام القرآن، عيون المسائل، و له ردود على الأشعرية والكرامية و السالمية و المجسمة، ولد سنة: ٣٨٠ هـ ، و توفي سنة: ٤٥٨ هـ . أنظر: الأعلام، ٦/ ٩٩ - ١٠٠.

(٣) النبوات : ٤٤.

(٤) النبوات : ٤٩ - ٥٠.

الحاصل أن آيات الأنبياء خاصة بهم و خارجة عن مقدرو الإنس و الجن، و أما الخوارق الأخرى من السحر و الكهانة و الشعوذة فهي أمور معتادة للناس، ينالونها بالتعلم و الإكتساب، و هذا غير ممكن في آيات الأنبياء.

فالفرق بين آيات الأنبياء و المؤمنين بهم و خوارق السحرة و الكهانة و المشعوذين كالفرق بين أعمال الأنبياء و الصالحين، و بين أعمال السحرة و إخوانهم، فهذه في طاعة الشيطان و ذلك في طاعة الرحمن.

أما الفرق بين آيات الأنبياء و كرامات الصالحين فهو في التفاوت في الدرجة والرتبة، لا في الحقيقة، فان كرامات الصالحين حصلت بسبب إتباعهم للأنبياء عليهم السلام، فهي من آياتهم حقيقة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لايخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء، فانهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، و لو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا، فهولاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار بردا و سلاما على أبي مسلم[1]، كما صارت على ابراهيم عليه السلام. و كما يكثر الله الطعام و الشراب لكثير من الصالحين كما جرى في بعض المواطن للنبي، أو إحياء الله ميتا لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء.

فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، و هي أيضا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص، و مع هذا فالأولياء دون الأنبياء و المرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين».[2]

---

(١) هو عبد الله بن ثوب، أبو مسلم الخولاني الداراني، سيد التابعين و زاهد العصر، قدم من اليمن، و قد أسلم في عهد النبي ﷺ، و دخل المدينة في خلافة الصديق، و حدث عن عمر، ومعاذ بن جبل و أبي عبيدة و غيرهم، و حدث عنه أبو إدريس الخولاني، و عطاء بن أبي رباح وغيرهم، و كراماته كثيرة جدا. توفى بدمشق سنة: ٦٢ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٧ و ما بعدها.

(٢) النبوات ص ٨.

تعريف المعجزة عند الفلاسفة ورده:

و تلك المفاهيم الصحيحة لآيات الأنبياء و الرسل كما تفرق بينهما و بين الخوارق الأخرى، كذلك تفند ما زعمه الفلاسفة في تعريف المعجزة: أنها تحدث بقوة نفس النبي فهي تبلغ إلى حد من القوة، يتصرف بها في هيولي العالم بإحداث أمور غريبة.

يقول ابن سينا: «و لعلك قد بلغك عن العارفين أخبار تكاد تأتي بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب، و ذلك مثل ما يقال: إن عارفا استسقى للناس فسقوا... أو دعا عليهم فخسف بهم و زلزلوا... فلا تستبعدن أن يكون لبعض النفوس ملكة يتعدى تأثيرها بدنها، و تكون لقوتها كأنها نفس ما للعالم... فلا تستنكرن أن يكون لبعض النفوس هذه القوة حتى تفعل في أجرام أخر».[١]

فان هذا القول يستلزم حصول الآيات لغير الأنبياء أيضا إذا بلغت القوة النفسانية إلى حد التاثير. و هذا باطل قطعا لما قررناه سابقا أن النبوة هبة إلهية لا تكسب بالجهد و الكلفة، و كذلك آيات الأنبياء فهي من خلق الله وحده، يخلقها وفق مشيته و حكمته، و لا مدخل فيها لمشيئة النبي و إرادته. يؤكد هذه الحقيقة كثير من النصوص:

يقول تعالى ردا على المشركين في طلبهم من النبي آية من الآيات: ﴿ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [٢]

و يقول تعالى: ﴿ وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [٣]

و يؤكد هذا المعنى لفظ "بإذن الله" في قوله تعالى حكاية عن معجزات عيسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ... إلى ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤]

---

(١) أنظر هذا في كتبه خصوصا "الإشارات و التنبيهات ٨٩٢/٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦. وتهافت الفلاسفة للغزالي، ص: ٢٣٥ - ٢٣٨، و النبوات لابن تيمية، ص : ٢٤٨.

(٢) الأنعام : ١٠٩.

(٣) يونس : ١٥.

(٤) آل عمران : ٤٩.

فهذه الآيات و نحوها تدل دلالة قاطعة على أن آيات الأنبياء لا تكون إلا بإرادة الله سبحانه و مشيئته و قوته، لا مشيئة النبي.

الخصيصة الثالثة : العصمة:

بما أن الله عزوجل أرسل عباده المرسلين لهداية الناس و جعلهم قدوة حسنة و أسوة صالحة في العقائد و الأعمال و الأقوال، عصمهم الله من ارتكاب الذنوب و المعاصي التي تجرح شخصياتهم و تخل بوظائفهم. و هذا يعرف بعصمة الأنبياء.

فالعصمة لغة: المنع، عصمه يعصمه عصما: منعه و وقاه. و اعتصم فلان بالله إذا امتنع به، و العصمة: الحفظ.[١]

و منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾[٢] : أي يمنعني من الغرق.

و اصطلاحا: حفظ الله عزوجل الرسل من المعاصي والصفات التي تخل بمقتضى النبوة و تنافي مهمة الرسالة.[٣]

عصمة الأنبياء قبل النبوة :

اتفق أهل السنة و الجماعة أن الأنبياء عليهم السلام يكونون معصومين قبل النبوة وبعدها من ارتكاب الكفر و الشرك.[٤] لأنهم أقرب الناس إلى الفطرة الأصلية - فطرة التوحيد التى فطر الله الناس عليها - و أبعدهم عن تسلط الشيطان و إغوائه، لأن الله يحفظهم و يرعاهم و يصنعهم على عينه، و يربيهم تربية خاصة منذ نشأتهم ليكونوا في المستقبل مؤهلين لحمل عبئ الرسالة.

---

(١) أنظر: لسان العرب، مادة عصم ١٢/: ٤٠ - ٤٠٤.

(٢) هود : ٤٣.

(٣) قد ذكر العلماء تعاريف كثيرة للعصمة، أنظر: المواقف للايجي، ص: ٣٦٦، و شرح الفقه الأكبر للقاري، ص: ٩٣ - ٩٤. و الذي اخترناها أقرب إلى الصحة، إن شاء الله>

(٤) أنظر: المواقف، ص : ٣٥٨، و شرح الفقه الأكبر،(ص: ٩٣، ٩٦. و تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص: ٩١١ - ١١٤، صححه و ضبطه محمد زهري النجار، ١٣٨٦ هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

هذه العناية الربانية بالأنبياء عليهم السلام يفيدها غير واحد من النصوص:

منها قوله تعالى عن العناية بموسى عليه السلام: ﴿ وَ لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [١]

و منها قوله تعالى ثناءً عليهم: ﴿ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [٢]

و قد ثبت في سيرة نبينا محمد ﷺ أنه كان يبغض عبادة الأصنام و الأوثان منذ صغره، و لا يمارس ما كان قومه يمارسونه من الخرافات الشركية و الوثنية.

و لا وجه للتفريق بينه و بين الأنبياء الآخرين في أصل العناية الربانية و إن كانوا متفاوتين في الدرجة و الرتبة.

وكذلك يكونون معصومين من الفواحش والقبائح المنفرة من الزنا والسرقة والخيانة والغش؛ لأنها مما يوجب النفرة منهم والوحشة من المجالسة معهم فيما بعد النبوة، وهذا يضر مستقبل الدعوة.

وأما غيرها من الذنوب مما لا يعرف قبحها بدون ورود الشرع فلا خلاف بين أهل السنة في صدورها منهم.[٣]

العصمة بعد النبوة:

اتفق أهل السنة و الجماعة على أنهم معصومون بعد النبوة من جميع الذنوب الكبيرة، فلا يمكن أن تصدر منهم تلك الذنوب مطلقا. و أما الصغائر الغير الخسيسة فوقع الإختلاف بينهم.

يقول القرطبي:[٤] اختلف العلماء هل وقع من الأنبياء صغائر من الذنوب، بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر و من كل رذيلة فيها شين و نقص إجماعا.

فقال جمهور الفقهاء : إنهم معصومون من الكبائر و الصغائر أجمعهما لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم و آثارهم و سيرهم أمرا مطلقا، من غير التزام قرينة، فلو جوزنا

---

(١) طه: ٣٩.

(٢) ص : ٤٧.

(٣) أنظر: المواقف للإيجي، ص : ٣٥٩، و شرح الفقه الأكبر للقاري، ص: ٩٣.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، من أشهر كتبه الجامع لأحكام القرآن، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة، توفي سنة : ٦٧١ هـ. أنظر: الأعلام ٥/٣٢٢.

عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة و الإباحة، أو الخطر و المعصية، و لا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية.[١]

ثم يحكي القول الآخر الذي يختاره فيقول: «و قال بعض المتأخرين: إن الله قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم و نسبها إليهم و عاتبهم عليها و أخبروا بها من نفوسهم وتنصلوا منها و اشفقوا منها و تابوا، و كل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها، و إن قبل ذلك آحادها، و كل ذلك مما لا يزري بمناصبهم، و إنما وقعت على جهة الخطأ و النسيان، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، و في حقهم سيئات.

و لقد أحسن الجنيد[٢] حيث قال: «حسناب الأبرار سيئات المقربين» إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه الأجير.

فيعقب عليه: و هذا هو الحق فهم صلوات الله و سلامه عليهم و إن كانت قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم، و لا قدح في رتبتهم، بل تلافاهم و اجتباهم و هداهم و زكاهم و اختارهم و اصطفاهم - صلوات الله عليهم وسلامه-.»[٣]

و يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فان القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام و جميع الطوائف، حتى أنه قول أكثر علماء الكلام، كما ذكره أبو الحسن الآمدي:[٤] أن هذا قول أكثر الأشعرية أيضا، و هو قول أكثر أهل التفسير و الحديث و الفقهاء بل لم ينقل عن السلف و الأئمة و الصحابة

---

(١) تفسير القرطبي ٣٠٨/١.

(٢) هو الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي، الخزار، أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين، قال أحد معاصره: «ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، و الشعراء لفصاحته، و المتكلمون لمعانيه» عدّه العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب و السنة، توفى سنة: ٢٩٧ هـ . الأعلام ١٤١/٢.

(٣) نفس المرجع.

(٤) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الحسن البغدادي الآمدي، فقيه حنبلي، بغدادي الأصل و المولد، نزل ثغر "امد" بديار بكر سنة : ٤٥٠ هـ، و توفي به، و إليه نسبته، له عمدة الحاضر و كفاية المسافر في الفقه، نحو أربع مجلدات، توفي ٤٦٧ هـ . الأعلام ٣٢٨/٤.

والتابعين و تابعيهم إلا ما يوافق هذا القول».[١]

لأن هذا القول تؤيده النصوص التي تنسب صدور الذنوب الصغيرة من الأنبياء عليهم السلام خطأ أو نسيانا و عتاب الله عليها، فاستغفروا الله و تابوا إليهم فأصبحوا أحسن و أكمل حالا منهم قبل التوبة و الإستغفار، كما قال تعالى ثناءا على آدم عليه السلام بعد استغفاره من خطأ أكل الشجرة: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى ﴾[٢]

و كما قال تعالى عند خطأ داود عليه السلام[٣] في تسرع الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني و العتاب عليه ثم اكرامه بعد توبته و ندامته: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَّ أَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ ﴾[٤]

«و من ثم قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة.

و قال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه».[٥] يعنى به الأنبياء عليهم السلام.

و أما شبهة الذين قالوا بعصمة الأنبياء من الصغائر أيضا كما نقلها الإمام القرطبي، فهي شبهة واهية يرد عليها ابن تيمية بقوله: «و عمدة من وافقهم - أي القائلين بعصمة الأنبياء من الذنوب مطلقا من الفقهاء - أن الإقتداء ﷺ في أفعاله مشروع و لو لا ذلك ما جاز الإقتداء به، و هذا ضعيف، فانه قد تقدم أنهم لا يقرون، بل لا بد من التوبة و البيان، و الإقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر، فأما المنسوخ والمتوب منه فلا قدوة فيه بالإتفاق، فاذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها فالأفعال

---

(١) مجموع الفتاوى ٣١٩/٤. و انظر: الشفا للقاضي عياض ٣٢٨/٢.

(٢) طه : ١٢٢.

(٣) هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر من نسل يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، فهو من أنبياء بني اسرائيل، و قد جمع الله له بين الملك و النبوة، و قبله يكون الملك في سبط و النبوة في آخر فاجتمعا في داؤد عليه السلام، و قد أثنى الله عليه في كتابه أكثر من مرة. أنظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٥٦٠/٢ و ما بعدها.

(٤) ص : ٢٤ - ٢٥.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٥٢.

التي لم يقر عليها أولى بذلك».[١]

فالأنبياء عليهم السلام لا يقرون على ذنب بل يعاتبون على ذلك بالفور فيسارعون إلى التوبة و الإستغفار، فعلى المؤمن أن يتأسى بهم في الإسراع في التوبة و عدم التأخير فيها.

العصمة من الأمراض المنفرة:

الأنبياء معصومون من الأمراض المنفرة و العيوب المكروهة ، لأنها تسبب النفرة من الإختلاط و الصحبة معهم فيفوت مقصود الرسالة، و هو تبليغ أحكام الله إلى الناس بطريق أكمل.و من هذا يكرمهم بالكمال في الخلقة الظاهرة أيضا، فاتهامهم بنقص فيها يسبب إيذاء هم الذي حذرنا الله منه.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِيْنَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [٢]

قد ثبت في الحديث الصحيح الذي روي في تفسير الآية: «إن موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما برص، و إما أدرة، وإما آفة، و إن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها و إن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، و أبرأه مما يقولون، و قام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [٣] .

---

(١) جامع الرسائل، ص : ٢٧٦ المجموعة الأولى، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ ، مطبعة الموفي - القاهرة. و انظر كلامه في هذا الموضوع بالتفصيل في مجموع الفتاوى، ١٠ / ٢٩٣ - ٣١٣.

(٢) الأحزاب : ٦٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الأنبياء، باب ٣/١٢٤٩، ٣٢٢٣

و قال الحافظ ابن حجر[١]: «و فيه أن الأنبياء في خلقهم و خُلُقهم على غاية الكمال، و أن من نسب نبيا إلى نقص في خلقته فقد آذاه، و يخشى على فاعله الكفر.»[٢]

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، عن أئمة العلم و التاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين) و مولده و وفاته بالقاهرة، حظي بالمكانة الكبيرة في العلوم، خصوصا في علم الحديث، حتى لقب بحافظ الإسلام، و لا يراد بالحافظ فيما أطلق إلا هو، و تصانيفه كثيرة جدا، من أشهرها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لسان الميزان، تهذيب التهذيب، و تقريب التهذيب، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ولد سنة: ٧٧٣ هـ، و توفي، ٨٥٢ هـ. الأعلام ١٧٨/١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٣٨/٦، المكتبة السلفية.

المبحث الأول في صفات الرسل عليهم السلام

صفة الإيمان وصفة الإحسان

الآيات المتعلقة بذلك:

قوله تعالى في سياق قصة نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤمِنِيْنَ ﴾ (٨١).

و قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤمِنِيْن﴾ (١١١).

و قوله تعالى في قصة موسى و هارون عليهما السلام: إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤمِنِيْنَ ﴾ (١٢٢).

و قوله تعالى في قصة إلياس عليه السلام: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤمِنِيْنَ (١٣٢).

و قوله تعالى إكتفاء بلفظ المرسل في قصة لوط عليه السلام: ﴿ وَ إِنَّ لُوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾ (١٣٣).

و قوله تعالى كذلك في قصة يونس عليه السلام : ﴿ وَ إِنَّ يُوْنُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴾ (١٣٩).

هذه القصص تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِيْنَ (٧١) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيْهِمْ مُنْذِرِيْنَ (٧٢) فَانْظُر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِيْنَ ﴾ (٧٤).

فتبين حسن عاقبة المخلصين و سوء عاقبة المكذبين، تسلية لقلب النبي ﷺ والمؤمنين معه، و تحذيرا للمشركين المعاندين من سوء العاقبة، و تذكر أهم صفات المخلصين الذين هم الرسل و الأنبياء عليهم السلام و الذين آمنوا تلك الصفات التي أكرمهم الله بها بالآيات البينات الدالة على صدقهم في الدعوة إلى التوحيد، و من عليهم بنعم كثيرة.

فما هي أهم و أبرز صفاتهم؟ هذا ما نتناوله بالتوضيح و البيان باذن الله.

و هي صفة الإحسان و صفة الإيمان. نبدأ بصفة الإيمان؛ لأنه أصل الإحسان.

الإيمان لغة :

هو التصديق و الإذعان عند جمهور أهل اللغة.[١] و منه قوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [٢] أي بمصدق لنا.

وشرعا:

و هو التصديق بالجنان و الإقرار باللسان و العمل بالأركان عند جميع السلف.[٣]

هذا هو الإيمان الكامل المطلوب شرعا، تؤيده النصوص الكثيرة من الكتاب و السنة و أقوال السلف.

يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [٤]

و يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَّ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِيْنَ يُقِيْمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [٥]

و يقول سبحانه و تعالى مبينا أهمية الإقرار باللسان: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَ رَسُوْلِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَّقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٦]

و يقول سبحانه مؤكدا لأهمية الأعمال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيْنَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَ الَّذِيْنَ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَ الَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

---

(١) أنظر: أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٢٠، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، مطبعة دار الكتب - القاهرة، و لسان العرب ١/ ٧. و التعريفات للجرجاني ٤٠، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة.

(٢) يوسف : ١٧.

(٣) أنظر: لوامع الأنوار البهية ١/ ٤٠٤، و الإختلاف بين الإمام أبي حنيفة و غيره من الأئمة في تعريف الإيمان إختلاف لفظي. أنظر: كتاب الإيمان لابن تيمية، ص: ٢٥٤، و شرح الطحاوية، ص: ٣٧٤.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) الأنفال: ٢ - ٤.

(٦) النور : ٥١.

حَافِظُونَ ﴾ [١]

فالإيمان المطلوب شرعا لا يتحقق إلا باجتماع التصديق القلبي الجازم و الإقرار باللسان و العمل بالأركان.

و هذا «هو الإيمان الحق الذي تشرق شمسه على جوانب النفس كلها فتنفذ إليها أشعتها حاملة الضوء و الحرارة و الحياة، أجل هذه العقيدة تنفذ إلى العقل فتقنعه وتطمئنه، و إلى القلب، فتهزه و تحركه، و إلى الإرادة، فتدفعها و توجهها.

و إذا اقتنع العقل و تحرك القلب و اتجهت الإرادة استجابت الجوارح و اندفعت للعمل استجابة الرمية للرامي المطاع». [٢]

«و فرق كبير بين أن ترى الرأي و بين أن تؤمن به، إذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك، و إذا آمنت به جرى في دمك و سرى في مخ عظامك و تغلغل في أعماق قلبك». [٣]

إن الرأي و الفكرة و النظرية عرضة للتعديل و التبديل حتى الإنكار عليه، لكن الإيمان أو العقيدة لا يمكن أن يتحول و يتغير فانه يكون مبرهنا بالبرهان القاطع، و مبنيا على الحق الثابت الذي لا يتغير و لا يتبدل.

و المواقف الإيمانية للأنبياء و المؤمنين كثيرة لا تعد و لا تحصى، و القرآن الكريم مملوء بذكر تلك المواقف الإيمانية الرائعة التي تثبت أن الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب صمد أهل هذا الإيمان صمود الجبال الراسيات، و ما خاف أي تهديد و تخويف، كما سيأتي بعض تلك المواقف ضمن قصص أولي العزم من الرسل عليهم السلام.

المراد بالمؤمن هنا ما هو؟ هل الأعمال داخلة فيه أم لا؟

الظاهر من السياق أنها غير داخلة فيه، لأنه استعمل مقترنا بما يدل على الأعمال، و هو لفظ المحسن، و هذا ما رجحه جمهور المفسرين. [٤] فدلالة اللفظ تتنوع بتنوع

---

(١) المؤمنون: ١ - ٥.

(٢) كتاب الإيمان و الحياة للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ١٧، الطبعة السابعة، ١٤٠١هـ، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٣) المرجع السابق، ص: ١٨.

(٤) أنظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠، و تفسير أبي السعود ٤/ ٥٤٠، و روح المعاني ٢٣/ ٩٩، و محاسن التاويل للقاسمي، ١٤، ٥٠٤٥.

السياق من الإطلاق و التبعيد و التجريد و الإقتران.

و من هنا إذا أطلق لفظ الإيمان دخل في المعنى الإسلام و الإحسان، و إذا ذكر مقترنا مع واحد منهما يراد التصديق الجازم فقط، و لا يدخل فيه ما يدل على الأعمال.[١]

الصفة الثانية المذكورة للأنبياء هي الإحسان.

و المعنى لهذه الصفة: أداء الأعمال الصالحة بروح الإخلاص و مراقبة الله في السر و العلن.

فقد قال رسول الله ﷺ في الجواب عن معنى الإحسان في حديث جبرئيل المشهور: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».[٢]

يقول بعض السلف في شرح الإحسان: فيه إشارة إلى المقامين:

المقام الأول مقام الإخلاص، و هو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه و إطلاعه عليه و قربه منه، فاذا استحضر العبد هذا في عمله و عمل عليه فهو مخلص لله عزوجل، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الإلتفات إلى غير الله و إرادته بالعمل.

و المقام الثاني مقام المشاهدة، و هو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله عزوجل بقلبه، و هو أن يتنور القلب بالإيمان، و تنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان.

و هذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبرئيل، و يتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر.[٣]

و ما من شك أن الأنبياء عليهم السلام متصفون بالدرجة الثانية، و هي مقام مشاهدتهم لله عزوجل بقلوبهم، فانها أعلى من الأولى، و هم أكمل الخلق في جميع المحاسن.

---

(١) أنظر كلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الصدد في كتابه: "الإيمان" ص: ١٥-١٤٣-١٤٨.

(٢) راواه مسلم عن عمر رضي الله عنه في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ١/٣٦. ورواه البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبرئيل عن الإيمان والإسلام، ١/٢٧، ٥٠.

(٣) جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب، ص: ٣٢، دار الفكر - بيروت.

فالمحسن يجعل جميع أعمال في ابتغاء مرضاة الله، و لا يلتفت إلى أحد من سواه رياءً أو كسبًا لنفع مادي.

إن الإحسان نعمة كبرى يشعر العبد فيها الأنس و اللذة الروحانية، و شحنة قوية ينطلق بها العبد في ميدان الجهاد بقوة خارقة، فلا يهن و لا يغتر عزمه في سبيل إعلاء كلمة الله، و لا يبالي بأي تهديد من قوى مادية و طاغوتية، فان معه قوة أكبر من كل قوة، فلا عجب أن يأتي بالخوارق، و يصنع المعجزات باذن الله و مشيته و حكمته.

إن الأنبياء عليهم السلام من الراسخين في صفة الإيمان، و من الكاملين في صفة الإحسان و الإخلاص، و لذلك أيدهم الله بالآيات البينات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به، و أكرمهم الله بنعم كثيرة جليلة.

و هذا ما سنوضحه فيما يلي بتوفيق من الله عزوجل.

المبحث الثاني: تأييد الله عزوجل لرسله بالآيات البينات ونصرهم

القصة الأولى لنوح عليه السلام و ما أيده الله من الآيات.

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ (٨٢).

معاني الكلمات:

﴿ وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ﴾ أي استغاث بنا بقوله: ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ [١]. وقوله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ [٢].

﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ أي فوالله لنعم المجيبون نحن، والجمع دليل العظمة والكبرياء.[٣]

﴿ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ الكرب: الغم الشديد[٤] و المراد به الغرق و الطوفان - كما سياتي - أو الأذى و التكذيب.[٥]

﴿ وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ فكل من على وجه الأرض من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة: و هم سام و حام و يافث. فسام أبو العرب و فارس والروم، و حام أبو السودان و القبط و البربر، و يافث أبو الترك و الصقالبة و ياجوج وماجوج. و الطوفان كان عاما شمل جميع الأرض.[٦]

﴿ وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي أبقينا عليه في الأمم، ما جاء في قوله تعالى:

---

(١) نوح : ٢٦.

(٢) القمر: ١٠.

(٣) الكشاف للزمخشري ٣/٣٤٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، ص: ٤٢٨، و تفسير المراغي ٢٣/٦٧.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/١٩.

(٦) و هو القول المختار عند جمهور المفسرين. أنظر: تفسير ابن كثير ٤/١٩، و الكشاف للزمخشري ٣/٣٤٣، و البحر المحيط ٧/٣٦٤، و تفسير القاسمي ١٤/٥٠٤٤.

﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ فمفعول تركنا: هو ﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[١] أو محذوف، و هو الثناء الجميل و الذكرالحسن.[٢]

فالله أبقى في جميع الأمم عليه من الذكر الجميل و الثناء الحسن أنه يسلم عليه، ويذكر بمحامد الخصال .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك.

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي المصدقين المؤحدين الموقنين.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾ أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف و لا ذكر و لا عين ولا أثر، و لا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.[٣]

---

(١) أنظر: الكشاف ٣/٣٤٣، و تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠.

(٢) أنظر تفسير القاسمي ١٤/٤٤٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠.

توضيح ما يتعلق بالآيات :

نوح [١] عليه السلام من أولي العزم من الرسل عليهم السلام، و هو أول رسول بعثه الله حينما وقع الناس في الشرك، كما جاء في الحديث الصحيح: « فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، و قد سماك الله عبدا شكورا، أما ترى ما نحن فيه؟ - أي من الغم و الكرب - ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عزوجل؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، و لا يغضب بعده مثله، نفسي ، نفسي». [٢]

و كان الناس قبل نوح عليه السلام على التوحيد و مقتضياته، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق» [٣]

قد ورد ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة و أربعين موضعا في القرآن الكريم [٤] وذكرت قصته مفصلة في كثير من السور الكريمة: منها الأعراف ويونس وهود والمؤمنون و الشعراء و العنكبوت و القمر، و نزلت سورة تسمى بسورة نوح. و كلها تشير إلى بعثته و طريق دعوته و إلى ما لاقاه في سبيل الدعوة من قومه من الإنكار و الإستكبار و الجحود، و إلى صبره الطويل الخارق.

ننظر مدى صبره الخارق و إرادته الحديدية في قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [٥]

كان نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمراً، و أكثرهم جهادا، فظل يدعو قومه إلى

---

(١) هو نوح بن لامك بن منوشلخ بن خنوخ - و هو ادريس - بن يرد بن مهلاييل بن قنين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. أنظر: قصص النبيين لابن كثير، تحقيق: الدكتور مصطفى عبدالواحد ٨٣/١.

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ١٢١٦/٣ ، ٣١٦٢. و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١٧٥/١ ، ١٨٨.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره. و انظر أيضا تفسير ابن كثير ٣٧٤/١ - ٣٧٥.

(٤) أنظر: المعجم المفهرس للقرآن الكريم، ص : ٨٩٢ - ٨٩٣.

(٥) العنكبوت : ١٤.

التوحيد و عبادة الله وحده بالحكمة و الموعظة الحسنة إلى تسع مائة سنة و خمسين عاما، و ننظر مدى عناد قومه و استكباره و مقابلتهم بغاية الوقاحة و الحماقة أمام دعوته في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَ نَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلا فِرَاراً وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوا ثِيَابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ (١)

و قد اختار نوح عليه السلام في دعوته قومه طرقا مختلفة، و أساليب متنوعة، كل واحد منها يمثل دافعا قويا إلى الاستجابة لدعوته بشرط الاستماع مجردا عن العناد و الهوى.

«فهو عليه السلام تارة يعدهم على الإيمان و التوحيد رزقا حسنا و حياة طيبة وكثرة في المال والولد، ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَّ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (٢)

و طورا يخوفهم عاقبة تماديهم و إصرارهم على الكفر و الضلال ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤) و أحيانا يلفت أنظارهم إلى آيات الله في الأنفس و الآفاق ليهتدوا بها إلى أن الخالق لهذه العوالم كلها علويها و سفليها هو الجدير بالعبادة وحده دون هذه الآلهة المزعومة التي لا تخلق و لا ترزق و لا تملك لعابديها شيئا ﴿ مَالَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا ﴾ (٥) »(٦) .

---

(١) نوح : ٥ -٧.

(٢) نوح : ١٠ - ١٢.

(٣) الأعراف : ٥٩.

(٤) هود : ٢٦.

(٥) نوح : ١٣ - ٢٠.

(٦) دعوة التوحيد للدكتور خليل هراس، ص : ١٣٠ - ١٣١.

« و كما تفنن نوح عليه السلام في دعوته إلى الله تفنن قومه في إيذائه، فتارة يتهمونه بالسفه و الضلال ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

و تارة يتهمونه بالجنون ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ (٢)

و تارة يتهمونه بكثرة الجدل و بالإفتراء على الله ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣)

و تارة يهددونه بالرجم ﴿ قَالُوا لإن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (٤)

و تارة يقابلونه بالسخرية و الإستهزاء ﴿ وَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونِي ﴾ (٥) »(٦)

هذه هي قصة نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله و مثابرته عليها، و قصة قومه في التمرد و الإستكبار ضد دعوته فما آمن منهم به إلا عدد قليل على الرغم من جهاده الطويل، كما قال تعالى: ﴿ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ (٧) و قيل: هم ثمانون رجلا وامرأة.(٨)

فلما يئس من إيمان قومه و عرفه من وحي ربه كما قال تعالى: ﴿ وَ أُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٩)

---

(١) الأعراف : ٦٠-٦١.

(٢) القمر : ٩.

(٣) هود : ٣٢.

(٤) الشعراء : ١١٦.

(٥) هود : ٤٠

(٦) أنظر: النبوة و الأنبياء للشيخ الصابوني، ص : ١٣٩.

(٧) هود : ٤٠.

(٨) و هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. أنظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٦١٠، و قصص الأنبياء له : ١/ ١٠٣.

(٩) هود : ٣٦.

عند ذلك تضرع إلى الله و دعا عليهم بالهلاك الكامل و الدمار الشامل ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (١)

فأجاب الله عزوجل دعاءه و وعده بأنه سيهلك قومه بالغرق في الطوفان العظيم العميم، و ينجيه و من آمن معه من هذا العذاب العظيم بالسفينة التي يصنعها بأمر ربه فركبها هو و الذين آمنوا معه، و حمل فيها من الحيوانات من كل صنف زوجين لبقاء نسلها، نقرأ الآيات التاليات و نعرف من خلالها حسن عاقبة المؤمنين و سوء عاقبة المكذبين، يقول تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَ فَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَ حَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ (٢)

و إلى هذا المعنى تشير الآيات في سورة الصافات : ﴿ و لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيْبُونَ ﴾ (٧٥) إلى ﴿ ..... ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِيْنَ ﴾ (٨٢).

فقد أنعم الله عزوجل على نوح عليه السلام بسبب إيمانه و إحسانه نعما كثيرة جليلة. و هي فيما يلي:

النعمة الأولى: هي إنجاء الله نوحا عليه السلام و الذين آمنوا معه، من الغرق في الطوفان استجابة لدعائه عليه السلام، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ وَ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾

النعمة الثانية: هي إهلاك قومه المكذبين هلاكا عاما، فما بقي واحد منهم ديارا استجابة لدعائه عليه السلام، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾

النعمة الثالثة: إبقاء ذريته لعمران الأرض، و إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾.

النعمة الرابعة: هي بقاء حسن ذكره عليه السلام و الثناء العاطر عليه بين الأمم كلها «حتى لا تجهل أمة من أمم الأرض نوحا و فضله و تمجيده، و إن اختلفت الأسماء التي

---

(١) نوح : ٢٦ - ٢٧.

(٢) القمر : ١٠ ١٤.

يسمون بها باختلاف لغاتهم»[١]

و هذه النعمة هي المرادة في قوله تعالى: ﴿ وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ و يفسرها قوله تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ .

و هذه الكلمة المباركة الجامعة توجد في جميع الأمم بعده فكلهم يدعون من الله الرحمة له و يسلمون عليه.[٢]

فيزيد الله النعمة عليه على سبيل الدوام، و يرفع درجاته على الإستمرار في جنات النعيم بسبب دعائهم و بسبب إيجاب السلام على نفسه أيضا، فان الله يسلم أيضا على عباده المرسلين كما في قوله تعالى: ﴿ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات) و كما في قوله تعالى: ﴿ وَ سَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾[٣] »[٤] .

و أكبر النعم منها هو إنجاء الله نوحا و من معه من العذاب العظيم ، و إهلاكه قومه المكذبين في ذلك العذاب، فقد جعل الله هذه النعمة آية كبرى في كثير من المواضع في كتابه.

يقول عزوجل: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٥] .

و يقول تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ مَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمَ ﴾[٦]

و يقول سبحانه : ﴿ وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٧]

---

(١) التحرير و التنوير ٢٣/١٣١.

(٢) أنظر: الكشاف ٣/٣٤٣، ابن كثير ٤/٢٠.

(٣) النمل : ٥٩.

(٤) و انظر: البحث القيم فيما أوجب الله نفسه مما يستحيل انتفاؤه في كتاب " بدائع الفوئد " لابن القيم ٢/١٦٠ - ١٦٦، دار الكتاب العربي - بيروت.

(٥) العنكبوت : ١٥.

(٦) الشعراء : ١١٩ - ١٢٢.

(٧) القمر : ١٥ - ١٧.

و العبرة العظمى في قصة نوح عليه السلام و في سائر قصص الأنبياء الآخرين التي ستأتي قريبا ظاهرة جدا من السياق القرآني:

و هي أن حسن العاقبة لأهل التوحيد و الإيمان و إن كانوا يمتحنون بأنواع من البلاء لكن النصر و الغلبة لهم؛ لأن الله أوجبه على نفسه فلا يمكن انتفاؤه.

كما قال تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِيْنَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١٧٣) الصافات.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «التوحيد مفزع أعدائه و أوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا و شدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُم يُشْرِكُونَ ﴾ [١]

و أما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا و الآخرة و شدائدهما، و لذلك فزع إليه يونس عليه السلام فنجاه من تلك الظلمات و فزع إليه أتباع الرسل فنجوا مما عذب به المشركون في الدنيا و ما أعد لهم في الآخرة.

و لما فزع إليه فرعون عند معاينة العذاب و إدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل.

هذه سنة الله في عباده فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولا يلقى في الشدائد إلا الشرك، و لا ينجي منها الا التوحيد، فهو مفزع الخليقة و ملجؤها و حصنها و غياثها. و بالله التوفيق.[٢]

و إكرام المؤمنين و إهانة المكذبين هو سنة الله الدائمة التي لا تتغير و لا تتبدل وهي المشار إليها في كثير من الآيات القرآنية:

يقول تعالى: ﴿ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا ﴾ [٣]

و يقول: ﴿ وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾[٤]

---

(١) العنكبوت : ٦٥.

(٢) كتاب الفوائد ، ص: ٦١، ضبطها و حققها الشيخ عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) الأحزاب : ٦٢

(٤) الإسراء : ٧٧.

قد أشرنا من قبل إلى الهدف المقصود من هذه القصص و هو تسلية النبي عليه السلام فيما يعانيه من قومه من الإيذاء و التكذيب و تحذير المكذبين من سوء العاقبة.

و لكن في كل قصة منها شبه بحال النبي عليه السلام مع قومه و بحاله الأكمل في دعوته، «فابتداء القصة بذكر نداء نوح عليه السلام موعظة للمشركين ليحذروا دعاء الرسول ﷺ بالنصر عليهم كما دعا نوح على قومه».[1]

و قد دعا النبي عليه السلام عليهم حينما اجتمعوا يوم بدر للقضاء على دعوته إلى التوحيد فأهلك الله طواغيت منهم في هذا اليوم - يوم الفرقان - و ﴿أَذَاقَهُمْ الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ﴾.

---

(١) التحرير و التنوير ٢٣/١٣٢.

قصة إبراهيم عليه السلام و ما أيده الله به من الآيات

و الآيات المتعلقة بذلك :

﴿ وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ... إلى ... ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ (٨٣ - ٩٨).

هذه الآيات تشتمل على أروع قصة في تاريخ دعوة الأنبياء، و هي قصة الصراع بين الحق و الباطل و قد بسطناها في مبحث الرد على عبادة الأصنام فلا حاجة لإعادتها مرة ثانية.[١]

و الذي يهمنا هنا ذكر ما أيده الله عزوجل من الآية العظمى بشيء من البسط، وما أكرمه الله بنعم كثيرة.

قد سبق أن قومه المشركين لم يرجعوا إلى رشدهم عن غيهم بالبرهان القولي الذي قدمه إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَ إِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٧).

فأراد أن يثبت بطلان عبادة الأصنام بالحجة الفعلية، و هي تحطيم الأصنام وكسرها. و فعلا قد حطم الأصنام بفأسه قطعا صغيرة متناثرة يعلوها الذل و الهوان فلجأ قومه إلى منطق الحديد و النار، و عزموا أن يحرقوه انتصارا لآلِهَتِهِمْ المزعومة و تشفيا لغيظ قلوبهم المنكرة.

فأشعلوا النار العظيمة جدا فكان لها شرر عظيم و لهيب مرتفع لم توقد نار قط،[٢] و ألقوا إبراهيم عليه السلام فيها وهو مطمئن القلب بقوة عقيدة التوحيد، و بتائيد الله إياه وقائل: ﴿ حسبيي الله و نعم الوكيل ﴾ [٣]

هناك تدخلت كلمة الله العليا التي لاترد ﴿ كُونِي بَرْدًا وَ سَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٤]

---

(١) أنظر: ص ٥٥ - ٦٢ من هذه الرسالة.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير ٢٩٤/٣.

(٣) أنظر: المرجع السابق، و قد رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب التفسير، باب قول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ١٦٦٢/٤ ، ٤٢٨٨.

(٤) الأنبياء : ٦٩.

مقابل الكلمة السفلى ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ فَاصبحت النار بردا لاحارة و سلاما يحفظ حياته، و لا يضره شيئا فما كانت بردا فقط لئلا يضره ببرودتها.

هكذا ظهرت آية الله العظمى في نصرة خليله عليه السلام ببركة إحسانه و إيمانه، و رد كيد المشركين في نحورهم حيث أحبط كيدهم لإطفاء نور التوحيد فأظهره الله و أتمه و أعلى شأنه و نصر عبده و خليله على قومه المعاندين المشركين.

و يفيده قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ (٩٨).

و قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ [١]

و قد أنعم الله عزوجل على ابراهيم عليه السلام ما أنعم به على نوح عليه السلام؛ لأنه كان مثله في الإيمان و الإحسان، و سنة الله واحدة لا تتغير، و هي إكرام المؤمنين وإهانة المكذبين، و إن كان يفضل بعضهم على بعض من عباده في الدرجات، إنه لذو فضل عظيم، لكن لا يفرق في نفس الإكرام بين الرسل عليهم السلام، فكل من المصطفين الأخيار.

النعم المذكورة في السورة كما يلي:

١- إنجاء الله ابراهيم عليه السلام من عذاب النار، وجعلها بردا و سلاما عليه، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ (٩٨).

٢- تبشيره إياه بغلام حليم في وقت الشيخوخة، و هو اسماعيل عليه السلام، ثم تبشيره إياه باسحاق و يعقوب نبيين من الصالحين. و إليه الإشارة بقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ و بقوله تعالى: ﴿ وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٢).

أما البشارة بيعقوب عليه السلام فوردت في موضع آخر، و هو قوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [٢].

٣- إبقاء الذكر الجميل و الثناء العاطر في الأمم بعده، و أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (١٠٩).

٤- إنجاء الله ولده الحليم من الذبح ، و جعل الذبح العظيم، و هو الكبش العظيم الذي

---

(١) الأنبياء : ٧٠.

(٢) هود : ٧١.

قد رعي في الجنة أربعين خريفا فداء له.[١] و سيأتي هذا الموضوع مفصلا في قضية تعيين الذبيح.

أما الخصوصية لقصة إبراهيم عليه السلام لحال النبي ﷺ فهي: «أن الله ضرب هذه القصة مثلا لحال النبي ﷺ في ثباته على إبطال الشرك و فيما لقي من المشركين، وإيماء إلى أنه يهاجر من أرض الشرك، و أن الله يهديه في هجرته و تهب له أمة عظيمة كما وهب إبراهيم فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾[٢]

و في قوله تعالى: ﴿ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (١١٢).

مثل لحال النبي ﷺ و المؤمنين معه من أهل مكة و لحال المشركين من أهل مكة».[٣]

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٤.

(٢) النحل : ١٢٠.

(٣) التحرير و التنوير ٢٣/١٦٢.

قصة موسى و هارون عليهما السلام و ما أيدهما الله به من الآيات

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ (١١٤) وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَ نَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَ آتَيْنَا هُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَ هَدَيْنَا هُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى و هَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٢).

معاني الكلمات:

﴿ وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ ﴾ أى أنعمنا عليهما نعما كثيرة.

﴿ وَ آتَيْنَا هُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ أي أعطيناهما الكتاب الواضح، و هو التوراة.

توضيح ما يتعلق بالآيات:

إن موسى عليه السلام[1] أيضا من أولى العزم من الرسل الذين ذكرهم الله في مواضع عديدة من القرآن الكريم و أثنى الله عليه ببالغ المدح و عظيم الثناء لمواقفه الرائعة في سبيل الدعوة إلى التوحيد.

و هو أفضل أنبياء بني إسرائيل، و إمامهم على الإطلاق، فكلهم جاءوا بعده لتجديد شريعته.

و شرفه الله بتكليمه إياه كما قال: ﴿ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [2]

و أنزل عليه التوراة فيها هدى و نور.

و أما أخوه هارون عليه السلام فبعثه الله عضدا و وزيرا لموسى عليه السلام استجابة لدعائه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي

---

(١) و هو موسى بن عمران بن فاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام.

و أما هارون عليه السلام فنسبه مثل موسى، فانه أخوه الشقيق الأكبر. أنظر: قصص الأنبياء: ٣٤٧/٢.

(٢) النساء : ١٦٤.

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَ اشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيْراً وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسَى ﴾ (١)

« ولد موسى عليه السلام في عهد الطاغية الأكبر فرعون عدو الله الذي اشتهر بالطغيان و الجبروت فنازع الله في ملكه و ادعى الربوبية، و أعلن التمرد و العصيان وزعم أنه الإله المعبود من دون الله، و اسم ذلك الطاغية الوليد بن مصعب، و لقبه فرعون - و فرعون لقب كل من ملك أرض مصر من الجبابرة كما أن كسرى لقب لكل من ملك بلاد الفرس، و قيصر لقب لكل من ملك بلاد الروم - ». (٢)

و قد ذكر الله قصة هذا الطاغية و طغيانه و ظلمه على قوم موسى بني اسرائيل أكثر من مرة.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَونَ عَلا فِي الأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ ﴾ (٣)

يقول الحافظ ابن كثير: و كان الحامل على ذلك الصنيع القبيح أن بني اسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، و ذلك - و الله أعلم - حين جرى على سارة امرأة الخليل عليه السلام من إرادته إياها على السوء و عصمة الله لها، و كانت هذه البشارة مشهورة في بني اسرائيل يتحدث بها القبط فيما بينهم، و وصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه و أساورته و هم يسمرون عنده فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني اسرائيل حذرا من وجود هذا الغلام، و لن يغني حذر من قدر». (٤)

فقدرة الله فوق كل قدرة، و كيده أعلى من كل كيد فمن غرائب قدرته و عجائب كيده أنه عزوجل يربيه عليه السلام في بيت فرعون و ينفق المال في تربيته من خزانته، و ترضعه أمه على الأجرة من مال فرعون.

---

(١) طه : ٢٩ - ٣٦.

(٢) النبوة و الأنبياء للصابوني، ص: ١٦٧.

(٣) القصص : ٣ - ٤.

(٤) قصص الأنبياء ٣٤٨/٢، و انظر تفسيره ٦٠٦/٣.

و قصته معروفة و لا ندخل في تفصيلها لكونه خارجا عن الموضوع.[١] و نذكر هنا ما يتعلق بالموضوع.

يذكر الله سبحانه قصة موسى و هارون عليهما السلام في معرض إثبات حسن العاقبة لأهل التوحيد، و سوء العاقبة للمكذبين.

فيقول: كما مننا على عبادنا نوح و ابراهيم و قدرنا لهم النصر على أعداء التوحيد كذلك مننا على موسى و هارون عليهما السلام فأنجيناهما من الكرب العظيم، و هو استبداد فرعون الطاغية و ظلمه عليهم، و معاملته السيئة بهم من قتل الأبناء واستعماله إياهم في أخس المهن. ثم نصره إياهما و قومهما على فرعون و قومه فملكوا أراضيهم وما جمعوا طول حياتهم، و أفناهم الله من صفة الوجود باغراقهم في اليم.

و آتاهما الله الكتاب الواضح الهادي إلى طريق مستقيم لا عوج فيه و لا انحراف، وقد تكلمنا عن ما يتمتع المؤمن بالهدى والبصيرة في الحياة الدنيا مبسوطا فيما سبق.[٢]

و بالجملة أن الله سبحانه أعلى كلمة التوحيد على يد موسى و هارون عليهما السلام على كلمة الباطل، و كتب لهما النصر و الغلبة على قومه في نهاية المطاف، وأهلك فرعون و قومه بالغرق، فالآيات واضحة الدلالة.

و سر هذا التاييد الرباني هو ما مر في القصتين السابقتين، أي الإيمان و الإحسان. و الإنعام عليهما مثل ما مر، و هو السلام من الأمم و الذكر الجميل و الثناء الحسن.

« و الخصوصية لهذه القصة أنها عبرة و مثل كامل للنبي ﷺ في رسالته و إنزال القرآن عليه و هدايته و انتشار دينه و سلطانه بعد خروجه من ديار المشركين ».[٣]

---

(١) فراجع: إلى قصص الأنبياء لابن كثير، الجزء الثاني فقد بسطها بسطا وافيا.

(٢) أنظر: ص ١٣٢ - ١٣٥ من هذه الرسالة.

(٣) التحرير و التنوير ٢٣/١٦٥.

قصة الياس عليه السلام و ما أيده الله به

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ وَ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٢٩) سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢).

و قد ذكرت قصته مفصلة في الرد على عبادة الأصنام، و أما ما أنعم الله عليه فهو واضح من الآيات التي تكررت في هذه القصة أيضا، فالسياق واحد و الهدف واحد.

و الذي يميزها عن القصص السابقة و يميزها مما سياتي أنها من قصص الأنبياء غير أولي العزم الذين لم يوذوا في سبيل الله ما أوذي أولوا العزم، و مع ذلك فانهم مشاركون لهم في الدعوة إلى التوحيد و الجهاد في سبيله.

و الخصوصية لهذه القصة - قصة إلياس عليه السلام - «أن فيها إنباء بأن الرسول عليه أداء الرسالة، و لا يلزم من ذلك أن يشاهد عقاب المكذبين و لا هلاكهم للرد على المشركين - العرب - الذي قالوا: ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1] فقال تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾ [2] »[3].

---

(١) السجدة : ٢٨.

(٢) المؤمنون : ٩٣ - ٩٥.

(٣) التحرير و التنوير : ٢٣/ ١٧٠.

قصة لوط عليه السلام

الآيات المتعلقة بذلك :

﴿ وَ إِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٣٨).

معاني الكلمات:

﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴾ أي نجى الله لوطا و أهله من العذاب المهين إلا امرأته العجوز فإنها كانت من الغابرين أى الباقين في العذاب.[1] فهلكت مع من هلك من قومها.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴾ أهلكنا المكذبين بجعل قريتهم عاليها سافلها و إمطار حجارة من سجيل عليهم - كما سياتي -.

﴿ وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أى إنكم يا أهل مكة لتمرون على منازل قوم لوط في تجارتكم إلى الشام ليلا و نهارا أ فلا تستعملون عقولكم فتتعظون بها من علامات عذابهم.

توضيح ما يتعلق بالآيات :

إن لوطا عليه السلام كان ابن أخي ابراهيم عليه السلام و أبوه هاران أخو ابراهيم عليه السلام ابن آزر.

و هو آمن بابراهيم عليه السلام و هاجر معه من أور الكلدانين إلى أرض كنعان وهو كان على ملة ابراهيم عليه السلام، و بعثه الله إلى أهل مدينة سدوم في أطراف شرق أردن لإصلاح الساكنين فيها، و قد كانوا من أفجر الناس و أكفرهم و أخبثهم طوية، يقطعون السبيل و يأتون في ناديهم المنكر إعلانا و جهارا، و قد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد قبلهم و هي إتيان الرجال دون النساء، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده و نهاهم عن تعاطي المنكرات و الفواحش، فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم و استمروا على فجورهم و الفواحش، فأحل الله بهم من العذاب الشديد في

---

(١) أنظر: الجلالين، ص: ٥٤٧ ، و تفسير القاسمي ١٤/٥٦١.

الدنيا و جعلهم مثلة في العالمين، و عبرة يتعظ بها أولوا الألباب.[١]

و قد ذكر الله سوء حالهم و ما أنزل بهم من العذاب أكثر من مرة نسوق بعض الآيات المتعلقة بذلك.

يقول سبحانه: ﴿ وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَ مَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[٢]

و يقول سبحانه: ﴿ وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣]

و يقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[٤]

وَ يقول سبحانه: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴾[٥]

يظهر من الآيات المتلوة أن الله أنزل عليهم ثلاثة أنواع من العذاب لإهلاكهم بسبب تمردهم و استكبارهم و وقاحتهم:

الأول: أن الله قلب قراهم فجعل عاليها سافلها.

---

(١) أنظر: قصص الأنبياء لابن كثير ١/٢٥٥.

(٢) الأعراف: ٨٠ - ٨٤.

(٣) العنكبوت: ٣١ - ٣٥.

(٤) هود: ٨٢ - ٨٣.

(٥) الحجر: ٧٣ - ٧٤.

و الثاني: أنه أمطر حجارة من سجيل منضود و كانت مسومة، أى مكتوبة على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمي به.

و الثالث: أنه أرسل عليهم صيحة، أى زجرة من السماء.

و جعل الله هذا العذاب العظيم آية على صدق النبي لوط عليه السلام في دعوته إلى التوحيد و تحذيره من مغبة الفاحشة.

يقول الحافظ ابن كثير: « و جعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بمائها و لا بما حولها من الأراضي المتأخمة لفنائها لرداءتها و دناءتها فصارت عبرة و مثلة وعظة و آية على قدرة الله و عظمته و عزته في انتقامه، ممن خالف أمره و كذب رسله واتبع هواه و عصى مولاه، و دليلا على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات و إخراجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [١]

و قد أهلك امرأة لوط عليه السلام؛ لأنها كانت مخالفة لأمر ربها و دعوة زوجها، و هو المراد بالخيانة في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَ امْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ قِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [٢] .

و ليس المعنى أنهما خانتا بفاحشة - حاشا و كلا- فان الله لا يقدر على نبي قط أن تبغي امرأته، كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف و الخلف: «ما بغت امرأة نبي قط، و من قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأ كبيرا» [٤] .

و قد ترك الله آثاراً سيئة لهم تدل على سوء عاقبتهم في الدنيا و الآخرة يمر المشركون عليها صباحا و مساء فى سفرهم للتجارة إلى الشام فعليهم أن يتعظوا ويعتبروا بهذه المثلة و ينزجروا عن الكفر و الفساد مخافة أن يحل بهم ما حل بهم.

---

(١) الشعراء : ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) قصص الأنبياء : ٢٣٧/١.

(٣) التحريم : ١٠.

(٤) أنظر: تفسيره ٦١٤/٤، و تاريخه : ٢٣٦/١. و الكشاف للزمخشري ١٣١/٤.

يقول بعض المؤرخين: إن البحر الميت المعروف الآن لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث، و إنما حصل من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها و صارت أخفض من سطح البحر بنحو أربع مائة متر، و قد أثبتت الإكتشافات القريبة آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت.[١]

و الخصوصية في هذه القصة أن فيها مشاهدة آثار المكذبين[٢] و لا يخفى ما فيها من أبلغ التحذير و آكد التخويف من مغبة الكفر و العناد و الفاحشة.

---

(١) أنظر: النبوة و الأنبياء للصابوني، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أنظر: التحرير و التنوير ٢٣/١٧٢.

قصة يونس عليه السلام و ما أيده الله به

الآيات المتعلقة بذلك.

﴿ وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَولا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَ أَرْسَلْنَا إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (١٤٨).

معاني الكلمات:

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ أصل الإباق هروب العبد من سيده، و المراد هنا أنه ترك قومه بغير إذن ربه و هرب إلى السفينة المملوءة.[١]

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِيْنَ ﴾ أي قارع فكان من المغلوبين بالقرعة.

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيْمٌ ﴾ أي ابتلعه الحوت في حال أنه أتى بما يستحق اللوم.

﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ العراء المكان الخالي الذي لا سترة فيه، أى لا شجرة فيه.[٢] و السقيم: المريض، و المعنى: فجعلنا الحوت يلقيه في مكان خال من الشجر والنبات و هو عليل الجسم و عليل النفس.

﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ اليقطين كل شجر لا يقوم على ساق نحو الدباء والقرع والبطيخ والحنظل،[٣] والمراد هنا القرع، وفيه فوائد سيأتي ذكرها.

﴿ وَ أَرْسَلْنَا إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيْدُونَ ﴾ كلمة أو لها معان عند المفسرين، فقيل: هو بمعنى بل كما في قراءة: بل يزيدون و هو مختار أكثر المفسرين.[٤] و قيل: بمعنى الواو.

---

(١) أنظر: القرطبي ١٢٢/١٥، و تفسير المراغي ٨٢/٢٣، و الكشاف ٣٥٣/٣.

(٢) أنظر: الكشاف ٣٥٣/٣، و المراغي ٨٢/٢٣، و المفردات في غريب القرآن ٣٣٢.

(٣) أنظر: لسان العرب ٣٤٥/١٣، مادة قطن، و الكشاف ٣٥٣/٣، تفسير ابن كثير ٣٣/٤، و القرطبي: ١٢٩/١٥، و غيرها من كتب التفسير و اللغة.

(٤) أنظر: تفسير الطبري ١٠٤/٢٣، و تفسير ابن كثير ٣٤/٤، و الجلالين، ص: ٥٤٨، و المراغي ٨٤/٢٣.

و قيل هو على أصله أي للشك بالنسبة إلى مرأي الناظر، أي: إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر، و الغرض الوصف بالكثرة.[١]

﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أى فآمن قوم يونس عليه السلام به فأبقيناهم إلى أجل مسمى يتمتعون فيه و رفعنا عنهم العذاب، ببركة إيمانهم.

توضيح ما يتعلق بالآيات :

هذه قصة يونس بن متى عليه السلام[٢] تؤكد ما أكدته القصص السابقة و هو حسن عاقبة المؤمنين و سوء عاقبة المكذبين - فالمكذبون إن استمروا على التكذيب والكفر أحل الله بهم خزي الدنيا و الآخرة، و إن آمنوا و تابوا من الكفر و التكذيب أنجاهم الله من الخزي الدنيوي و الأخروي، مثل قوم يونس عليه السلام فهم آمنوا و تابوا توبة نصوحا من الكفر و التكذيب و كشف الله عنهم العذاب الذي رأو علاماته و أسبابه.[٣]

و قد كان يونس عليه السلام دعا قومه - و هم أهل نينوى من بلاد الموصل من أرض آشور في القسم الشمالي من العراق الحديث -[٤] إلى التوحيد و نهاهم عن عبادة الأوثان فلم يستجيبوا لدعوته، و أصروا على الكفر فأوعدهم يونس عليه السلام بالعذاب في يوم معلوم إن استمروا على الكفر و التكذيب.

و خرج من بين أظهرهم متوعدا لهم بالعذاب بعد ثلاث أيام فلما رأي قومه خروجه

---

(١) أنظر: الكشاف ٣/٣٥٤. هذا ما اختاره الزمخشري.

(٢) لم يذكر المؤرخون نسبا ليونس عليه السلام، و إنما اتفقوا على أن اسمه (يونس بن متى)، و قالوا: (متى) هي أمه، و لم ينسب إلى أمه من الرسل غير يونس و عيسى عليهما السلام، و يسمى عند أهل الكتاب يونان بن أمتاى، و يونس عليه السلام من بني اسرائيل، و يتصل نسبه ببنيامين أحد أولاد يعقوب عليه السلام، و هو شقيق يوسف عليه السلام. أنظر: العقيدة الإسلامية و أسسها للشيخ عبد الرحمن الميداني، ص: ٤٨٨.

(٣) هذا هو الصحيح، فانه لو رأوا عين العذاب ما رفعه الله عنهم لأن الإيمان عند معاينة العذاب لا ينفع كما لم ينفع إيمان فرعون شيئا. و أنظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧٠، و القرطبي: ١٥/ ١٣١- ١٣٢، و فتح القدير للشوكاني ٢/ ٤٧٤، و الكشاف للزمخشري ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٤) أنظر: العقيدة الإسلامية و أسسها للشيخ الميداني، ص: ٤٨٩.

من بينهم و ظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة و خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم و أنعامهم و مواشيهم و فرقوا بين الأمهات و أولادها ثم تضرعوا إلى الله عزوجل و جأروا إليه فكشف الله عنهم العذاب.[١]

و حينئذ عاتب الله رسوله يونس عليه السلام بسبب خروجه من بين قومه بدون إذنه « و إن كان له فيه إجتهاد مقبول، و لكن مثل هذا الإجتهاد إن قبل من الصالحين العاديين فانه لا يقبل من المرسلين المقربين، فهو بخروجه و استعجاله قد فعل ما يستحق عليه اللوم و التأديب الرباني».[٢]

فقدر له أن يركب سفينة مملوءة في البحر، و لما ركبها أخذت تضطرب و تهيج وتلعب بها الأمواج من كل جانب و أشرف ركابهم على الغرق فرأوا أن واحدا من الركاب صاحب ذنب لا بد عليه أن يلقي نفسه في البحر للنجاة من مصيبة الغرق فاستهموا واقترعوا ثلاث مرات، و في كل مرة وقع السهم على يونس عليه السلام فألقى بنفسه في البحر على الرغم من عدم إرادة الركاب بذلك فانه أيقن أن ربه قد غضب عليه، و رأي في القائه تخفيفا لغضبه فلما ألقى نفسه أمر الله حوتا أن يلتقم عبده يونس، و أوحى إليه أن لا تأكل له لحماو لا تهشم له عظما، فانه ليس لك رزقا و إنما بطنك تكون له سجنا و طاف به البحار كلها فلما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية، نادى في الظلمات - ظلمة الحوت، و ظلمة البحر، و ظلمة الليل: ﴿ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ اعترف بتقصيره في الخروج عن قومه بدون أمر ربه و نزه الله من كل عيب و نقص و تاب إليه توبة خالصة فاستجاب الله دعاءه و أنجاه من الغم و الهم بأن أوحى إلى الحوت أن يقذف به في العراء على ساحل البحر، و أنبت الله عليه شجرة من يقطين، كان فيها غذاء و دواء فيأكل منها و يستظل بظلها و يعالج بها سقمها.[١]

و الجدير بالذكر أن المستفاد من هذه القصة عدة أمور مهمة:

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧٠ و ٣/ ٣٠٦.

(٢) العقيدة الإسلامية و أسسها للشيخ الميداني، ص: ٤٩٢.

(٣) يقول بعض العلماء: في إنبات القرع عليه حكم جمة منها أن ورقه في غاية النعومة و كثير و ظليل، و لا يقربه ذباب، و يؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيا و مطبوخا و بقشره و ببذره، و فيه نفع كثير و تقوية للدماغ، و غير ذلك. أنظر: قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٣٣٩.

الأمر الأول: ترغيب كفار قريش و أمثالهم إلى الإيمان الصادق، فهو أصل كل خير و مصدر كل نعمة دنيوية و أخروية، و إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (١٤٨)

و بقوله تعالى في موضع آخر: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [١]

أما كشف العذاب الأخروي فلأن الإيمان منقذ من العذاب الأخروي أيضا، لما تضافرت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب و السنة. [٢]

والأمر الثاني : هو تسلية النبي ﷺ فيما يلقاه من ثقل الرسالة و أمره بالصبر على معاناة تكاليف الدعوة و عدم التذمر بما يواجه في سبيلها من التكذيب و الإنكار.

كما جاء هذا الأمر صراحة في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [٣] .

فعلى الرسول أن يؤدي واجبه في كل ظرف، و في كل جو، و لا يترك الدعوة من عند نفسه ، و لا يخرج من بلد قومه بدون أمر ربه.

الأمر الثالث : هو ما أيد الله به يونس عليه السلام بالآية البينة على صدقه في النبوة و صدقه في التوبة، و ما أكرمه به من النعم العظيمة ببركة إيمانه و إحسانه.

فمن الآيات أن الله أخرجه من بطن الحوت حيا سالما كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤٤)

و قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤]

و منها أن الله هيأ له مما يصلح جسمه الهزيل و يشفيه و يقويه و يدفع عنه ما يؤذيه، و هو الشجرة من اليقطين - كما مر - و هيأ له أروية وحشية تأكل من هشاش

---

(١) يونس: ٩٨.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧٠.

(٣) القلم : ٤٨.

(٤) الأنبياء : ٨٨.

الأرض فتتفتح عليه فترويه من لبنها كل عشية و بكرة حتى نبت[١] ، أى قوى جسمه و لحمه.

هذا ما أيد الله يونس عليه السلام و أكرمه ببركة إيمانه و إحسانه.

و هذه القصص التي تهدف إلى هدف واحد، و هو تبشير المؤمنين بحسن العاقبة، و تحذير المكذبين من سوئها على مدار التاريخ منذ نوح عليه السلام إلى يوم القيامة.

دفع شبهة :

قد يتوهم متوهم أن قوله تعالى في شأن يونس عليه السلام: ﴿ وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [٢] أنه شك في قدرة الله على الإنتقام منه، و أنه غضب ربه ، و هذا فهم خاطي مخالف لما ثبت من عصمة الأنبياء من الذنوب، لا سيما الذنوب الإعتقادية .

يقول الإمام الرازي: «لا يجوز صرف المغاضبة إلى الله سبحانه، لأن ذلك صنعة من يجهل كون الله مالكا للأمر و النهي، و الجاهل بالله لا يكون مؤمنا فضلا أن يكون نبيا. و مغاضبته لقومه كان غضبا لله و أنفة و بغضا للكفر و أهله.[٣]

و يقول في تفسير معنى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أنه من القدر لا من القدرة، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على معاوية رضي الله عنه[٤] فقال له معاوية: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لي مخلصا إلا بك. فقال: ما هي؟ قال يظن نبي الله يونس أن لا يقدر الله عليه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا من القدر لا من القدرة»[٥]

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير ٣٣/٤، و فتح القدير: ٤١١/٤.

(٢) الأنبياء : ٨٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٠٤/٢٢. و أنظر: ابن كثير ٣٠٧/٣، و الزمخشري : ٥٨١/٢.

(٤) هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ولد قبل البعثة بخمس سنين، أظهر إسلامه عام الفتح، و كان من الكتبة الحسنة الفصحاء، فكان من الكتبة للرسول ﷺ ، و ولاه عمر رضي الله عنه الشام، و قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه فقيه»، مات سنة: ٦٠ هـ. انظر: الإصابة ١٢٢/٦ - ١١٤. حرف الميم، القسم الأول.

(٥) التفسير الكبير ٢١٥/٢٢، و اختاره الإمام الطبري في تفسيره ٧٩/١٧، و ابن كثير في تفسيره ٣٠٧/٣، و الزمخشري ٥٨١/٢.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [١]

و في قوله تعالى: ﴿ وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [٢] فهو من القدر بمعنى التضييق، لا من القدرة، فالمعنى: أنه ظن أن لا يواخذه الله و لا يضيق عليه بسبب خروجه من أظهر القوم حيث أنه لم يفعله إلا غضبا لله و بغضا للكفر و أهله، فاجتهد نبي الله يونس عليه السلام و لم ينتظر الوحي و خرج فعاتب الله على ذلك و لما تاب إلى الله توبة صادقة و استغفره و نزهه عما لا يليق به تاب الله عليه ونجاه مما ابتلاه به و أكرمه بنعم جليلة.

---

(١) الطلاق : ٧.

(٢) الفجر: ١٦.

المبحث الثالث

رويا الأنبياء وحي و قضية تعيين الذبيح

الأمر الأول: رؤيا الأنبياء وحي:

الآيات المتعلقة بذلك: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠٧).

معاني الكلمات:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ أى استجبنا دعاءه و بشرناه بغلام يكون حليما في كبره.

قال بعض المفسرين: «جميع الله فيه بشارات ثلاث: بشارة أنه غلام، و أنه سيبلغ أوان الحلم، و أنه يكون حليما، لأن الصغير لا يوسف بذلك، و أي حلم يعادل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أى لما بلغ السن التي تساعده على أن يسعى معه فِي أعماله و حاجات المعيشة.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ أى استسلما - الأب و الإبن - لأمر الله و كبه على وجهه.

﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ أى حققت ما طلب منك في الرؤيا على قدر ما استطعت، و هو إضجاعك ولدك للذبح.

و الرؤيا - على وزن فعلى - ما يراه النائم في حالة النوم.

و الرؤية - على وزن فعلة - ما يراه الرائي في حالة اليقظة بحاسة البصر و تطلق على ما يدرك بالتخيل نحو أرى أن زيدا مسافر، و على التفكير النظري نحو ﴿ إِنِّي أَرَى

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/٥٤٣.

ما لا ترون. و على الرأي، و هو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن.[١] و جمع الرؤيا الرؤيَ.

توضيح ما يتعلق بمبحث الرؤيا :

تمهيد :

إن الرؤيا حقيقة ثابتة دل عليها الكتاب و السنة.

يقول تعالى: ﴿ وَ كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثَ ﴾[٢] أي يعلمك من تعبير المنامات. فهذه الآية تدل على أن تعبير الرؤيا علم، و العلم لا يكون إلا ما له حقيقة.

و قال الرسول ﷺ تاكيدا لأهمية رؤيا المؤمن: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات ». قيل: و ما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[٣].

و يدل على كون الرؤيا حقيقة من الحقائق ما قص الله في كتابه من رؤى بعض المؤمنين في قديم الزمان، و من رؤى بعض الكفار و المشركين كذلك.

مثال رؤيا المؤمن ما ذكره الله في شأن رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[٤]

و مثال رؤيا المشرك ما ذكره من رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام: ﴿ وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَ قَالَ الآخَرُ إِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥]

---

(١) فتح الباري ٣٦٩/١٢، نقلا عن الإمام الراغب.

(٢) يوسف : ٦.

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشرات ٢٥٦٤/٦، ٦٥٨٩. و مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع و السجود ٣٤٨/١، ٢٠٧، ٢٠٨، و عنده: يراها الرجل الصالح أو المسلم.

(٤) يوسف : ٤-٥.

(٥) يوسف: ٣٦.

و ما ذكره الله من رؤيا ملك مصر التي خوفته و هالته: ﴿ وَ قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [١]

فهذه الأمثلة دلائل قاطعة على أن الرؤى و الأحلام حقيقة من الحقائق الثابتة في الكيان البشري، و من أهم ما تتميز به هذه الرؤي أنها تربط الإنسان بالكون الكبير و الغيب المجهول، و يطلع بها على أمور و أشياء في ذلك الغيب.

و تفسير الأحلام من المنظور المادي فقط، و إنكارها من ناحية أخرى - كما يقوله الماديون[٢] - مكابرة محسوسة للحقائق الملموسة.

حقيقة الرؤيا:

مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، و هو سبحانه يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم و لا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال.

و مهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان، و نظيره أن الله خلق الغيم علامة للمطر و قد يتخلف، و تلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر، أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر، و العلم عند الله.[٣]

و يسمى الأول رؤيا و تضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف، و الثاني حلما و تضاف إلى الشيطان كما هو الشائع من إضافة الشيء المكروه إليه و إن كان الكل منه تعالى، و على ذلك جاء قوله ﷺ : «الرؤيا الصادقة من الله و الحلم من الشيطان»[٤].

---

(١) يوسف : ٤٣.

(٢) أنظر كتاب : " علم النفس المعاصر " ص: ٢٦٧ - ٢٧٨، دار النهضة - بيروت، ١٩٧٢م. فقد قدم عدة نظريات لتفسير الأحلام و ناقشتها مناقشة جادة، و كذلك مقدمة الأستاذ علي عبد الحميد بلطه جي لكتاب تعطير الأنام في تعبير المنام للشيخ عبد الغني النابلسي، تحقيق و إعداد: معروف زريق، دار الخير، ١٤٠٩هـ.

(٣) قاله الإمام المازري (٤٥٣ - ٥٣٦ هـ) أنظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٥، المطبعة المصرية و مكتبتها، و فتح الباري للعسقلاني ٣٥٣/١٢.

(٤) رواه البخاري عن أبي قتادة، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله ٢٥٦٣/٦، ٦٥٨٣، و باب الحلم من الشيطان ٦٦٠٣. و مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا ٧١٧١/٤، ٢٢٦١.

و قد ورد في الحديث الصحيح بيان مرتبة جزئية الرؤيا الصادقة، و هي ستة وأربعون جزءا من النبوة.

قال النبي ﷺ : «و رؤيا المؤمن جزءاً من ستة و أربعين جزء من النبوة». و في بعض الرواية: الرؤيا الصالحة....[١]

أقسام الرؤيا :

و هي ثلاثة أنواع رئيسية:

يقول الرسول ﷺ : «الرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، و رؤيا تحزين من الشيطان، و رؤيا مما يحدث به المرء نفسه»[٢].

فالنوع الأول: هو رؤيا من الله، و هي الرؤيا الصادقة التي تقع كما يراها. يقول الحافظ ابن حجر[٣] : «و قيل: إن الرؤيا الصادقة هي الرؤيا التي يحضرها الملك و تكون عاقبتها تسر، و هي التي تكون خالصة من الأضغاث و الأحلام، و لذلك أضيف إليه.[٤]

هذه الرؤيا تكون جزءا من النبوة كما قال عليه السلام: «إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي»، قال - الراوي-: فشق ذلك على الناس، فقال عليه السلام: «لكن المبشرات». قالوا: يارسول الله! و ما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم، و هي جزء من أجزاء النبوة»[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن غير واحد من الطرق، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءاً من النبوة، ٦٥٨٦/٦ ، ٢٥٦٣. و مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، ١٧٧٣/٤ ، ٢٢٦٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، ٢٥٧٤/٦ ، ٦٦١٤، و مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا ٤/ ١٧٧٣ ، ٢٢٦٣.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) فتح الباري ٣٨٨/١٢.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب الرؤيا، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٥٥١/٦ - ٥٥٣ ، ٢٣٧٤، و قال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، و قال: في الباب عن أبي هريرة و حذيفة بن أسيد و ابن عباس و أم كرز و أبي أسيد رضي الله عنهم أجمعين.

يقول الإمام ابن الجوزي[١] في معنى جزئيته من النبوة: «لما كانت النبوة تتضمن اطلاعا على أمور يظهر تحقيقه فيما بعد وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها.

و قيل: إن جماعة من الأنبياء كانت نبوتهم وحيا في المنام فقط، و أكثرهم ابتدي بالوحي في المنام ثم رقوا إلى الوحي في اليقظة، و من هنا شبهت رؤيا المؤمن بالنبوة»[٢].

و كون رؤيا المؤمن من المبشرات فهي على الأغلب؛ فان بعضها تكون منذرة، ولكن الجميع تكون في صالح المؤمن.[٣]

يقول الإمام ابن القيم[٤] رحمه الله: «و يضرب له فيها من الأمثال و الأشكال على قدر عادته، فتارة يبشره بخير قدمه أو ينذره عن معصية ارتكبها أو هم بها و يحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها، و لغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه و رحمة و إحسانا وتذكيرا وتصديقا».[٥]

النوع الثاني: أحاديث النفس و هو كما فسره النبي ﷺ بقوله: «ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه»[٦]

هذا هو النوع الذي يعترفه علماء الغرب و يدورون حوله، و لا يخرجون منه، وجميع تفسيراتهم عن ظاهرة الحلم تتعلق بهذا النوع.

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ و الحديث، كثير التصانيف، مولده و وفاته في بغداد، له نحو ثلاث مائة مصنف، منها: تلقيح فهوم الأهل الآثار في مختصر السير و الأخبار، الأذكياء و أخبارهم، مناقب عمر بن عبد العزيز، تلبيس ابليس، صيد الخاطر، المنهل العذب، الوفاء في فضائل المصطفى، الموضوعات في الأحاديث المرفوعات، أسماء الضعفاء و الواضعين، و غير ذلك. ولد سنة ٥٠٨ هـ، و توفي سنة ٥٩٧ هـ. الأعلام: ٣١٦/٣ - ٣١٧.

(٢) فتح الباري ٣٦٧/١٢.

(٣) المرجع السابق، ص: ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أنظر: الروح، ص: ٣١، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ، دار الحديث - القاهرة.

(٦) رواه ابن ماجه عن عوف بن مالك الأشجعي، كتاب التعبير، باب الرؤيا ثلاث: ٣٥٧/٢، ٣٩٥٣، و قال البوصيري في الزوائد: هذا اسناد صحيح، رجاله ثقات ١٥٥/٤.

النوع الثالث: و هو الحلم من الشيطان.

إن الشيطان قد يتسلط على الإنسان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد إفساد أموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه إما بتغليطه فيها، و إما بغفلته عن ذكر الله.[١]

فان الغافل عن ذكر الله يكون تسلط الشيطان عليه أشد و أقوى، كما قال تعالى: ﴿ وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[٢].

و هذا النوع مثل النوع الثاني في أنه ليس له تفسير و لا تعليل من الواقع في أول الأمر إلا أن يتغلب الوهم عليه فيضره الشيطان بسبب الوهم، و من ثم أرشد النبي ﷺ إلى عدة وسائل للوقاية من شر الوهم و الشيطان. ذكر الله قبل النوم، و قراءة آية الكرسي كذلك، و بعد وقوع الحلم المكروه التعوذ من الشيطان، و عدم ذكرها لأحد، و التفل عن اليسار، و التحول عن الجنب الذي كان عليه، و الصلاة لدفع الشر ونحوها.[٣]

---

(١) أنظر: الفتح ١٢/٣٥٤.

(٢) الزخرف : ٣٦.

(٣) أنظر: الفتح ١٢/ ٣٧٠ - ٣٧١، و الكتب المؤلفة في الأذكار المشروعة، مثل: الأذكار للنووي، و الوابل الصيب لابن القيم، و الكلم الطيب لابن تيمية.

رؤيا الأنبياء وحي

لما عرفنا فيما سبق أن رؤيا المؤمن - و هو غير النبي - تكون جزءا من أجزاء النبوة، و بهذا السبب تكون صادقة صالحة، عرفنا أن رؤيا الأنبياء أصدق الرؤى ثبوتا و أوضحها تفسيرا، لا يتطرق إليها أدنى شك و تردد.

و هذا ما يذكرنا الحديث الصحيح الذي أفاد أن بداية الوحي إلى رسول الله ﷺ كانت عن ثريق الرؤيا التي تحقق ما رآه مثل فلق الصبح.

و كذلك أكثر الرسل عليهم السلام كانت بداية الوحي عن طريق الرؤي ثم تتابع نزول الوحي في حالة اليقظة كما نقلناه عن بعض السلف قبل قليل.

و مع ذلك نذكر في هذه المناسبة مفاد رؤيا إبراهيم ذبح ولده، و نسوق نصوصا أخرى تفيد أن رؤياهم وحي يثبت ما يثبت الوحي في اليقظة من الأحكام الشرعية، و الأخبار الغيبية اليقينية.

أولا : الأدلة النقلية:

من القرآن الكريم: قوله تعالى حكاية عن قصة ذبح ابراهيم عليه السلام لولده الحليم في رؤياه:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ - فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

لما رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ولده جزم بأن الله يأمره بذبح ولده وجزم ولده معه كذلك، و من ثم أجاب والده حينما عرض عليه هذا الأمر العظيم ليختبره: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ .

فهذه الرؤيا من الأدلة القاطعة أنها وحي من الله عزوجل.

و أيضا: أثنى الله عليه حينما حقق ما رآه بقوله: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

فلو لم تكن رؤياه وحيا ما أثنى الله عليه وما فداه بذبح عظيم. و هذه الرؤيا أثبتت حكما شرعيا لإبراهيم عليه السلام.

و منها: قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ ﴾ [١] .

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة و طاف بالبيت فاخبر أصحابه بذلك و هو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتحقق هذا العام مع أن النبي ﷺ لم يخبرهم بالوقت المحدد، فلما حدث ما حدث من صلح الحديبية و رجع النبي ﷺ و أصحابه إلى المدينة على أن يعودوا من العام القابل، وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك، فقال له فيما قال: أ لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت و نطوف به؟ قال: بلى. أ فأخبرتك أنك تأتيه هذا العام؟ قال: لا. قال النبي ﷺ : «فانك آتيه و مطوف به». و بهذا أجاب الصديق رضي الله عنه.[٢]

فكانت هذه الرؤيا للنبي ﷺ وحيا أراها الله نبيه في المنام و حققها في العام القابل سنة سبع من الهجرة.

و من السنة ما روي أن النبي ﷺ قال: «رؤيا الأنبياء في المنام وحي»[٣] .

و من الآيار أن عبيد بن عمير[٤] يقول: «رؤيا الأنبياء وحي» ثم يقرأ: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [٥] .

(١) الفتح : ٢٧.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير ٣٠٧/٤ - ٣٠٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، و ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، وقال: هذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ٢٤/٤.

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ، المفسر، ولد في حياة الرسول ﷺ ، و كان من ثقات التابعين و أئمتهم بمكة، و كان يذكر الناس فيحضر ابن عمر رضي الله عنهما مجلسه. قيل: أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب، توفي قبل ابن عمر، و قيل توفي سنة ٧٤ هـ . أنظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ١٥٦/٤، ١٥٧. خرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، و حققه: مامون الصاغرجي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء ٦٤/١، ١٣٨.

و منها ما روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «رؤيا الأنبياء وحي»[١].

فهذه السنة و الآثار من السلف تؤيد أيضا أن رؤيا الأنبياء وحي.

ثانيا: الأدلة العقلية:

من الأمور المتفق عليها عند الأمة أن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ شيء من الدين، فلو رأي نبي في المنام أن الله يأمره بكذا ثم بلغ الناس ذلك الأمر و هي في الحقيقة ليس من الله فالمعنى أنه أخطأ في التبليغ، و هو خلاف إجماع الأمة.

و أيضا لو وقع لهم أضغاث في نومهم و هم أنبياء الله لكان أن الأنبياء قد يتسلط عليهم الشيطان، و يقدر على ضررهم بكيده، و هو باطل و محال؛ فان الله قد عصمهم من الشيطان في النوم و اليقظة لكونهم أسوة.

قال النبي ﷺ : « ما منكم من أحد إلا و قد وكل به قرينه من الجن و قرينه من الملائكة». قالوا: و إياك يا رسول الله؟ قال: «و إياى، وإلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلايأمرني إلا بخير»[٢].

فمن المستحيل نقلا و عقلا أن يقدر الشيطان و جنوده على ضرر أنبياء الله، بكيدهم و إلا يفوت الغرض من إرسالهم، وهو هداية الناس إلى الحق، و التمييز بين الحق و الباطل.

أما رؤيا غير الأنبياء فليست مما يثبت حما شرعيا :

إن رؤيا المؤمن ليست مثل رؤيا النبي فتثبت حكما شرعيا و إن كانت صادقة؛ لأنها لا تعدو أن تكون مبشرة أو منذرة كما تنص عليه الروايات الصحيحة، و من هذا أجمع السلف على إنكار من يثبت حكما شرعيا اعتمادا على رؤياه المنامية.

---

(١) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، و هو ضعيف، و بقية رجاله رجال الصحيح. أنظر: مجمع الزوائد ١٧٦/٧.

(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه مسلم في صحيحه، كتاب حيفات المنافقين و أحكامهم، باب تحريش الشيطان و بعثه سراياه لفتنة الناس، و أن مع كل انسان تحريفا ٢١٦٧/٤ - ٢١٦٨، ٢٨١٤.

قال الإمام ابن الحاج[١] رحمه الله: «فليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان، و هو أن يرى النبي ﷺ فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء فينضبه من نومه و فيقوم على فعله أو تركه بمجرد إلهام دون أن يعرض على كتاب الله و سنة رسوله و على قواعد السلف.

قال تعالى: ﴿ فَانْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ ﴾ [٢]

فمعنى ﴿ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ أى إلى كتاب اللّ - و معنى قوله: ﴿ و إِلَى الرَّسُولِ ﴾ أى إلى الرسول في حياته و إلى سنته بعد مماته.

فمعنى «ردو إلي الله» أى إلى كتاب الله. و معنى قوله: «و إلى الرسول». أى إلى الرسول في حياته و إلى سنته بعد مماته.

هذا و إن كانت رؤيا النبي ﷺ حقا لا شك فيه لقوله ﷺ : «من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتخيل بي» [٣] .

لكن لم يكلف الله عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم، قال عليه السلام: «رفع القلم عن ثلاث: - و فيه - النائم حتى يستيقظ »[٤].

فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في منامه، هذا وجه.

و وجه ثان: و هو العلم و الرواية لا يؤاخذان إلا من متيقظ حاضر العقل و النائم ليس كذلك.

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي الفاسي، نزيل مصر، فاضل ، تفقه في بلاده، كف بصره في آخر عمره، و توفي بالقاهرة عن نحو ٨٠ عاما، له مدخل الشرع الشريف، قال فيه ابن حجر: «كثير الفوائد كشف فيه عن معايب و بدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها و أكثرها مما ينكر و بعضها مما يحتمل. و له: شموس الأنوار و كنوز الأسرار، وبلوغ القصد والمهي في خواص أسماء الله الحسنى، توفي سنة: ٧٣٧ هـ . أنظر: الأعلام: ٧/ ٣٥.

(٢) النساء : ٥٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك و أبي هريرة رضي الله عنهما، كتاب التعبير، باب من رأى في المنام ٦/٢٥٦٨، ٦٥٩٣. و مسلم في صحيحه، بنحوه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ : «من رآني في المنام فقد رآني» ٤/ ١٧٧٥ / ٢٢٦٦ - ٢٢٦٨.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، و عن الصغير حتى يكبر، و عن المبتلى حتى يعقل» ٢/ ٣٣٥ ، ١٣٢٧. تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، و قال: اسناده صحيح.

و وجه ثالث: و هو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة ﷺ حيث قال: «إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنتي»[١].

فجعل ﷺ النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الأصلين اللذين لا ثالث لهما، و من اعتمد على ما يراه في منامه فقد زاد بها ثالثا»[٢].

و يقول الإمام ابن تيمية: «إن هناك طائفة ممن يدعي السنة و الحديث، يحتجون بأحاديث موضوعة و حكايات مصنوعة يعلم أنها كذب، و قد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي، و كثير من المتصوفة و الفقراء يبنون على منامات و أذواق و خيالات يعتقدها كشفا، و هي خيالات غير مطابقة، و أوهام غير صادقة ﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَ إنَّ الظَّنَّ لايُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[٣]. [٤]

و يقول الحافظ ابن حجر: «و مع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك، أي المنامات»[٥].

فتبين من هذا كله أن رؤيا المؤمن تكون مقصررة في كونها مبشرة أو منذرة، ولايتعدى إلى غير ذلك.

---

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة و ابن عباس رضي الله عنهم، كتاب العلم، ٩٣/١، و بذيله تلخيص الإمام الذهبي، و قال الإمام الذهبي: و له أصل في الصحيح، ط : ١٣٩٨ هـ، دار الفكر - بيروت. و قال الشيخ الألباني: اسناده حسن. أنظر تعليقه في مشكاة المصابيح ٦٦/١.

(٢) المدخل لابن الحاج ٣٠٢/٤ - ٣٠٣، الطبعة الثانية ١٩٧٢م، دار الكتب العربي - بيروت.

(٣) النجم : ٢٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٣٩/١١.

(٥) الفتح : ٣٨٨/١٢.

الأمر الثاني في تعيين الذبيح

قد اختلف أهل العلم في تعيين الذبيح من هو؟ هل هو اسحاق عليه السلام أم اسماعيل عليه السلام؟ على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الذبيح هو اسحاق عليه السلام.

يقول القرطبي: هو قول الأكثرين، -وهذا ليس صحيحا كما سيأتي- ثم ذكر عددا كبيرا من أهل العلم الذين قالوا بذلك، و هو الراجح عنده و عند الطبري.[١] »[٢]

استدلالهم على قولهم بما يلي:

أولا: أن الله أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة و ابن أخيه لوط فقال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٩٩) ثم إنه دعا فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠٠) فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ ﴾ [٣] فالذي وهبه الله ولدا هو اسحاق عليه السلام لا غير. و عبر الطبري عن هذا المعنى بأن أول الآية و آخرها يدل على ذلك.[٤]

و ثانيا: لأن الله قال: ﴿ وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات)، فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به ابراهيم، إنما بشر باسحاق، لأنه قال: ﴿ وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ وقال هنا: ﴿ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ و ذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له اسماعيل، وليس

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر، الإمام، ولد في آمل طبرستان سنة: ٢٢٤ هـ ، و استوطن بغداد، و توفي بها. له كتب يعتمد هليها في بابها، في التفسير "جامع البيان في تفسير القرآن " في ٣٠ جزءا المعروف بتفسير الطبري، و في التاريخ: " أخبار الرسل و الملوك " في ١١ جزءا و غيرهما من الكتب. قال ابن الأثير: « أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ و في تفسيره ما يدل على علم غزير و تحقيق . و كان مجتهدا في أحكام الدين، لا يقلد أحدا بل قلده بعض الناس». توفي سنة: ٣١٠ هـ. أنظر: الأعلام ٦٩/٦.

(٢) أنظر: تفسيره ٩٩/١٥ - ١٠٠، و تفسير القرطبي ٨١/٢٣ - ٨٣، و الرازي ١٥٣/٢٦، وابن كثير ١٧/٤، و الكشاف ٣/ ٣٥٠، و روح المعاني ١٣٥/٢٣.

(٣) مريم : ٤٩.

(٤) أنظر: القرطبي ١٠١/١٥، و الطبري: ٨٥/٢٣ - ٨٦، و الرازي ١٥٤/٢٦.

في القرآن أنه بشر بولد إلا باسحاق.[١]

ثالثا: استدلوا أيضا بما روي أن النبي ﷺ قال: «إن جبرئيل ذهب بابراهيم إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ - أى انخسف في الأرض - ثم أتى الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ، ثم أتى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ، فلما أراد أن يذبح ولده اسحاق قال لأبيه : يا أبت أوثقني لا اضطرب فينفح من دمي إذا ذبحتني فشده، فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه نودي من خلفه: ﴿ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيَا ﴾[٢]

في هذا الحديث صراحة بأن الذبيح هو اسحاق عليه السلام.

االرأي الثاني: أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام، و هو ما ذهب إليه الأكثرون من السلف و الخلف، و هو المشهور بين المسلمين.[٣]

و استدل أصحاب هذا الرأي بوجوه عديدة:

الأول: أن الله وصف اسماعيل عليه السلام بالصبر دون إسحاق عليه السلام في قوله: ﴿ وَ إِسْمَاعِيْلَ و إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِيْنَ ﴾[٤] و هو صبره على الذبح، و هو المراد بالحلم الذي وصفه به في سورة الصافات ﴿ بِغُلامٍ حَلِيْمٍ ﴾ و وصفه أيضا بصادق الوعد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾[٥] لأنه وعد أباه من نفسه

---

(١) أنظر: تفسير القرطبي ١٥/١٠١، و الطبري ٢٣/٨٥ - ٨٦.

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في مسنده، تحقيق: أحمد شاكر، ٤/٢٨٣ - ٢٨٤، الرقم: ٢٧٩٥.

قال الهيثمي: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٠، كتاب الحج، باب رمي الجمار. و قال أحمد شاكر: اسناده صحيح إلا أن قوله: فلما أراد أن يذبح ابنه اسحاق، نراه خطأ من عطاء، فالذبيح اسماعيل كما دل عليه الكتاب و السنة، مسند أحمد ٤/٢٨٣ - ٢٨٤.

(٣) أنظر: تفسير القرطبي ١٥/٩٩ - ١٠٠ و الطبري ٢٣/٨١ - ٨٣، و الرازي ٢٦/١٥٣، وابن كثير ٤/١٧، و الكشاف ٣/ ٣٥٠، و روح المعاني ٢٣/١٣٦.

(٤) الأنبياء : ٨٥.

(٥) مريم : ٥٤.

الصبر على الذبح فوفى به.

و لما ذكر البشارة بإسحاق عليه ذكرت البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع، والتخصيص لا بد له من حكمة.[١]

الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[٢] لو كان الذبيح اسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك.

فالأول باطل؛ لأن الله تعالى لما بشرها بإسحاق بشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب، فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه و إلا حصل الخلف في قوله تعالى: ﴿ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾

و الثاني باطل، لأن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (الصافات) يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي و وصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله إبراهيم بذبحه و ذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح إسحاق عليه السلام.[٣]

الوجه الثالث: أنه حكى الله عنه أنه قال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الصافات) ثم طلب من الله ولداً ليستأنس به في غربته فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ و هذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد، فالذي بشر الله به من الغلام الحليم هو أول الولد، و هو إسماعيل عليه السلام؛ لأنه أجمع الملل الثلاث - المسلمون و اليهود و النصاري - أن إسماعيل عليه السلام متقدم في الوجود على إسحاق عليه السلام، ثم إن الله ذكر عقيب بشارته بأول المولود قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو اسماعيل.[٤]

---

(١) أنظر: التفسير للرازي ١٥٣/٢٦ - ١٥٤، و مجنوع الفتاوى لابن تيمية ٣٣٤/٤، و زاد المعاد لابن القيم ٧٤/١.

(٢) هود: ٧١.

(٣) تفسير الرازي ١٥٤/٢٦، و هذا الدليل أقوى الأدلة، ذكره كثير من أهل العلم، منهم الإمام ابن تيمية، أنظر: مجموع الفتاوى ٣٣٣/٤، و زاد المعاد لابن القيم ٧٢/١، و إغاثة اللهفان، له ٦٧٤/٢، تفسير ابن كثير ٢٨/٤.

(٤) المراجع السابقة.

الوجه الرابع: أن البشارة بإسحاق كانت معجزة؛ لأن العجوز - سارة - عقيم، و إبراهيم شيخ كبير السن، و لهذا قال عليه السلام: ﴿ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [١].

و قالت امرأته: ﴿ أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [٢]

و قد سبق أن البشارة بإسحاق في حال الكبر، و كانت البشارة مشتركة بين إبراهيم و امرأته.

و أما البشارة باذبيح فكانت لإبراهيم، و امتحن بذبحه دون الأم المبشرة به.

و هذا ما يوافق ما نقل عن النبي ﷺ و أصحابه في الصحيح و غيره، هي أن إسماعيل عليه السلام لما ولدته هاجر غارت سارة فذهب إبراهيم بإسماعيل و أمه إلى مكة، و هناك أمر بالذبح، و هذا مما يؤيد أن الذبيح هذا دون ذلك.[٣]

الوجه الخامس: ما رواه الإمام أحمد[٤] في مسنده عن أبي الطفيل[٥] قال: قلت

---

(١) الحجر : ٥٤.

(٢) هود : ٧٢.

(٣) أنظر: المراجع السابقة.

(٤) هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، و أحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، و كان أبوه والي سرخس، و ولد ببغداد فنشأ مكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كثيرة إلى الكوفة و البصرة و مكة و المدينة و اليمن و الشام و غيرها، و صنف المسند ستة مجلدات يحتوي على ثلاثين ألف حديث، و له كتب أخرى في علوم الشريعة و في الرد على البدعة. و في أيامه دعا المامون إلى القول بخلق القرآن فأنكر عليه إنكارا شديدا حتى أصيب بمحنة كبرى في هذا السبيل. و له مناقب أكثر من أن تحصى. أنظر: الأعلام: ١/٢٠٣.

(٥) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الكناني ثم الليثي، رأي النبي ﷺ و هو شاب، و حفظ عنه أحاديث، روى عن الصحابة، و روى عنه كثيرون من التابعين، و هو آخر من مات من الصحابة. قيل مات سنة: ١٠٠ هـ ، و قيل: ١٠٢ هـ.
قال أبو عمر: «كان يعترف بفضل أبي بكر و عمر و لكن يقدم عليا. أنظر: الإصابة : ٤/ ١١٠، حرف الطاء، باب الكنى.

لابن عباس[١] رضي الله عنه يزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا و المروة و أن ذلك سبعة، قال: «صدقوا؛ إن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام، ثم ذهب به جبرئيل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين و على إسماعيل عليه السلام قميص أبيض، فقال: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فأبقه حتى تكفني فيه...» .[٢]

ففيه صراحة بأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام.

الوجه السادس: الكتاب المقدس بأيدي اليهود ينص على أن الذبيح هو الابن الوحيد البكر، و المتفق لدى أهل الكتاب و المسلمين أن إسماعيل عليه السلام كان وحيدا حينما ولد، و ما كان إسحاق عليه السلام ولد بعد. لكن اليهود حرفوا لفظ إسماعيل بكلمة إسحاق حسدا من أنفسهم.

نص التوراة اليهودية:

(وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له: يا إبراهيم! فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه " إسحاق ").[٣]

و الابن الوحيد هو اسماعيل عليه السلام بنص التوراة، (كان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام.[٤] وفيه: فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه: هل يولد لابن مائة سنة، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟.[٥]

و من ثم يقول الإمام ابن تيمية: و في الجملة فالنزاع مشهور لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل».

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المسند ٤/٢٤٧ - ٢٤٩، قال الهيثمي عند هذا الحديث، رواه أحمد، و الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، و منبع الزوائد: ٣/٢٥٥، كتاب الحج، باب رمي الجمار. و قال الشيخ أحمد شاكر: سنده صحيح، المسند ٤/٢٤٧.

(٣) الكتاب المقدس: التكوين، الأصحاح الثاني و العشرون، رقم الآية: ١، دار الكتاب المقدس - القاهرة.

(٤) سفر التكوين، الأصحاح السادس عشر، رقم الآية: ١٦.

(٥) التكوين، الأصحاح السابع عشر، رقم الآية: ١٧.

ثم قال: «و هذا الذي عليه الكتاب و السنة و الدلائل المشهورة، و هو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب؛ فإن إسماعيل عليه السلام هو الوحيد و البكر، فتلقى ذلك عنهم من تلقاه، و شاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، و أصله من تحريف الكتاب.»[١]

الرأى الثالث: هو التوقف في المسألة، إن بعض العلماء قد توقفوا في قضية تعيين الذبيح لتكافؤ أدلة الرأيين السابقين في نظرهم ولاحتمال المناقشة في كل منها.[٢]

و الرأي الراجح :

و الذي أميل إليه هو الرأي الثاني لوجوه عديدة:

أولا : أن الرأى الثاني يؤيده ظاهر النصوص كما قد بسطناه.

ثانيا: أنه يؤيده الحديث الصحيح الذي ليس فيه كلام عند أهل العلم، أما الحديث الذي ذكره أصحاب الرأي الأول فقد ضعفوه.[٣]

ثالثا: نص التوراة يؤيده.

أما الجواب عن استدلال أصحاب الرأي الأول بالآيات فهو استدلال ضعيف؛ لأنها لا تدل عليه بظاهرها كما زعموا، بل الظاهر منها دلالتها على الرأي الثاني، كما نقلنا تفسير الآيات التي وردت في شأن إسماعيل و إسحاق عليهما السلام عن المفسرين.

و كذلك الأظهر عن ابن عباس رضي الله عنهما القول بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.[٤]

و بهذا ظهر أيضا الجواب عن الرأي الثالث؛ فان قوة أدلة أصحاب الرأي الثاني تفوق أدلة أصحاب الرأي الأول، كما رأيناه في موضعه. و الله أعلم.

---

(١) أنظر: مجموع الفتاوى : ٤/٣٣١، و زاد المعاد ١/٧١ - ٧٢. وهناك أدلة أخرى ذكرها المفسرون، مثل: النيسابوري في غرائب القرآن، وابن عطية في المجرر الوجيز والشوكاني في فتح القدير، فليرجع إليها.

(٢) و إليه مال الزجاج، أنظر: القرطبي ١٥/١٠١، و الإمام الشوكاني، أنظر: فتح القدير ٤/٤٠٤، و القنوجي، أنظر: فتح البيان ٨/١١٧.

(٣) أنظر: كلام الهيثمي، و أحمد شاكر عليه في الهامش، ص: ١٨٠ من هذه الرسالة.

(٤) أنظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٦.

الفصل الرابع

في إبطال الكهانة والتنجيم

الفصل الرابع

في إبطال الكهانة و التنجيم

أولا : الكهانة و إبطالها.

الآيات المتعلقة بذلك :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦) وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأعْلَى وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (١٠)[1]

قد مر في بداية مبحث الربوبية أن تلك الآيات تتعلق بالربوبية، و أنها تذكر بعض آثار الربوبية في عالم السماء بأنه رب السماوات و الأرض جعل في عالم السماء كواكب بقدرته و حكمته، فيها منافع جليلة: منها كونها زينة للسماء، و منها كونها رجما للشيطان الذي يحاول إستراق ما يدور بين الملأ الأعلى.

و هذا الجانب له أهمية خاصة في باب العقيدة؛ فإنه يبطل الكهانة التي يستطيع بها الشيطان و جنوده التلاعب بعقول الناس و أفكارهم و مشاعرهم، و تضليلهم عن الصراط المستقيم بلبس الحق بالباطل. - على ما سيجي الكلام مفصلا، و سنتكلم في هذا الفصل عن عدة أمور حسب ما يقتضي المقام، و هي فيما يلي:

الأمر الأول: في مفهوم الكهانة:

الكهانة لغة: من كهن يكهن له من باب نصر: قضى له بالغيب، أي أخبر بالغيب فهو كاهن.

و كهُن بالضم: إذا صارت الكهانة طبيعة و غريزة للرجل أو المرأة.

و الكهانة بالكسر: الصناعة و الحرفة.

و العرب يسمى كل من يتعاطى علما دقيقا كاهنا، و البعض يسمى المنجم والطبيب كاهنا، و كذلك يطلق الكاهن على الذي يقوم بأمر الرجل و يسعى في حاجته.

---

(١) سبق معاني الكلمات في بداية مبحث الربوبية حينما ذكرنا هذه الآيات فلا حاجة إلى ذكرها هنا.

والجمع: كهّان و كهنة.[١]

و ورد لفظ كاهن في القرآن الكريم في موضعين فقط:

الأول هو قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ ﴾ [٢]

و الثاني هو قوله تعالى: ﴿ وَ لا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] .

الكهانة إصطلاحا:

تعاطي الأخبار عن الحوادث الخفية الغائبة بإدعاء معرفة أسرار و علم الغيب بأي طريق من الطرق المعروفة عند الكهنة - كما سيأتي.[٤]

و هو تنقسم إلى عدة أقسام عند السلف في ضوء النصوص:

النوع الأول: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السماء؛ فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنوا الأعلى بحيث يسمع كلام الملائكة فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد عليه.[٥]

والنوع الثاني: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يطرأ في أقطار الأرض وما خفي عنه.[٦]

---

(١) أنظر: المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣، و لسان العرب ١٣/٣٦٢ - ٣٦٣، و بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤/٣٩٨.

(٢) الطور : ٢٩.

(٣) الحاقة : ٤٢.

(٤) أنظر: مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبري زادة، ١/٣٦٤، تحقيق و مراجعة: كامل كامل بكري، عبد الوهاب، أبو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م. و معالم السنن للخطابي بذيل سنن أبي داود، ٤/٢٢٥ ، إعداد عزت عبيد، عادل السيد، الطبعة الأولى : ١٣٩٨ هـ ، دار الحديث - حمص، و مخطوط المدخل الكبير في الطلسمات، ترجمة: حنين بن إسحاق، ورقة: ٢٩، رقم المخطوط [١٣٦٨] جامعة أم القرى. و المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣، و لسان العرب ١٣/٣٦٢ - ٣٦٣.

(٥) معالم السنن للخطابي ٤/٢٢٥، و فتح الباري ١٠/٢١٧.

(٦) معالم السنن للخطابي ٤/٢٢٥، و شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/٢٢٣.

و واضح أن في هذين النوعين علاقة الكاهن بالجن فهو يستعين في الأخبار الغيبية به، سواء كانت من أخبار السماء، أو من أخبار الأرض.

النوع الثالث: ما يستند إلى ظن و تخمين و حدس بأن يزعم الشخص الكاهن أنه يعرف الأمور بمقدمات و أسباب، يستدل بها على مواقعها كالشيء المسروق، فيعرف من سرقه، و تتهم المرأة بالزنا فيعرف صاحبها، و هذا يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب، و هذا النوع يسمى بالعرافة.[١]

النوع الرابع: الخط على الأرض و الضرب بالحصى، و هو الطرق المذكور في قوله ﷺ : «العيافة و الطيرة و الطرق من الجبت».[٢]

و صورة الخط كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الخط يخطه الحازي[٣] فيأتيه صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلوانا فيقول له: أقعد حتى أخط لك، و بين يدي الحازي غلام معه ميل فيأمره أن يخط خطوطا كثيرة على رمل أو تراب في خفة و عجلة لئلا يلحقها العدد و الإحصاء ثم يأمره فيمحوها خطين خطين على مهل و هو يقول: إبني عيان، أسرعا البيان، ثم ينظر آخر ما يبقى منها، فان بقي خطان فهو علامة النجاح، و إن بقي خط واحد، فهو دليل الخيبة و الحرمان».[٤]

---

(١) أنظر: فتح الباري ٢١٧/١٠، و تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص: ٣٦٠.

(٢) من حديث قبيصة رضي الله عنه، رواه الإمام عبد الرزاق في مصنفه، باب الطيرة، ٤٠٣/١٠، ١٩٥٠٢، تحقيق: المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ، المجلس العلمي، جنوب أفريقيا، و أبو داود مع شرح معالم السنن، كتاب الطب، باب في الخط و زجر الطير، ٢٢٩/٤ ، ٣٩٠٧، و ابن حبان في صحيحه، كتاب الطب، باب ما جاء في الطيرة: أنظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين الهيثمي، ص: ٣٤٥، الرقم: ١٤٢٦، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المكتبة السلفية.

(٣) الحازي هو الذي ينظر في الأعضاء و في خيلان الوجه يتكهن و يدعي علم الغيب، أنظر: لسان العرب ١٧٤/١٤.

(٤) أنظر: معالم السنن للخطابي ٢٢٩/٤ - ٢٣٠، و عون المعبود شرح سنن أبي داود للمحدث شمس الحق العظيم آبادي ٤٠٥/١٠، المكتبة السلفية.

و هناك صورة أخرى لهذا النوع، و هي: أن يخط ثلاثة خطوط، ثم يضرب عليها بشعير أو نوى. و يقول: يكون كذا و كذا.

و الخط المشار إليه علم معروف فيه تصانيف كثيرة، و هو معمول به، و يستخرج به الضمير و غيره، و فيه إصابة و خطأ.[١]

النوع الخامس: التنجيم.

هو النظر في معرفة أحكام النجوم لمعرفة الحوادث المستقبلية الأرضية، كأوقات هبوب الرياح و مجيء المطر و ظهور البرد و الحر، و لمعرفة السعد و النحس و الحياة والموت و نحوها باعتقاد أن لهذه النجوم تأثيرا في السفليات، و أنها تجري على قضايا موجباتها.[٢]

و هذا النوع سنتكلم عنه بالتفصيل في موضعه و نذكر الأحكام الشرعية على كل نوع من أنواعه الثلاثة التي قسم العلماء التنجيم إليها.

و بالجملة أن الكهانة بالمعنى العام لها أنواع كثيرة، و كلها يتصل بادعاء معرفة الغيب زورا و كذبا، و إنما ذكرنا أنواعها لما يندرج تحت لفظ الكهانة من الأنواع المذكورة كثيرا، و لكن نخص الكلام عن الكهانة بالمعنى الخاص الذي تبطله سورة الصافات، و هو استراق الجن السمع من الملأ الأعلى، و عن الكهانة بمعنى التنجيم الذي جاءت الإشارة في السورة في قصة ابراهيم عليه السلام.

الأمر الثاني: إثبات وجود الجن:

لما كان أصل الكهانة هو استراق الجن من الملائكة ثم إلقاؤه إلى الكهنة[٣] فمن المناسب أن نتكلم عن إثبات هذا المخلوق الكائن المستقل المعروف بالجن، الذي له حقيقة و صفات تميزه عن الإنس و الملائكة. فإن بعضا من شواذ الناس ينكرون وجود هذا الكائن بدون استناد إلى دليل من الأدلة المعتبرة.

---

(١) عون المعبود ١٠/٤٠٥.

(٢) أنظر: معالم السنن ٤/٢٢٦، و مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ١/٣٦٤، و مجموع الفتاوى ٣٥/١٧١، و تيسير العزيز الحميد، ص: ٣٨٧، و فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص: ٢٢٥.

(٣) أنظر: فتح الباري ١٠/٢١٦،

و الكلام يكون باختصار في الإثبات و الرد على المنكرين بحيث يكفي لتجلية المقام إن شاء الله.

فليعلم أن الإعتقاد بوجود الجن واجب لتظافر الأدلة القاطعة الكثيرة من الكتاب والسنة و الإجماع.

معنى الجن لغة: اسم جنس واحده جني، و هو مأخوذ من الاجتنان، و هو التستر والاستخفاء، و هو نوع خلاف الإنس و الملائكة في الحقيقة.

أما في اللغة فقد يشمل الملائكة و الجن؛ لأن كليهما مما لا يرى بالأبصار، فالنسبة بينما عموم و خصوص مطلق فكل ملك جن و ليس كل جن ملكا.[١]

أما في اصطلاح الشرع فهو عالم غيبي مخالف للبشر و الملائكة، خلقهم الله من مارج من نار و كلفهم بالشرائع، فمنهم العاصي، و منهم المطيع، يأكلون و يشربون ويتناكحون و يتناسلون و يتشكلون بصور مختلفة، و يؤثرون في الأجسام، يموتون ويحاسبون، و يرون البشر من حيث لا يرونهم.[٢]

و هذا التعريف يتضمن حقيقة الجن و بعض صفاتهم، مستوحاة من الكتاب والسنة،

الأدلة على وجودهم بالكيان المستقل من الكتاب كثيرة، فقد جاء ذكر الجن فيه نحو ثلاثين مرة في مناسبات عديدة.[٣]

منها قوله تعالى: ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونَ ﴾[٤]

ومنها قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴾[٥]

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَّسْنُونٍ وَ الْجَانَّ

---

(١) أنظر: المفردات في غريب القرآن، ص: ٩٨ - ٩٩، لسان العرب ٩٢/١٣ - ٩٥.

(٢) أنظر: فتح الباري ٣٤٤/٦، و التفسير الكبير للرازي ٧٦/١، و البيضاوي ٢٤٤/٢، و الفصل لابن حزم ١٣/٥.

(٣) أنظر: المعجم المفهرس للقرآن الكريم، ص ٢٢٨.

(٤) الذاريات : ٩٦.

(٥) الرحمن : ١٥.

خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [١]

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُوْنَ ﴾ [٢]

و منها قوله تعالى حكاية عن ابليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ ﴾ [٣] و نحو ذلك كثير.

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن الجن لهم كيان مستقل، لهم حقيقة و صفات تجعلهم مباينين لنوع الإنس و الملائكة.

الأدلة على وجودهم من السنة أيضا كثيرة:

منها: قوله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور و خلق الجان من مارج من نار و خلق آدم مما وصف لكم» [٤] .

هذا الحديث كما يدل على مادة خلق الجن كذلك يوضح أنهم مغايرون لعالم البشر و الملائكة، فهذا الحديث نص قاطع و حاسم في التفريق بين هذه العوالم الثلاثة.

و منها: ما ثبت أنه سأل علقمة [٥] هل كان ابن مسعود رضي الله

---

(١) الحجر : ٢٦ - ٢٧.

(٢) النمل : ١٧.

(٣) الأعراف : ١٢.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق، يشبه بن مسعود رضي الله عنه في هديه و سمته و فضله، ولد في حياة النبي ﷺ و روى الأحاديث عن الصحابة، و روى عنه كثيرون، و شهد صفين، و غزا خراسان، و أقام بخوارزم سنتين، و بمرو مدة ، و سكن الكوفة، و توفي فيها سنة: ٦٢ هـ، الأعلام: ٢٤٨/٤.

عنه[١] شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال : فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، و لكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية و الشعاب فقلنا استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يارسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم، و سألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، و كل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ : «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»[٢]

و منها: ما روي أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان و أعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان- قل أعوذ برب الفلق - قل أعوذ برب الناس - أخذ بهما و ترك ما سواهما.[٣]

دليل الإجماع و التواتر على وجود الجن:

يقول الإمام بن تيمية رحمه الله: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولافي أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن.

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن وفاء الهذلي، أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، أمه أم عبد الله بنت عبدود بن سواءة، أسلمت و صحبت أحد السابقين الأولين، أسلم عبد الله بن مسعود، قديما، و هاجر الهجرتين، و شهد بدرا، و المشاهد بعدها، و لازم النبي ﷺ ، و كان صاحب نعليه، و حدث عن النبي ﷺ بالكثير، و عن الأصحاب الآخرين، و روى عنه خلق كثير. قال النبي ﷺ : «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». وقال ﷺ: «تمسكوا بعهد بن أم عبد». وكان رضي الله عنه أقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله ﷺ ، وفضائله أكثر من أن تحصى. أنظر: الإصابة ٤/١٢٩-١٣٠.حرف العين - القسم الأول.

(٢) رواه مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ١/٣٣٢، ٤٥٠.

(٣) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من المعوذتين ٦/٢١٨ - ٢١٩، ٢١٣٥، و قال: هذا حديث حسن غريب.

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، مثل الجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة.

فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء عليهم السلام تواترا ظاهرا يعرفه العامة و الخاصة لم يكن طائفة كبيرة من طوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم».[١]

ويقول في موضع آخر: «فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم و الطلاسم، سواء أ كان ذلك سائغا عند أهل الإيمان أو كان شركا فان المشركين يقرأون من العزائم و الطلاسم و الرقى ما فيه عبادة للجن و تعظيم لهم»[٢].

فتبين أن الإقرار بوجود الجن موجود في كل طائفة من طوائف الناس أجمعين لتواتر أخبار الأنبياء بهم و لمشاهدة آثارهم بل لرؤية ذواتهم في بعض الأحيان»[٣].

شبهة المنكرين لوجود الجن و الرد عليهم:

و مع ذلك نجد بعض الناس في كل زمان أنهم ينكرون وجود الجن و كذلك وجود الملائكة بسبب شبهة واهية أو بسبب الغرور العقلي، و حينما يرون تواتر الأخبار بوجودهم يضطرون إلى تأويل الألفاظ الدالة عليهم بما يوافق زعمهم و نزعتهم بحيث يؤدي إلى إنكار وجودهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٣. أنظر أيضا: آكام المرجان في غرائب الأخبار و أحكام الجان للعلامة بدر الدين عبد الله الشبل، ص: ١٩ - ٢٠، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، المطبوع حاليا باسم: غرائب و عجائب الجن و الشياطين، كما يصورها القرآن و السنة، دار الرياض للنشر و التوزيع، الرياض.

(٣) فقد رآهم النبي ﷺ أكثر من مرة و سليمان عليه السلام كان يستخدمهم في الأعمال الشاقة، و قد رآهم كثير من الناس في أوقات و مناسبات، و كلها ثابت بدون شك.

شبهتهم:

قد حكى الإمام الرازي عن المنكرين شبهات و هي فيما يلي:

الشبهة الأولى:

أن الجن لو كانوا موجودين لوجب أن يكونوا أجساما كثيفة أو لطيفة، و لو كانوا أجساما كثيفة لرآهم كل إنسان سليم الحس.

و لو كانوا أجساما لطيفة لتمزقوا عند هبوب الرياح و العواصف و لزم أن لا يقدروا على الأعمال الشاقة التي ينسبها إليهم المثبتون.[١]

و الرد عليها أنه لم لا يجوز أن يكون جوهرا مجردا عن الجسمية؟ فلا ترد الشبهة التي مبناها فرض جسمية الجن.[٢]

و أما الإحتمال الثاني: أي كون الجن جسما كثيفا فلا يرد الاعتراض عليه أيضا؛ لأن من الممكن أن الله يصرف عنه أبصار الإنسان لحكمة في ذلك، كما قال عزوجل: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾.[٣]

و أما تقدير كونه جسما لطيفا فلا إشكال أيضا؛ فانه يمكن أن يكون تركيبه محكما متقنا كالأفلاك.[٤]

بل كون جسم الجن لطيفا هو أقرب إلى ظاهر النصوص و أقوال العلماء و اللطافة في شيء يزيده قوة و صلابة مثل الذرة المكتشفة في العصر الحديث فهو لطيف و دقيق لا يرى بالأبصار وحدها لكن قوتها أشد و أكثر من الأجسام المشاهدة.

و العلم الحديث كل يوم إلى اكتشاف جديد عن وجود أجرام موجودة في عالم الفضاء و مع ذلك لا نراها بأعيننا لدقتها و لطافتها.

---

(١) أنظر: تفسيره ٧٦/١ - ٧٧، و تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ١٩/١، تحقيق و مراجعة: ابراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى: ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢م، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.

(٢) أنظر: الرازي، ص: ٧٧.

(٣) الأعراف : ٢٧.

(٤) أنظر: غرائب القرآن، ص: ١٩.

الشبهة الثانية:

قالوا: الظاهر الغالب أنهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس و شوهدت منهم العداوة و الصداقة، و ليس كذلك.

و أهل التعزيم إذا تابوا من صنعتهم يكذبون أنفسهم فيما نسبوه إليهم.

و الرد على هذه الشبهة ظاهر فقد ثبت و شوهد ثبوت الاختلاط و العداوة والصداقة بكثير من الناس في كل زمان و في كل مكان.

أما النصوص الدالة على عداوة الجن - الذين هم شياطين - كثيرة جدا، و كذلك على صداقتهم للإنسان و معاونتهم في حاجاته المباحة و الجائزة إذا كانوا من المؤمنين الصالحين أو من المسخرين، أو معاونتهم في الأمور الغير المشروعة إن كانوا من الشياطين.

قصة تسخير الجن لسليمان عليه السلام معروفة كما ساقها القرآن الكريم في أكثر من موضع:

منها: ﴿ وَ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِيْنَ ﴾ (١)

منها: ﴿وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٢)

منها: ﴿ وَ مِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَآءُ مِنْ مَحَارِيْبَ وَ تَمَاثِيْلَ وَ جِفَانٍ كَا لْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٣)

و القصص في ظهور العجائب و الغرائب على بعض الإنسان عن وساطة الجن كثيرة جدا و يسمعها الناس في كل زمان فلا مجال لإنكارها إلا مكابرة. (٤)

و أيضا ليس من الضروري أن يرى كل شيء موجود بالأبصار فكثير من الأشياء

---

(١) الأنبياء: ٨٢.

(٢) النمل: ١٧.

(٣) سبأ: ١٢ - ١٣.

(٤) يقرأ كتاب آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي، و لقط المرجان في أحكام الجان للإمام جلال الدين السيوطي، دراسة و تحقيق: مصطفى عاشور.

لانراه و لا نشاهده لكن نعتقد بوجوده اعتقادا جازما مثل العقل و الروح و الهواء والكهرباء و نحوها فنحن نعتقد بوجودها بآثارها و علاماتها.

الشبهة الثالثة للمنكرين:

قالوا: إن أخبار الأنبياء عنهم لا تفيد إثباتهم، إذ على تقدير ثبوتهم يجوز أن يقال: كل ما أتى به الأنبياء فانما حصل باعانة الجن. فمن الجائز أن حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع و كل فرع أدى إلى إبطال الأصل فهو باطل.[١]

و الرد عليه أن الدليل الدال على صحة نبوة الأنبياء يدل على صدق أخبارهم، و من جملة ما أخبروا عنه وجود الجن و الشياطين فصح وجودهم.[٢]

الدليل الدال على صحة نبوة الأنبياء أكثر من واحد و أعظمها معجزة بمعنى الآية الخاصة كما قد بسط في موضعه، و هي لا تكون مما يستطيع الجن و الإنس الإتيان بمثلها فهي خارجة عن مقدورهم فلا إشكال.

و قد قررنا أيضا أن من سنة الله أنه لا يؤيد كذابا أو فاسقا بمثل آيات الأنبياء؛ فأنهم جاءوا للتفريق بين الحق و الباطل، فمن المستحيل عقلا و نقلا أن تشتبه آيات الأنبياء و خوارقهم بخوارق السحرة الذين يستعينون بالشياطين في أعمالهم.[٣]

الشبهة الرابعة:

كيف ينفذ جسم في جسم و لا يؤدي ذلك إلى فساد أحد الجسمين و فنائه بل يبقى مع ذلك له قدرة على الأعمال الشاقة.

و الرد على هذه الشبهة أنه لقد ثبت عند الفلاسفة أن النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في بواطن الأحجار و الحديد و تخرج من الجانب الآخرفلم لا يعقل مثله في هذه الصفة؟.

و على هذا التقدير فان الجن تكون قادرة على النفود في بواطن الناس و على التصرف فيها، و أنها تبقى حية فعالة مصونة عن الفساد إلى الأجل المعين و الوقت

---

(١) أنظر: تفسير الكبير ١/٧٧، و غرائب القرآن للنيسابوري، ١/٢٠.

(٢) وغرائب القرآن :١/٢٠.

(٣) أنظر ص: ١٢١ -١٢٢ من هذه الرسالة.

المعلوم فكل هذه الأحوال احتمالات ظاهرة، و الدليل لم يقم على إبطالها فلم يجز المصير إلى القول بابطالها.[١]

الحاصل أن المنكرين لوجود الجن ليس لديهم أية حجة معقولة يعتمد عليها، ولاتعدو شبهاتهم أن تكون واهية و ركيكة لا تصلح لبناء فكرة أو نظرية فضلا عن بناء عقيدة.

---

(١) أنظر: التفسير الكبير ١/ ٨٠.

تأويلات المنكرين و الرد عليها.

من الطبعي أن الذي ينكر وجود الشيء الثابت قطعيا بالأدلة القاطعة، يلجأ إلى تأويله بحيث يتفق مع فكرته، و إلى تأويل النصوص التي تشتمل على ذكره و ذكر أوصافه بنفس الهدف المذكور و إن يؤدي التأويل إلى تحريف الكلم عن مواضعه، و تحميله ما لا يحتمله من المعاني.

تأويلات الفلاسفة و أمثالهم:

يقول الإمام الرازي عن تأويل الفلاسفة: «النفوس الناطقة البشرية المفارقة للأبدان قد تكون خيرة و قد تكون شريرة، فاذا كانت خيرة فهي الملائكة الأرضية، و إن كانت شريرة فهي الشياطين الأرضية، ثم إذا حدث بدن شديد المشابهة ببدن تلك النفس المفارقة وتعلق بذلك البدن نفس شديدة المشابهة لتلك النفس المفارقة فحينئذ يحدث لتلك النفس المفارقة ضرب تعلق بهذا البدن الحادث و تصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن على الأعمال اللائقة بها، فان كانت النفسان من النفوس الطاهرة المشرفة الخيرة كانت تلك المعاونة و المعاضدة إلهاما. و إن كانتا من النفوس الخبيثة الشريرة كانت تلك المعاونة و المعاضدة وسوسة».[١]

يقول ابن حزم: «و ذهب القائلون بتناسخ الأرواح أمثال أحمد بن خابط[٢] و الرازي الطبيب[٣] المعروف و غيرهم أن الشياطين هي أرواح الشريرين من الناس، و الملائكة هي أرواح الخيرين منهم»[٤].

---

(١) التفسير للرازي ١/٧٨.

(٢) هو أحمد بن خابط المعتزلي، تلميذ النظام، له مقالات شنيعة . منها: إن للعالم خالقين: الله، و هو القديم، و الثاني محدث، و هو الكلمة. إن الأرواح تتناسخ متكررة في قوالب و صور مختلفة، و الطفرة، و نحو ذلك من الضلالات و الخرافات، و توفي سنة: ٢٣٢ هـ ، أنظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص: ٢٧٢ - ٢٧٤، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٦٠، و ما بعدها، والفصل لابن حزم ١/ ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) هو محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب، فقد كتب في علوم الطب كتبا كثيرة، و أجلها الحاوي. وقع في ضلالة القول بالتناسخ، كما حكى عنه ابن حزم، ولد سنة: ٢٥١ هـ ، و توفي سنة: ٣١٣ هـ ، أنظر: الأعلام: ٦/ ١٣٠ هـ.

(٤) الفصل في الملل و الأهواء و الفحل. ١/ ١٦٥، ١٦٦.

من الواضح البين أن هذا التأويل يعطل النصوص عن معانيها الصحيحة الثابتة في الشرع، فالجن والملائكة كل منها ذات موجودة مستقلة عن الأخرى، وليست من الأعراض والصفات التي لا توجد مستقلة إلا بالمحل كالسواد والبياض والعلم والجهل ونحوها.

يقول ابن تيمية ردا على مثل هذه التأويلات: «و قد زعم الملاحدة و المتفلسفة بأن الملائكة هم قوى النفس الصالحة، و الشياطين هم قوى النفس الخبيثة - أي هي صفات تتعلق بالنفوس البشرية و ليست خارجة عن ذاتها- و يجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل، و امتناع الشيطان عصيان القوى الخبيثة للعقل، و نحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب رسائل إخوان الصفا، و أمثالهم من القرامطة الباطنية[١] و من سلك مسلكهم من ضلال المتكلمة و المتعبدة، و قد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا اسناد لها يعتمد عليه»[٢].

تأويل الشيخ محمد عبده:

أن الشيخ محمد عبده[٣] يرينا أنه ليس من المنكرين لوجود الجن و الملائكة، فهو

---

(١) من الفرق الضالة الخارجة عن الإسلام، مقصودهم الإلحاد و تعطيل النصوص، و هدم الشرائع، ومخاطبة كل فريق بما يوافق رأيه، و يلتقون مع ملاحدة المتفلسفة في القول بإلهين قديمين: العقل و النفس و ينكرون النبوات، و يقولون بالإمام المعصوم، و يؤمنون بالتناسخ. أنظر: القرامطة: ٥١-٥٦، تأليف الإمام ابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي ١٣٩٧ هـ، والفرق بين الفرق للإمام البغدادي، ص: ٢٩٣ - ٢٩٤، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت.

(٢) مجموع الفتاوي ٣٤٦/٤، الرسالة الصفدية ١٦٨/١.

(٣) هو محمد عبده بن حسن بن خير الله من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، قال أحد من كتبوا عنه: و تتلخص رسالته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب و ما للشعب من حق العدالة على الحكومة. و أحب في صباه الفروسية و الرماية و السباحة، و تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، و تصوف وتفلسف. و كتب في الصحف و المجلات، و أجاد اللغة الفرنسية، و سافر إلى باريس فأصدر مع صديقه و أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة " العروة الوثقى"، و عاد إلى بيروت ثم إلى مصر، و تولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستيناف فمفتيا للديار المصرية، له: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، و هو ما يسمى بتفسير المنار، الذي رتبه أكبر تلميذه محمد رشيد رضا، و رسالة التوحيد، و حاشية على شرح الدواني على العقائد العضدية، و غيرها. ولد سنة: ١٢٦٦ هـ، و توفي: ١٣٢٣ هـ، الأعلام: ٢٥٢/٦.

يخبرنا بأنه يؤمن بوجودهم لكن يسمح لنفسه تأويلهم بطريق يقرب فهم هذه العوالم الغيبية إلى أذهان الناس في هذا العصر، فالعمدة عنده على إطمينان القلب و ركون النفس إلى ما أبصرت به من الحق.

فهو يفسر قوله تعالى: ﴿ وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [1]

فاذا صح الجرى على هذا التفسير- يعني تفسير الملائكة و إبليس بالقوى الطبيعية على ما يستطيع الغربيون فهمه- فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله لما خلق الأرض و دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها و نظامها، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه و لا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به ثم خلق بعد ذلك الإنسان و أعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه؛ لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض.

و استثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس، و هي القوة التي لزها الله بهذا العالم لزا، و هي التي تميل بالمستعد للكمال، أو بالكامل إلى النقص، و تعارض مَدَّ الوجود لترده إلى العدم، أو تقطع سبيل البقاء و تعود بالموجود إلى الفناء أو التي تعارض في اتباع الحق و تصد عن الخير، و تنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع و المصالح التي تتم بها خلافته، فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول إليها.

تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فزعموا أن في العالم إلها يسمى إله الشر، و ما هي بإله و لكنها محنة إله لا يعلم أسرار حكمته إلا هو.

ولو أن نفسا مالت إلى قبول هذا التأويل لم نجد في الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على إطمينان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت به من الحق.[2]

---

(١) البقرة : ٣٤.

(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٢٦٩/١، فقد كتبه على ما أملاه الشيخ محمد عبده في دروسه مع إضافات و تعليقات من الشيخ محمد رشيد رضا.

فالشيخ محمد عبده يؤول الملائكة و إبليس بالقوى الطبيعية التي أودعها في جميع أنواع من المخلوقات من الحيوان و النبات و المعدن، فالملائكة عبارة عن القوى الفطرية التي تتكون بها الأشياء و تبقى بها إلى المدة المحددة لها في إعطاء منافعها ثم تميل إلى الزوال و الفناء بالقوة المضادة، و هي إبليس.

الرد على هذا التأويل:

إن هذا التأويل مثل تأويل الفلاسفة؛ فإنه يفيد صراحة أن الملائكة و إبليس قوى وصفات، و هي طبيعية عنده، و نفسانية عندهم.

و هو من أوّلِ من أوّلَ متأثرا بالظروف و البيئة التي يعيش فيها، فهذا العصر عصر التقدم في الأمور المادية و الطبيعية.

و الفلاسفة عاشوا في عصر لم يتوصل العلم في الأمور المذكورة إلى مثل ما توصل إليه في هذا العصر الحديث، فهم وقفوا حيث أوقفتهم ظروفهم و بيئتهم.

و على كل حال فإن كلا التأويلين يلتقيان في نقطة واحدة، و هي إنكار هذه العوالم العينية بوصف كونها ذوات مستقلة، لها كيانها و صفاتها المميزة عن العوالم الأخرى.

فتأويل الشيخ محمد عبده مردود و مرفوض أيضا؛ فإنه يخالف للنصوص الشرعية و يعطلها عن معانيها الصحيحة، لا يؤيده أي دليل، لا من الكتاب و السنة، و لا أثر من السلف.

و قوله: «العمدة على اطمينان القلب... الخ» ليس صحيحا على إطلاقه فالقلوب مختلفة في أهوائها و نزعاتها و ميولها، فهل من المعقول أن يريد كل واحد من النصوص ما يوافق نزعته و هواه، و حينئذ يلزم أن يكون الحق تابعا لهواهم لا أهواؤهم تابعة للحق، فتكون النتيجة كما قال تعالى: ﴿ وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَ الأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ ﴾ [1] فالعمدة إذاً هو الحق الثابت من الكتاب و السنة ثم القلب الصالح الذي يستمد صلاحه بنور الوحي.

---

(١) المؤمنون : ٧١.

تأويل الدكتور محمد البهي[١] عن الجن:

هو ارتكب تأويلا غريبا عن الجن بما لا معهود بين أهل العلم، فهو يقول ما حاصله: «إن الجن معناه لغة هو معناه شرعا، لا فرق بينهما، فالجن يشمل كل ما هو خاف عن الناس سواء كان ملائكة أو ناسا غير معروفين».

يقول: «و قد يطلق على فريق خير من الناس غريب و غير معهود، و لأنه غريب و غير معهود كان بمثابة غير المحسوس و غير المرئي.

و هذا المعنى مراد في قوله تعالى: ﴿ وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِيْنَ ﴾[٢] فهذا النفر من الجن الذي أنصت للقرآن بمكة، يقال: إنه قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين و بعد إيمانه أخذ على عاتقه الدعوة إلى دين الله بين قومه بعد أن عاد من الحج إلى يثرب ثانية، و هو نفس الفريق الذي ذكر في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾[٣]

و أطلق على هذا النفر اسم الجن؛ لأنه كان غير معروف بين المكيين، و كان غريبا عن مجلس الرسول ﷺ و هو بمكة.

و من هذا التفسير يقال: إنه تكونت نواة الأنصار بالمدينة، و الرسول عليه السلام عند ما هاجر إلى يثرب بعد ذلك بسنتين لم يهاجر إذن إليها في فراغ، و إنما هاجر إلى أحباء آمنوا من قبل برسالته، و بشروا بها و دعوا إليها جادين قبل أن يهاجر هو وصاحبه.

و إذا لم يرد باسم الجن هنا هذا الفريق الخير الغريب غير المعهود من أهل يثرب

---

(١) هو عالم من علماء الأزهر كان استاذا للفلسفة بكلية اللغة العربية، و عين وزيرا للأوقاف، و مدير لجامعة الأزهر، و له مؤلفات كثيرة في الفلسفة و التفسير، و يعد من تلاميذ الشيخ محمد عبده، و توفي في الثمانينيات من الميلاد بعد ألف و تسعمائة.

(٢) الأحقاف : ٢٩.

(٣) الجن : ١ - ٢.

فانه يقال: كيف يكون إيمانهم بالقرآن؟ و كيف تكون معرفتهم بالتوراة قبله؟ ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

إنهم عرفوا ما لموسى من جوار اليهود بالمدينة من أهل خيبر أو من بني النضير، و إنهم لو كانوا ملائكة من القوى النارية أو النورية كيف يأخذون على عاتقهم التبشير بالإسلام بين قومهم؟ إن الملائكة قد اختبروا فعلا قبل أن يختبر آدم و حواء في طاعتهم لله، اختبروا عند ما أمرهم الله بعد أن خلق آدم بالسجود له فسجدوا إلا واحدا منهم هو إبليس و آنئذ عرف المطيع و المؤمن و الفاسق و العاصي منهم فكانوا جميعا مطيعين عدا إبليس فعصى ربه و غوى» (٢).

حاصل كلامه أن المراد بالجن في سورة الأحقاف و في سورة الجن هم النفر من البشر الغرباء في أعين أهل مكة و جاءوا من يثرب - المدينة المنورة - إلى مكة و اتفق الإجتماع بالنبي ﷺ و الاستماع لقراءة النبي عليه السلام القرآن فآمنوا به و عزموا على التبشير بهذا الدين بين قومهم.

و ليس المراد بالجن الملائكة من القوى النارية أو النورية، و هم كلهم مطيعون إلا واحدا منهم، و هو إبليس، و هو طرد من الجنة و أصبح من الكافرين الفاشلين في الاختبار، و الدعوة و التبشير يكون في قوم لم يختبروا بعد، و يرجى منهم النجاح و الفشل و ما بقي بعد الملائكة إلا الإنسان للاختبار.

ثم يقول في استعمال لفظ الجن على الملائكة عند قوله تعالى: ﴿ وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ (٣)

أي: جعل مشركو مكة بنسبتهم الملائكة بنات الله بين الله و بينهم نسبا و علاقة قربى، و هي علاقة الأبوة و البنوة، و أطلق اسم الجنة على الملائكة هنا؛ لأنهم قوى

---

(١) الأحقاف : ٣٠.

(٢) من مفاهيم القرآن في العقيدة و السلوك، ص: ١٢٩ - ١٣٠، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت.

(٣) الصافات : ١٥٨.

و الجن إذن ليس من طبيعة تغاير الملك و الإنسان معا بل بالأحرى اسم لكل قوة خفية من الملائكة أو المستخفين من الناس خيرة أو شريرة على السواء.[١]

فهو في هذه الآية و أمثالها يؤول لفظ الجن بالملائكة أو المستخفين من الناس؛ فانه من القوى الخفية عن أعين الناس.

ثم يؤيد رأيه هذا بعدة تساؤلات يثيرها بنفسه، و هي غريبة أيضا. فيقول:« و افترض أن هناك عالما ثالثا يتميز عن عالم الملائكة و عالم الإنس و يتقابل تماما مع أي منهما هو عالم الجن، يحتم مثل هذه الأسئلة:

ممَّ خلق هذا العالم؟ فاذا كان الجواب أنه من نار لقول الله عزوجل: ﴿ وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾[٢]

فيسأل بعد ذلك: ممَّ خلق الملائكة؟ و عالمها تماما يقابل عالم الجن على هذا الافتراض فاذا كان الجواب: إن الملائكة خلقت من نور - كما يقال - يسأل الآن:

ما هو الفرق بين النار و النور؟ أليس الشمس نارا ملتهبة و مع ذلك تشع النور كما تشع الحرارة في العالم؟ و أليس النور عرضا و مظهرا للنار؟ و أ ليست النار منبعا للنور؟.

ثم إذا كان عالم الجن مستقلا و متقابلا مع عالم الإنس و الملائكة، كما يفترض الآن، و قد خلق من نار... أين كان هذا العالم موجودا عند ما اختبر الملائكة في طاعتها وعبادتها إياه بالسجود لآدم، و عند ما وضع الإنس ممثلا في آدم و حواء أمام تجربة تقوم على الإغراء المادي وحده في الجنة؟ و تميزت بذلك الملائكة بين كثرة مطيعة و قلة - في ملك واحد - عاصية هو إبليس أو الشيطان كما عرف أن آدم - و الإنسان من بنيه على العموم - بعد رسوبه في هذه التجربة المادية الإغرائية في حاجة إلى هداية إلهية في رسالة سماوية له على الأرض التي أمر بالخروج إليها رغم أنه أعد بالعقل و الإدراك.

لم يختبر الجن إذن في طاعته لله كما اختبرت الملائكة، و لم تتبين طاعته كما لم يتبين عصيانه، فبم يكلف باتباع رسالة الله في عليائه؟ و التكليف باتباع الرسالة الإلهية في الإنسان للحاجة إليها و لم تظهر حاجة الجن إليها؛ لأنها لم تختبر بعد.[٣]

---

(١) تفسيره لسورة الصافات، ص: ٤٢.

(٢) الحجر: ٢٧.

(٣) تفسير سورة الجن للبهي، ص: ٥٢ - ٥٣، دار الفكر - بيروت.

فهذه تساؤلات أثارها لتأييد ما رأى عن الجن من غير استناد إلى دليل يعتمد عليه، كما سيأتي الرد عليها.

ثم يثير تساؤلات أخرى بناء على التساؤلات الأول فيقول: «و على فرض أن الجن مكلف بالرسالة الإلهية رغم أنه لم يختبر كما اختبرت الملائكة و اختبر الإنسان، فأيّ نوع من أنواع الرسل يرسل إليه؟ أ هو الملك؟ أم الإنسان؟ أم واحد من الجن؟

إن الملائكة لا ترسل بالرسالة الإلهية إلا لمن يصطفيهم الله لتبليغ رسالته من البشر، فهم إذن لا يكلفون بتبليغ إلى الكافة من نوع آخر يقابل نوعهم.

و هم إذا أرسلوا برسالة إلهية فيرسلون بها إلى إنسان مصطفى في عالم الإنسان أو إلى واحد مختار في عالم الجن؟ على فرض أن هناك تكليفا للجن، و على فرض كذلك أن عالم الجن متقابل تماما مع عالم الملائكة و الإنسان.

و الإنسان الرسول من قبل الله إلى قومه أو إلى الناس كافة هو واقف في تبليغ رسالته عند الناس وحدهم، لا يتعداهم إلى موجودات أخرى، لأن الله يرسل رسولا إلى قوم بلسانهم و على معرفة بعاداتهم و تقاليدهم، و إذن الرسول الإنسان - و محمد ﷺ واحد منهم - لم يرسل إلى الجن، و ليست رسالته تبليغهم هداية الله.[1]

ظاهر من هذه التساؤلات كلها أنها جعلته يتخذ رأيا عن الجن مخالفا لما عليه جمهور الأمة من الخلف و السلف، مع أن هذه التساؤلات عليها إجابة يقينية في النصوص لو تأمل فيها حق التأمل - على ما سنراه في ما يأتي بإذن الله.

الرد على تأويلاته:

أولا: تأويله لفظ الجن بأنه يطلق على النفر الغريب، تأويل لا يؤيده الاطلاق العام للفظ الجن فكتب اللغة جميعها ساكتة عن هذا الاطلاق مع أنها تتعرض لإطلاقه على كثير من المعاني و الموارد، لكنها لم تتعرض إطلاقه على النفر الغريب قط.

نأخذ مثلا المعجم الضخم المشهور بلسان العرب، و قد يعد من أكثر المعاجم إحاطة بلغات العرب، و ذكر مظان استعمالها، كما يعد من أجمعها في استيعاب الألفاظ العربية ومعانيها.

---

(١) تفسير سورة الجن، ص : ٢٤.

و نأخذ مثلا تاج العروس فهو أجمع كتب اللغة و أشملها في استيعاب الألفاظ العربية و ذكر معانيها الكثيرة.

هذان المعجمان الضخمان لم يتعرضا مطلقا أن لفظ الجن قد يطلق على النفر الغريب من الإنسان، و لم يشيرا إلى هذا الإطلاق ألبتة.

و كذلك لم يذكر أحد من الأئمة الذين تناولوا ألفاظ القرآن و الحديث شرحا و توضيحا أن لفظ الجن قد يطلق على المعنى المذكور، فهو خالف جميع أهل العلم بمعاني اللغات و الكلمات.

ثانيا: نسأله من قال؟ إن هذا النفر الذين استمعوا القرآن ليلة الجن هم أنصار المدينة؟ على أيٍّ مرجع من مراجع السير و التاريخ و التفسير اعتمد في رأيه؟

ثم ما هي أسماؤهم؟ و ما هي تراجمهم؟ فالمراجع موجودة كثيرة في ذكر أسماء الصحابة و بيان سيرهم و أحوالهم.

و من قال: إن نفرا من الجن في قوله تعالى: ﴿ وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ ...﴾ و في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ...﴾ هم أنصار بيعة العقبة جاءوا قبل الهجرة بسنتين؟

بل الروايات الصحيحة تؤكد أن الآيات: ﴿ وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ ...﴾ نزلت في نفر من جن نصيبين استمعوا تلاوة القرآن حينما كان يصلي بنخلة العشاء الآخرة، و ما كان ﷺ أراد قراءة القرآن عليهم و ما رآهم في تلك الليلة.

و إلى هذه الواقعة تشير سورة الجن و افتتاحها بلفظ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ ...﴾ يؤكد أنه ﷺ ما أراد قراءة القرآن عليهم و ما رآهم تلك الليلة، و إنما أخبر الله سبحانه بأن نفرا من الجن كانوا يستمعون قراءته.[1]

و أما أنصار بيعة العقبة فمعروفة أسماؤهم في كتب سير الصحابة، و قد التقى الرسول ﷺ بهم و دعاهم إلى دين التوحيد و النصرة لهذا الدين فرآهم بأم عينيه و تحدث معهم في نصرة الدين، و فعلا قد استجابوا لدعوته و أخذوا على عاتقهم نشر هذا الدين في يثرب فما بقي دار من دور الأنصار إلا و فيها ذكر الرسول ﷺ كما هو معروف.[2]

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير ٤/٢٤٩، و فتح القدير للشوكاني ٥/٣٠٣.

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١/٤٣٩ - ٥٤١، و زاد المعاد لابن القيم ٢/٥٠.

ثالثا: قوله: «إن أمر الملائكة بالسجود لآدم كان للإختبار» ليس صحيحا بل كان لإظهار كرامته و إثبات أحقيته بالخلافة في الأرض كما فهم إبليس هذه الحقيقة فأنكر السجدة له تكبرا.

قال تعالى على لسان ابليس: ﴿ قَالَ أَ رَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلا قَلِيْلا ﴾ (٢)

رابعا: أن الفرق بين النار و النور معروف لجميع الناس، فالنور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الأبصار، و النار هو اللهيب الذي يبدو للحاسة، و يقال: للحرارة المجردة و لنار جهنم.(٣)

و هو يعترف أيضا بالفرق بينهما حيث يقول و إن لا يشعر به: «أ ليس الشمس نارا ملتهبة و مع ذلك تشع النور كما تشع الحرارة» فالشمس مصدر و النور و الحرارة أثران صادران من الشمس.

فهل من المستحيل أن يخلق الله خلقا من النار - التي بمثابة الكل - و يخلق خلقا آخر من نورها - الذي بمثابة الجزء - و يجعل هذين الخلقين مختلفين في الآثار و الأعراض بسبب الاختلاف في الكيف و الكمية و غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

فقد قال سبحانه: ﴿ وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كَلَّ شَيءٍ حَيٍّ ﴾ (٤)

فكل مخلوق حيوان جعله الله من الماء و مع ذلك لا يقول عاقل إنه متحد في الماهية و العرض، فقدرة الله فوق ما يتصوره. و هذا يظهر ركاكة و سخافة تساؤله بما الفرق بين النار و النور، و غرابته.

و أيضا لا ندعي أن النور الذي خلق منه الملائكة هو النور الذي صدر من النار فالنور لازم عام يوجد بغير النار أيضا مثل القمر فله نور و مع ذلك لا يشع الحرارة.

و مع ذلك لا يجوز الخوض في تحديد النور كما قلنا في بيان حقيقة الملائكة؛ لأن مثل هذه الأمور مما لا يستطيع العقل معرفتها بدون نص ثابت من الكتاب و السنة.

خامسا: قوله: «إن الرسل إلى الجن يجب أن يكونوا منهم» ليس صحيحا، وذلك لوجوه:

---

(١) الإسراء : ٦٢.

(٢) أنظر: المفردات في غريب القرآن ، ص: ٥٠٨-٥٠٩.

(٣) الأنبياء : ٣٠.

أولا: إن الرسول الخاتم محمد ﷺ أرسل إلى الإنس و الجن كافة، و كانت دعوته عالمية. و يدل عليه كثير من الآيات و الأحاديث:

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيْراً وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [١]

المراد بكافة الناس الجن و الإنس.[٢]

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٣]

و من الأحاديث المفسرة للآيات قوله ﷺ : «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرعب، و أحلت لي الغنائم، و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا، و أرسلت إلى الخلق كافة، و ختم بي النبيون»[٤].

و قوله ﷺ : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، و جعلت لي الأرض مسجدا و طهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، و أحلت لي المغانم و لم تحل لأحد قبلي، و أعطيت الشفاعة، و كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[٥].

و قوله ﷺ : «بعثت إلى كل أحمر و أسود»[٦].

قال مجاهد[١]: «يعني الجن و الإنس»، و قال غيره: يعني العرب و العجم. و الكل

---

(١) سبأ : ٢٨.

(٢) أنظر: ابن كثير ٣/٨٥٧.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب المساجد، و مواضع الصلاة، ...: ١/ ٣٧١، ٥٢٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، عن جابر رضي الله عنه، كتاب التيمم، ١/١٢٨، ٣٢٨. و مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ١/ ٣٧٠، ٥٢١.

(٦) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ١/ ٣٧١ ، ٥٢١.

(٧) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء و المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قرأه عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت و كيف كانت، و تنقل في الأسفار، و استقر بالكوفة، و لد سنة: ٢١ هـ ، و توفي سنة: ١٠٤ هـ ، قيل: إنه مات و هو ساجد. الأعلام: ٥/٢٧٨.

صحيح.[١]

فهذه الآيات و الأحاديث تؤكد عموم دعوة الرسول ﷺ و عالميتها إلى الخلق من الإنس و الجن كلهم.

و ما مر معنا من حديث ابن مسعود رضي الله عن ليلة الجن[٢]، وما سيأتي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣] عن ضرب شياطين الجن مشارق الأرض و مغاربها لمعرفة سبب رمي الشهب، من الأدلة الواضحة على عموم رسالته ﷺ للإنس و الجن.

لقد أجمع السلف من الصحابة و التابعين و أئمة المسلمين جميعا على عموم بعثته ﷺ إلى الجن و الإنس.[٤]

و أما غيره من الأنبياء فكانت بعثتهم إلى أقوامهم خاصة كما هو معروف، ثم هل يبعث النبي قبله إلى الجن أيضا أم لا؟ فقد اختلف السلف في هذه القضية. و الجمهور على أن الرسالة خاصة بالإنس ثم يكون للرسول رسول من الجن، يقوم بالدعوة و التبليغ فيما بين الجن، وهذا يسمى نذيرا.[٥]

وعلى كل حال فإن النبي ﷺ مبعوث إلى الثقلين بإجماع الأمة فالقول المخالف للإجماع مردود ومرفوض لا يلتفت إليه.

سادسا: وأما زعمه أن إبليس كان من الملائكة فقول مرجوح بل مردود يبطله قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٦].

---

(١) أنظر: تفسير ابن كثير ٣/٨٥٧.

(٢) أنظر: ص: ١٩٣.

(٣) أنظر: ص: ٢١٥.

(٤) ينظر مجموع الفتاوى ١٩/٩، و شرح الطحاوية، ص ١٧٦، و فتح الباري ١/١٣٦، و آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي، ص: ٦٠ و غيرها.

(٥) ينظر أقوال العلماء في هذا الصدد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يا معشر الجن و الإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي و ينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ الأنعام: ١٣٠- تفسير الطبري ٨/٣٦، و القرطبي ٧/٨٦، و التفسير الكبير ١٣/١٩٥، و ابن كثير ٢/٢٨٤.

(٦) الكهف : ٥٠.

فإبليس كان من الجن، لا من الملائكة، بنص الآية الكريمة.

والحاصل مما سبق أن تأويل الجن بالنفر الغريب من البشر يخالف النصوص والآثار، واللغة وأقوال السلف، ولا يؤيده أى دليل منقول ولا معقول، لا من قريب ولا من بعيد، فهو باطل من أساسه.

يقول بعض العلماء المعاصرين معقبا على هذا التأويل: والجن كما تدل ظواهر القرآن الكريم وما روي من أخبار عن النبي ﷺ جنس يقابل الإنسان فليس الجن من الأناسي، ولايتفق مع القرآن قول من يقول: إنهم طائفة من الناس غيبوا في الأرض أو بعدوا فيها، ولقد أخطأ جانب الصواب من يقول: إنهم الأنصار، فذلك كلام باطل بالبداهة، ولكن تبع الغربيين بعض الذين ليس لهم استقلال فكري أمام ما يقوله الغربيون، وليست عندهم طاقة يستطيعون بها تمييز ما هو حق وما هو باطل، وما هو خطأ وما هو صواب.[1]

---

(١) خاتم النبيين ﷺ للشيخ أبي زهرة، القسم الأول عن المكي، ص ٥٥١، طبع على نفقة أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني. و أنظر: هذا الرد الإجمالي أيضا في تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربي، ص: ١٤٦ - ١٤٧، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٦٨ هـ .

الأمر الثالث في إبطال الكهانة.

هنا نتكلم عن أمور مهمة في هذا الصدد تكميلا للفائدة و إشباعا للموضوع وتجلية للمقام.

الأمر الأول في كيفية استراق المسترقة:

تفيد النصوص من الكتاب و السنة أن الشياطين المردة قد اتخذوا مقاعد في السماء ليتمكنوا من استراق ما يدور بين الملأ الأعلى، فقد كان الملأ الأعلى يتفاوضون فيما قضى الله من أوامر متعلقة بالأرض و أهله فينزلون لتنفيذها، و قد كانت الشياطين قد خصص كل واحد منهم مقعدا في السماء، و يسترق الذي مقعده أدنى إلى السماء الدنيا بعضا من أخبار الملأ الأعلى و يلقيه إلى الذي يليه، و هو يلقيه إلى الذي يليه حتى تصل السلسلة إلى الذي يلي الأرض فهو يلقي في أذن الكاهن.

و إلى هذا أشار قوله تعالى على لسان الجن: ﴿ وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [1]

و وردت أحاديث في تفسير هذه الآية الكريمة:

منها ما ثبت أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا: للذي قال الحق و هو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - و وصف سفيان[2] بكفه فحرفها و بدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، و ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا و كذا، كذا وكذا، فيصدق

---

(١) الجن : ٩.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة سنة: ١٠٧ هـ ، و سكن مكة، و توفي بها سنة: ١٩٨ هـ، كان حافظا ثقة ، واسع العلم، كبير القدر، قال الشافعي رحمه الله: «لولا مالك و سفيان لذهب علم الحجاز، له الجامع في الحديث، و كتاب في التفسير، أنظر: الأعلام ٣/ ١٠٥.

بتلك الكلمة التي سمع من السماء»[١]

هذا هوكيفية استراق المسترقة أخبار السماء كان يقعد بعضهم فوق بعض، و يلقي الأعلى إلى الأدنى ثم الأدنى حتى يصل إلى الكاهن الذي يخبره الناس مع مائة كذبة من عنده.

كيفية إلقاء الجني إلى الكاهن:

فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال: « ليس بشيء » فقالوا: يا رسول الله! إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا، فقال رسول الله ﷺ : «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة»[٢].

و في رواية: «فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة»[٣]. و يؤيد هذا المعنى رواية كقز الزجاجة.[٤]

و المعنى أن الجني يلقى بصوت يسمع كصوت الزجاجة إذا حلت على شيء أو ألقى فيها شيء من الماء و نحوه، و هذا المعنى بينه كثير من العلماء.[٥]

و قال البعض: المعنى أنه يكون لما يلقيه الجني حس كحس القارورة إذا حركت باليد أو على الصفا.[٦]

و قال البعض: المعنى أنه يطبق به كما يطبق رأس القارورة برأس الوعاء الذي يفرغ فيه منها ما فيها.[٧]

و في رواية عند البخاري: يقر قرها كقر الدجاجة أو كقر قرة الدجاجة.[٨]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير﴾ ٤/١٨٠٤ ، ٤٥٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الكهانة ٥/٢١٧٣، ٤٥٢٩.

(٣) عند البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر صفة إبليس و جنوده، ٣/١١٩٧ ، ٣١١٤.

(٤) أنظر: فتح الباري ١٠/ ٢٢٠.

(٥) نفس المرجع، و لسان العرب ٥/٨٤، مادة: قزّ .

(٦) فتح الباري ١٠/ ٢٢٠.

(٧) قاله الخطابي. أنظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٨) نفس المرجع بنفس الصفحة.

و المعنى أن الجني المسترق يردد الكلمة في أذن الكاهن كما تقر قر الدجاجة صوتها، أي ترددده فيجاوب الدجاج معها و يحكي صوتها. كذلك يكون إلقاء الجني إلى وليه الكاهن بصوت خفي متراجع له زمزمة و يرجعه له؛ و لذلك يقع كلام الكهان غالبا على هذا النمط.

هذه صفة صوت الجنى حين إلقائه إلى وليه.

و أما ألفاظه فقد تفيد النصوص أن كلام الكاهن دائما يكون فيه زمزمة و سجع.

ثبت أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجر فأصاب بطنها و هي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقضى أن دية ما في بطنها غرة عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب و لا أكل و لا نطق و لا استهل فمثل ذلك يطل؟ فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان»[١]. لأنه اختار أسلوب الكهنة في رعاية السجع المذموم الظاهر فيه التكلف.

و أما الزمزمة - و هو الصوت الخفي لا يكاد يفهم[٢] - فلا يكاد يخلو كلام الكاهن منه.

و قد شهد به الوليد بن المغيرة حينما استشار طواغيت قريش فيما بينهم ماذا يقال في شأن محمد ﷺ؟ فقال البعض: إنه كاهن، فرد الوليد عليه بقوله: «لا و الله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهانة فما هو بزمزمة الكاهن و لا سجعه»[٣].

و إنما يلجأ الكاهن إلى مثل هذا الأسلوب الغامض في كلامه الذي يشتمل على الكذب الكثير ليستطيع ترويج باطله عن طريق التمويه و التلبيس على الناس السذج، و يجد المخرج حين ظهور كذبه.

يقول مؤلف " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام": «فكان للكهان أسلوب خاص

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الطب، باب الكهانة ٥/٢١٧٢، ٥٤٢٦ - ٥٤٢٧. و مسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب دية الجنين و وجوب الدية في قتل الخطأ، ٣/١٣٠٩، ١٦٨١ - ١٦٨٣.

(٢) لسان العرب: ١٢/٢٧٤.

(٣) أنظر: الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص: ٧٢ - ٧٣، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ.

في كلامهم عند التنبؤ و التكهن، هو أسلوب السجع، و لذلك عرف بسجع الكهان، فقد امتاز سجعهم باستعمال الكلام الغامض و التعابير العامة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفاسير متناقضة مختلفة، و هو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن لكي لا يلزم الكاهن على ما يقوله من قول ربما لا يقع أو قد يقع العكس»[١].

و قد رأينا في النصوص أن كلام الكاهن يكون فيه كذبات كثيرة جدا فلا جرم أن يستعمل كلاما غامضا جدا كذلك.

فهذا هو السر لكون كلامهم مشتملا على السجع و الزمزمة.[٢]

الأمر الثاني في تحقيق القول في الرمي قبل مبعث النبي ﷺ .

لا خلاف عند السلف أن رمي الشياطين بالشهب وجد بكثرة بعد مبعث النبي محمد ﷺ لحفظ الرسالة السماوية الأخيرة، و هذا من عظيم رحمة الله سبحانه بهذه الأمة. و لكن اختلفوا في الرمي قبل بعثته ﷺ على قولين:

القول الأول: إن الجن لم تكن ترمى بالشهب قبل مبعث النبي ﷺ ، و هو مروي عن غير واحد من السلف.

قالوا: إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء قبل المبعث و اتخذوا مقاعد فيها لاستماع ما يدور في الملأ الأعلى من أخبار ليلقوه إلى أوليائهم، و حينما بعث النبي ﷺ منعت الشياطين من استراق السمع و حرست السماوات بالملائكة و الشهب، إظهارا لآية من آياته و حفظا لرسالته و صيانة للوحي من التباسه بالكهانة.[٣]

و استدلوا بما روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة في أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء و أرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا حيل بيننا و بين خبر السماء و أرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم و بين خبر

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧٥٩/١، الطبعة الأول، ١٩٧٠م، دار العلم للملايين - بيروت، و مكتبة النهضة - بغداد.

(٢) و هذا ما نشاهده في كلام الكهنة الهندوسين في البلاد الهندية.

(٣) أنظر: تفسير القرطبي ١٢/١٩، ١٠/١٠.

السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض و مغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم و بين السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة و هو عامد إلى سوق عكاظ و هو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم و بين السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا، وَ أنزل الله عزوجل على نبيه ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [١] »[٢].

يقول القاضي عياض[٣]: « ظاهر هذا الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين له و طلبهم سببه، و لهذا كانت الكهانة فاشية في العرب و مرجوعا إليهم في حكمهم، حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين و بين استراق السمع، كما قال تعالى: ﴿ وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [٥]

و قد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها و إنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث، و كان ذلك أحد دلائل نبوته ﷺ ، و يؤيده ما ذكر في الحديث من إنكار الشياطين.[٦]

---

(١) الجن : ١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الجن ٤/١٨٧٣ - ١٨٧٤، ٤٦٣٧.

(٣) هو عياض موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب و أنسابهم و أيامهم، ولى قضاء سبتة و مولده فيها ، ثم قضاء غرناطة، و توفي مسموما بمراكش، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ترتيب المدارك و تقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، شرح صحيح مسلم و غيرها، ولد سنة: ٤٧٦ هـ ، و توفي سنة: ٥٤٤ هـ ، الأعلام: ٥/٩٩.

(٤) الجن : ٨ -٩.

(٥) الشعراء : ٢١٢.

(٦) سبق تخريجه.

و يقول الزجاج[١]: و يدل على أنها إنما كانت بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين يمثلون بالبرق و الأشياء المسرعة، لم يوجد في أشعارها ذكر الكواكب المنقضة، فلما حدث بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها.

فقال ذو الرمة[٢]:

كأنها كوكب في إثر عفرية مسوّم في سواد الليل منقضب

فهذه من الأدلة على أن الرمي حدث بعد مولد النبي عليه السلام عند القائلين به.[٣]

الرأى الثاني:

أن الرمي بالكواكب كان موجودا و إنما زيد بمبعث نبينا محمد ﷺ و شدد أمره وغلظ حسما لأمر الشياطين و تخليطهم، و إعلاما بانقطاع الكهانة إلى الأبد، و هو آية عظمى من آيات النبي ﷺ .

و هذا قول الأكثرين.[٤] و يؤيد هذا الرأي عدة أدلة من الكتاب و السنة و غيرها.

الأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيْدًا وَ شُهُبًا وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[٥] .

---

(١) هو إبراهيم بن السرّي بن سهل، أبو اسحاق الزجاج، عالم بالنحو و اللغة. كان في فتوته يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو فعلمه المبرد، و له كتب كثيرة في اللغة و النحو، منها معاني القرآن، و الاشتقاق و إعراب القرآن و الأمالي و غيرها، ولد في سنة: ٢٤١ هـ ، في بغداد، و مات فيها سنة : ٣١١ هـ . أنظر: الأعلام: ١/ ٤٠.

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر، أبو الحارث، ذوا الرُّمّة، شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قيل: فتح الشعر بامرئ القيس و ختم بذي الرمة أكثر شعره تشبيب و بكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهلين و كان مقيما بالبادية، له ديوان شعر في مجلد ضخم. ولد سنة: ٧٧ هـ ، و توفي سنة: ١٧٧ هـ ، باصبهان، الأعلام: ١٢٤/٥.

(٣) أنظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٢٩٢/٨، تحقيق: عبد الله ابراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشئون الدينية قطر. و مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٤/٢ -٩٥، و القرطبي: ٢٠٣/١٣، و زاد المسير لابن الجوزي ٣٨٨/٤.

(٤) أنظر: القرطبي ١٣/١٩.

(٥) الجن : ٨ - ٩.

فقوله تعالى على لسان المسترقة: ﴿ مُلِئَتْ ﴾ دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة و الزيادة في حرس السماء.

و كذلك قوله تعالى: ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس و الشهب، و الآن ملئت المقاعد كلها.[١]

و قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ وَ يُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ فان معناه - كما يقول القرطبي: إنهم كانوا لا يقذفون من كل جانب إلا من بعض، فصاروا يرمون واصبا، و إنما كانوا من قبل كالمتجسسة من الإنس يبلغ الواحد منهم حاجته و لا يبلغها غيره، ويسلم واحد و لا يسلم غيره بل يقبض عليه و يعاقب و ينكل.

فلما بعث النبي عليه السلام زيد في حفظ السماء و أعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا من كل جانب في السماء و لا يقروا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها، فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها إلا أن يختطف أحد منهم بخفة حركته خطفة، فيتبعه شهاب ثاقب قبل أن ينزل إلى الأرض فيلقيها إلى إخوانه فيحرقه، فبطلت من ذلك الكهانة و حصلت الرسالة و النبوة.[٢]

والأدلة من السنة:

منها ما روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه - قال عبد الرزاق[٣]: أي من الأنصار، فرمي بنجم فاستنار، قال ﷺ : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. فقال ﷺ : «فإنها لا يرمى لموت أحد و لا لحياته، و لكن ربنا تبارك و تعالى إذا قضى أمرا في السماء فسبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين

---

(١) الكشاف للزمخشري ١٤٧/٤، و القرطبي: ١٤٧/١٩، و روح المعاني للآلوسي ١٠٨/٢٩-١٠٩ ، و الروض الأنف للإمام السهيلي شرح سيرة ابن هشام، تحقيق و تعليق: عبدالرحمن الوكيل ٣٠٢/٢.

(٢) القرطبي: ٦٦/١٥. و أنظر: ابن كثير ٦٧٢/٤.

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات، من مؤلفاته: كتاب في تفسير القرآن، و المصنف في الحديث، يقال له الجامع الكبير، حققه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، ولد سنة ١٢٦ هـ ، توفي سنة: ٢١١ هـ . الأعلام ٣٥٣/٣.

يلونهم حتى يبلغ التسبيح هذه الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبروهم و يخبر أهل كل سماء أهل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء و تخطف الجن السمع فيرمون، فما جاءوا به على وجهه فهو حق و لكنهم يقرفون فيه و يزيدون»[١].

فهذا الحديث ينص صراحة على أن الرمي كان موجودا في الجاهلية، أى قبل مبعث النبي ﷺ.

و من الآثار:

سأل الإمام معمر[٢] الإمام الزهري[٣]: أو كان يرمى به في الجاهلية؟ فقال: نعم. قلت: يقول الله عزوجل: ﴿ وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ يريد بهذا دفع إشكال استشكل عليه في الآية، يعني أن الآية تفيد عدم الرمي قبل المبعث عنده. فقال الزهري: «غلظت و اشتد أمرها حين بعث النبي عليه السلام»[٤].

---

(١) مسند أحمد ٢٦٨/٣، تحقيق: أحمد شاكر، و مثله الإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، و ابن جرير في تفسيره ٣٧/٢٣، و البيهقي في دلائل النبوة ٢٣٦/٢ - ٢٣٧، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعة جي، و غيره من المحدثين. أنظر: تحفة الأحوذي ٩١/٩ - ٩٢.

(٢) هو معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحداني بالولاء، أبو عروة، فقيه حافظ للحديث، متفق ثقة، من أهل البصرة، ولد و اشتهر فيها و سكن اليمن، و هو عند مؤرخي رجال الحديث أول من صنف باليمن، له: كتاب المغازي، و الجامع المشهور في السنن المنسوب إليه، و هو من الكتب القديمة في اليمن، أقدم من المؤطا، ولد سنة: ٩٥ هـ، و توفي سنة: ١٥٣ هـ. أنظر: الأعلام: ٢٧٢/٧.

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب من قريش، أبو بكر، أول من دون الحديث، و أحد أكابر الحفاظ و الفقهاء، تابعي من أهل المدينة. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب؛ فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه، ولد سنة: ٥٨ هـ، و توفي سنة: ١٢٤ هـ، بشغب - آخر حد الحجاز و أول حد فلسطين. الأعلام: ٩٧/٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده ضمن الحديث المذكور آنفا.

و قال الإمام السدي[١]: «لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر»[٢].

فهو يرى أن السماء تكون محروسة من استراق الشياطين كلما بعث الله نبيا في الأرض لصيانة الوحي من الإختلاط بالكلام الباطل، فانقضاض النجوم ظل موجودا في كل زمان عند مبعث نبي من الأنبياء.

و يقول مؤلف السيرة الحلبية: «ظاهر الأخبار يدل على أن الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن غيره ﷺ من الرسل، و هو كذلك، و عليه أكثر المفسرين، حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل.

و أما في الزمن الذي ليس فيه رسول - و هو زمن الفترات بين الرسل - فكانوا يسترقون السمع في مقاعد لهم و يلقون ما يسمعون للكهان، أى لأن الله ذكر فائدتين في خلق النجوم[٣] فقال تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِيْنِ ﴾[٤].

و قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَ حِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[٥].

و كونها إنما جعلت رجوما و حفظا ليس إلا عند قرب مبعثه ﷺ خاصة دون بقية الرسل من أبعد البعيد»[٦].

---

(١) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير و المغازي و السير، و كان إماما عارفا بالوقائع و أيام الناس، توفي سنة: ١٢٨ هـ ، الأعلام: ٣١٧/١.

(٢) أنظر: ابن كثير ٦٧٣/٤، و سيرة النبي له ٤١٩/١، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد.

(٣) أى في الآية التي يذكرها؛ فان الله ذكر فائدة ثالثة في مقام آخر بقوله: ﴿ و علاماتٍ و بالنجم هم يهتدون ﴾ النحل: ١٦.

(٤) الملك : ٥.

(٥) الصافات : ٦ - ٧.

(٦) إنسان العيون في سيرة الأمين المامون، المشهور بالسيرة الحلبية للإمام علي بن برهان الدين الحلبي، (٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ) ٣٤٠/١، الطبعة الأولى: ١٣٨٤ هـ، مصطفى البابي و أولاده بمصر.

ولا يخفى ما في قوله من دقة وتعمق، حيث إنه يحمل الآيتين المذكورتين على ما تفيدانه من العموم، و لا شك أن هذا المفهوم أقرب إلى الصحة وأكثر دقة.

الأبيات المقولة في ذلك:

وحينما نرجع إلى الشعراء الجاهليين فنجدهم يذكرون الكواكب المنقضة في أشعارهم لتشبيه شيء بها في السرعة والخفة، فهو أيضا من الأدلة على وجود الرمي قبل المبعث.

يقول الإمام ابن قتيبة[1]: «وعلى هذا -أى وجود الرمي قبل المبعث- وجدنا الشعراء، قال بشر بن أبي خازم الأسدي وهو جاهلي:

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكواكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي:

وانقض كالدري يتجه نقع بثور تخاله طنبا.

وقال عوف بن الخرع وهو جاهلي:

يرد علينا العير من دون أنفه أو الثور كالدري يتبعه الدم

ثم يقول: وفي أيدي الناس كتب من كتب الأعاجم وسبرهم، تنبئ عن انقضاض النجوم في كل عصر وزمان»[2]. وبهذا ظهر أن قول الزجاج الماضي ليس صحيحا.

الرأى الراجح:

هو الرأى الثاني لقوة أدلته ولإمكان الجمع بين النصوص، فقد رأينا حين عرض أدلة الرأيين أن أدلة الرأى الثاني تبلغ من القوة ما لا تبلغه أدلة الرأى الأول.

---

(١) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد بغداد ٢١٣هـ، وسكن الكوفة ثم ولى قضاء الدينور فنسب إليها، وتوفى ببغداد سنة: ٢٧٦هـ، من كتبه: تأويل مختلف الحديث، تأويل مشكل القرآن، تفسير غريب القرآن، المعارف، المعاني، عيون الأخبار، المسائل والأجوبة. انظر: الأعلام: ١٣٧/٤.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، ص: ٤٣٠، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ، دارالكتب العلمية، كتاب القرطين، ١، الذي هذبه ابن مطرف الكتاني: كتابي مشكل القرآن، وكتاب غريب القرآن لابن قتيبة، ١٨٤/٢.

لا سيما الحديث الصحيح الصريح[١] في تأييد الرأى الثاني، وهو حاسم للنزاع ومفسر للآيات، فالمصير إلى غيره ليس بجائز.

والجمع بين النصوص ممكن عند اختيار هذا القول كما يقول بعض المفسرين: بأن الذين قالوا: لم تكن السماء ترمى بالنجوم قبل المبعث ثم رميت، معناه: لم تكن ترمى رميا قاطعا يقطع من السمع، ولكنها كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا، وترمى من جانب ولا ترمى من جانب.[٢]

وهذه الكثرة من الشهب حملت الشياطين على تطلب السبب فضربوا مشارق الأرض ومغاربها.[٣]

---

(١) الذي ذكرناه، ص: ٢١٨، في تأييد الرأى الثاني.

(٢) انظر: القرطبي، ٦٦/١٥.

(٣) انظر: ابن كثير ٦٧٢/٤.

الأمر الثالث في تحقيق القول فيما يسترق المسترقة من أخبار السماء.

يجب في هذا المقام تحديد ما يستطيع المسترقة من استراقه من أخبار السماء؛ فانها لا تستطيع أن تسترق كل ما يتصل بأخبار السماء، و هي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو الأخبار و العلوم التي استأثر الله بعلمها من الأمور الغيبية المحضة فلا يعلمها أحد غير الله سبحانه، لا ملك مقرب، و لا نبي مرسل، فضلا عن غيرها، و هذه العلوم و الأخبار تسمى بمفاتيح الغيب في لسان الشرع.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهَ ﴾ [١].

و يقول تعالى: ﴿ وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ ﴾ [٢]. و الغيب هو ما غاب عن الحس و العقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه، و هو المراد في الآية المذكورة، و قسم نصب عليه دليل كالصانع و صفاته و النبوات و ما يتعلق بها، و هو المراد في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [٣] »[٤].

و جاء تفسير هذه المفاتيح على لسان الرسول ﷺ فقال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله. ﴿ إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٥] »[٦]

و يقول تعالى آمرا رسوله محمدا ﷺ : ﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [٧]

---

(١) النمل : ٦٥.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) البقرة : ٣.

(٤) أنظر: تفسير أبي السعود ٥٣/١، تفسير القاسمي ٣٥/٢.

(٥) لقمان : ٣٤.

(٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ١٦٩٣/٤، ٤٣٥١.

(٧) الأنعام : ٥٠.

و مثله قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَ لا ضَرًّا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ الـــــــسُّوءَ إِنْ أَنَا إلا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١].

هذه النصوص تنفي علم الغيب عن الأنبياء و الرسل حتى عن أفضل الرسل محمد ﷺ فضلا عن غيرهم من الإنس و الجن.

و قد نطقت النصوص صراحة بنفي علم الغيب عن الجن أيضا يقول تعالى حكاية عنهم: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَـأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[٢] و يقول تعالى: ﴿ وَ أَنَّا لا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [٣]

فادعاء أحد من الإنس و الجن أنه يعلم الغيب، إنما هو محض إفتراء و زور على الله سبحانه، و تلاعب بعقول عوام الناس إمعانا في تضليلهم و اكتسابا لأموالهم بالباطل.

لأن علم الغيب صفة ذاتية مختصة بالله عزوجل، لا يشترك فيها أحد من خلقه، لا من الملائكة ولا من الإنس ولا من الجن، فلا يستطيع أحد منهم أن يعرف أمراً من الأمور الغيبية من نفسه و باستقلاله إلا بإعلام من الله عالم الغيب، و هو لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضاه و اصطفاه من الرسول من الملك و الإنس.[٤] كما قال تعالى: ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ ﴾ [٥].

فالرسول لا يستطيع أن يعلم أمراً من الغيب من نفسه إلا أن يطلعه الله عليه، و هذه المعرفة للرسول على أمر من الغيب يكون على أعلى رتبة من الوضوح و اليقين بحيث ينكشف به جلية الحال إنكشافا تاما موجبا لعين اليقين، و هذه الرتبة خاصة بالرسل لا

---

(١) الأعراف : ١٨٨.

(٢) سبأ : ١٤.

(٣) الجن : ١٠.

(٤) تفسير ابن كثير.

(٥) الجن : ٢٦.

توجد في غيرهم، فلا يرد لو اطلع أحد من غيرهم على شيء من الغيب بالكشف أو الرؤيا أو العلامة؛ فانه دون معرفة الرسل في الرتبة، و مع ذلك لا يسمى هذا علم الغيب حقيقة؛ فانه إنما حصل باعلام من الله لا بالاستقلال.[١] .

النوع الثاني: هو الأخبار و العلوم التي قضى الله إيحاءها إلى نبي من الأنبياء فهي أيضا مما لا تستطيع المسترقة استراقه؛ فان الله ينزله مع كمال الحراسة. يقول تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾[٢]

روى الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير[٣] أنه قال: «أربعة حفظة من الملائكة»[٤].

و يقول القرطبي: «يعني ملائكة يحفظونه من أن يقرب منه شيطان، فيحفظ الوحي من استراق الشياطين و الإلقاء إلى الكهنة»[٥].

و يقول ابن كثير: أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله، و لهذا قال تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾[٦] »[٧] .

---

(١) أنظر: تفسير أبي السعود ٥/٤٠٩، و رسائل ابن عابدين ٢/٣١١ و ما بعدها.

(٢) الجن : ٢٧.

(٣) هو سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، التابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، و هو حبشي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس و ابن عمر رضي الله عنهم، و لما أتى أهل الكوفة ابن عباس رضي الله عنهما يستفتونه قال: أ تسألونني و فيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا، قال الإمام أحمد بن حنبل: «قتل الحجاج سعيدا و ما على وجه الأرض أحد إلا و هو مفتقر إلى علمه». قتله الحجاج حينما خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٤٥ هـ ، و توفي شهيدا سنة: ٩٥ هـ ، أنظر: الأعلام: ٣/٩٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩/

(٥) القرطبي: ١٩/٢٩.

(٦) الجن : ٢٨.

(٧) تفسير ابن كثير ٤/٦٧٨.

فهذه الآية الكريمة تؤكد حراسة الوحي إلى الأنبياء حراسة شديدة لا تستطيع المسترقة استراق حرف منه.

و يزيد هذا المعنى تاكيدا ما نزل بخصوص الوحي المنزل على رسول الله محمد ﷺ من الآيات الكريمة ردا على افتراءات المشركين في شأن الوحي بأنه من قبيل أخبار الكهان مرة، أو بأنه من قبيل الشعر مرة ثانية، أو بأنه من كلام المجانين مرة ثالثة.

يقول تعالى: ﴿ وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (١)

يقول القرطبي: « فأما الوحي فلا تسمع شيئا منه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (٢)

لأن الأنبياء يرسلون للدعوة إلى الحق و التمييز بينه و بين الباطل فلو استطاع المسترق من الشياطين حرفا من الوحي لاختلط الأمر و اشتبه فيفوت الغرض من الرسالة.

و يقول تعالى في معرض الرد على افتراء المشركين: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَ مَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ وَ لَقَدْ رَءَاهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَنٍ رَّجِيمٍ﴾ (٣)

فكما تفيد هذه الآيات إبطال مزاعم المشركين في شأن القرآن من ناحية، كذلك تفيد عدم تمكن الشياطين من استراق حرف منه من ناحية أخرى؛ لأن قوة جبرئيل عليه السلام و أمانته تمنعان استراقهم، فانه لو تمكنوا منه ما كان صالحا و قويا و أمينا لتبليغ الوحي فيلزم خلاف ما تثبته هذه الآيات في حقه من صفات و خصائص، كما هو الظاهر.

و قد ذكر غير واحد من المفسرين أن جبرئيل عليه السلام له دور أكبر في إنزال العذاب على الأمم المكذبين بأنبيائهم، مثل قوم ثمود و قوم عاد و قوم لوط مما يدل على عظم قدرته و شدة طاقته. (٤)

فأمين الوحي جبرئيل عليه السلام قوي يقدر تبليغ الوحي إلى النبي ﷺ على أتم

---

(١) الشعراء : ٢٠ - ٢٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/١٠.

(٣) التكوير : ١٩ - ٢٥.

(٤) أنظر: الكشاف للزمخشري ٢٨/٤.

الوجه بمفرده و مع ذلك يرافقه الحفظة من الملائكة، يحرسونه من بين يديه و من خلفه أن يتشبه به الشيطان على صورة الملك.[١]

ثم يرسل الشهب لو حاول المسترق زيادة في حراسة الوحي، و تعظيما لشأنه.

و هذه الحراسة الشديدة كانت لجميع ما أنزل الله من وحيه على أنبيائه و رسله، ولكن شددت و غلظت فيها حينما بعث النبي الخاتم محمد ﷺ حسما لأمر الشياطين وتخليطهم لتكون الآية أبين و الحجة أقطع - كما حققنا سابقا.

النوع الثالث:

هو من الأمور الغيبية التي قضى الله أمرها في السماء و وكل لتنفيذها ملائكته، و قد فصلناه فيما سبق حينما تكلمنا عن وظائفهم و مهماتهم في ضوء النصوص من الكتاب و السنة.[٢]

فهذه الأمور مما كان الملائكة يتفاوضونه فيما بينهم و يستخبرونه فيما بينهم حتى تنتهي إلى السماء الدنيا فحينئذ يسترق الشياطين المسترقة بعضها - كأنه واحد في المائة - على سبيل الخطفة، ثم يلقونه إلى أوليائهم الكهنة و السحرة، و هم يكذبون معه مائة كذبة.

و إليه الإشارة بقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ .

و بقوله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [٣]

و هذه الكهانة كانت فاشية في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ ، و كانت هذه الصناعة الباطلة منتشرة إلى درجة أنه كان لكل قبيلة كاهن أو عدة كهنة تستشيرهم القبيلة في كل أمر عظيم يحدث فيهم، و يعدون قولهم صادقا و حكمهم نافذا، فكان لهم منزلة و جاه بين الناس، و كانت المرأة تشارك الرجل في الكهانة.[٤]

---

(١) قاله الضحاك رواه ابن جرير، أنظر: الإتقان للسيوطي١/ ١٢١، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.

(٢) أنظر: ص.... من هذه الرسالة.

(٣) الحجر: ١٨.

(٤) ينظر للتوسع الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٣٠٢. و المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٦/ ٧٦٤ و ما بعدها.

و لكنها بطلت و زالت عن ساحة الوجود ببركة مبعث النبي الخاتم محمد ﷺ، وحفظا لرسالته و تكميلا لرحمة الله على هذه الأمة المحمدية - على صاحبها أفضل صلاة و سلام - و ما بقيت إلا كالخطفة و السرقة فلا يستطيع الشياطين المردة الدنو من الملأ الأعلى لكمال حراستها؛ فإن حاول واحد منهم استراق شيء من أخبار السماء مع الخوف الشديد كانت عاقبته سيئة جدا، فإن الله يرسل عليه شهابا ثاقبا، أى قطعة ملتهبة من النار يقتله أو يخبله، أى يفسد أعضاءه و يشوهها.

و يدركه الشهاب قبل أن يلقيه إلى الكاهن و ربما يدركه بعد إلقائه إليه و حينئذ تكون كلمته صادقة، و يظن الجاهلون بهذه الكلمة الصادقة أن جميع كلماته تكون كذلك مع أن الكلمة الصادقة بمثابة الواحد في المائة الكاذبة، أى يكون جميع ما يقوله كاذبا.

فما هي القيمة لكلمة واحدة صادقة مختلطة بكلمات كاذبة تفوق الحصر فهي مثل الكأس المملوء بسائل نجس العين، و فيه قطرة من الماء الطاهر، فكل واحد من ذوي العقل السليم يتيقن بنجاسة القطرة من الماء الطاهر أيضا لاختلاطها بالنجس العين اختلاطا يستحيل التمييز بين الطاهر و النجس.

و هو حال كلمة صادقة مغمورة في جنب كلمات كاذبة فوق الحصر فيستحيل تمييز كلمة صادقة من الكلمات الكاذبة، و من ثم بطلت الكهانة من رأسها،

و ورد الذم الشديد و الوعيد الغليظ في أحاديث كثيرة لمن يأتي الكهنة المرتزقة لاستخبار أمور الغيب باعتقاد أنه يعلمها سواء صدقة أم لم يصدقه.

يقول رسول الله ﷺ : « مَنْ أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[1] .

يقول بعض أهل العلم: «و الوعيد مرتب على مجيئه و سؤاله سواء صدقه أم لم يصدقه؛ لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال:[2]

---

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن حفصة زوجة النبي ﷺ، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، ٤/ ٢٢٣٠ .

(١) هو معاوية بن حكم السلمي، صحابي كان يسكن في بني سليم و ينزل المدينة، قال البخاري، له صحبة، يعد في أهل الحجاز، و روي عن النبي ﷺ أكثر من حديث. أنظر: الإصابة ٦/ ١١١، القسم الأول، حرف الميم.

قلت يا رسول الله: أمورا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان، قال: فلا تأتوا الكهان.»[١]. و لأنه إذا شك في خبره فقد شك أنه لا يعلم الغيب، و ذلك موجب للوعيد بل يجب عليه أن يقطع و يعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله.[٢]

و يقول ﷺ : «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -.[٣]

فتأمل في شدة الوعيد و قوته للآتي عند الكاهن لتصديقه فلا شك أنه بهذا العمل ينكر ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ من القرآن الكريم، فقد أكد في أكثر من موضع أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه و هو من خصائص الألوهية التي استأثر الله بعلمها لا يشاركه أحد فيه من خلقه.

و هو كفر بلا ريب يخرجه من ملة الإسلام لاعتقاده أن الكاهن يعلم الغيب أيضا بأي وجه كان».[٤]

و يقول رسول الله ﷺ : ليس منا من تطير أو تُطير أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، و من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -[٥]

و نحو ذلك مما يدل على أن إدعاء علم الغيب من أحد أيا كان كفر بما أنزل الله على رسوله و معارضة لما ثبت في الدين ضرورة من نفي علم الغيب من غير الله. و هذه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان ١٧٤٩/٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص: ٣٥٦. و فتح المجيد، ص: ٢٣٥.

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي ، كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، مع تحفة الأحوذي، ٤١٩/١، ١٣٥، و لفظه: «من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد». و نحوه أبو داود، كتاب الطب، باب في الحائض ٢٢٥/٤ - ٢٢٦، ٣٩٠٤. و ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض. أنظر: صحيح ابن ماجة، تاليف: الشيخ ناصر الدين الألباني ١٠٥/١، و قال: صحيح، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ، مكتب التربية العربي، الرياض.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص: ٣٥٨.

(٥) رواه البزار في مسنده عن عمران بن حسين باسناد حسن. أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي، كتاب الطب، باب في السحر و الكهانة و الطيرة، و غير ذلك. ١١٧/٣.

النصوص تثبت بالتأكيد أن المدعي لعلم الغيب من أولياء الشيطان و أعوانه، فإنه يعارض صريح الكتاب و السنة اعتقادا و عملا و ينازع رب العالمين في خصائصه من الكبرياء و العظمة و علم الغيب.

أما أولياء الرحمن فهم الذين يتبعون ما أمر الله به و رسوله ﷺ و يتقون مما نهى الله عنه و رسوله.

يقول ابن تيمية: «و جمع الفرق بينهما (أى بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان) اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ فانه هو الذي فرق الله به بين أوليائه السعداء و أعدائه الأشقياء و بين أوليائه أهل الجنة و أعدائه أهل النار و بين أوليائه أهل الهدى و الرشاد وبين أعدائه أهل الغي و الضلال و الفساد»[1].

و يقول بعض أهل العلم: و حسبك بحال الصحابة و التابعين، و هم سادات الأولياء، أ فكان عندهم من هذه الدعاوي و الشطحات شيء؟ لا و الله بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن كالصديق أبي بكر و كان عمر يسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته، و كان يمر بالآية في ورده بالليل فيمرض ليالي يعوده الناس، و كان تميم الداري[2] يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم إلا قليلا خوفا من النار ثم يقوم إلى صلاته.

و يكفيك في صفات الأولياء ما ذكر الله من صفاتهم من سورة الرعد و المؤمنون و الفرقان و الذاريات و الطور، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء و الأصفياء لا المدعون و المفترون.

و لقد عظم الضرر و اشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، ص: ١٥١، حققه و خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق.

(٢) هو تميم بن أوس بن خارجة، أبو رقية الداري، مشهور في الصحابة، كان نصرانيا و قدم المدينة فأسلم، و ذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة و الدجال، و حدث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر و عد ذلك من مناقبه، و كان كثير التهجد، توفي سنة: ٤٠ هـ. أنظر: الإصابة ١/١٩١، حرف التاء، القسم الأول.

المشركين و لبسوا بها على خفافيش البصائر. نسأل الله السلامة و العافية في الدنيا والآخرة.[١] .

و تكفي هذه النصوص من الكتاب و السنة و الأقوال و الآثار عن السلف الصالح للرد على الكهانة و لإبطالها و لمنع تعاطيها في المجتمع المسلم، حماية للتوحيد، و سدا للذرائع و الطرق المفضية إلى الشرك.

تنبيه مهم:

هناك كثير من أخبار الكهنة ليس لها علاقة بأخبار السماء بل هي من أخبار الأرض، مثل: وقوع حادث في بلد من نزول مطر أو نزول صاعقة فيعرفه أهل هذا البلد ولا يعرفه غيرهم، و هكذا وقع حادث في زمن ماض في بلد كذا فيعرفه أهل ذلك الجيل و لا يعرفه جيل المستقبل فمثل هذه الأمور لو أخبر بها الجني كاهنا فهو يحتمل الكذب والصدق، مثل أن يخبر بها أحد من البشر، لكن لو أخبر بها الإنسان أمكن تصديقه أو تكذيبه لتوفر الطرق للتثبت عن أخباره. أما بالنسبة للجن فالتمييز بين الصدق و الكذب متعسر لعدم معرفة أحوالهم الشخصية بالطرق المعهودة لدينا.

و الكهنة المرتزقة يخبرون بمثل هذه الأخبار في هذه الأيام و يدعون معرفة الغيب زورا و كذبا.

و هذا ليس مما نحن بصدده كما هو الظاهر.

---

(١) أنظر: تيسير العزيز الحميد، ص: ٣٦٢. و فتح المجيد، ص: ٢٣٩ - ٢٤٠.

الأمر الرابع في تحديد المنطقة التي كانت الشياطين تسترق منها.

لما امتنع ابليس اللعين من امتثال أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام أخرجه الله من الجنة و أمره بالهبوط إلى الأرض كما أمر آدم به كذلك بعد أكله من الشجرة، لكن الله تاب عليه و اجتباه؛ لأنه ندم على خطئه و استغفر الله، خلاف ابليس اللعين فطرده من رحمته و لعنه إلى أبد الآباد؛ لأنه ظل متكبرا و متعنتا على عصيانه.

فمنذ هبوطه إلى الأرض أصبح من الملأ الأسفل مثل الإنس و حرم من الصعود إلى الملأ الأعلى.

يقول تعالى: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١)

فالآية تدل صراحة على أن الأرض أصبحت مستقرا لكل من الإنس و الجن و متاعا إلى الوقت المعلوم، لكن الله عزوجل أعطى للجن من القدرة على القيام بأمور شاقة و غريبة ما لم يعطها للإنس، فلهم القدرة على الطيران في الهواء و على اتخاذ المقاعد في جو الفضاء لاستراق السمع ، و من هذه المنطقة - منطقة الفضاء - كانوا يسترقون السمع حينما يتفاوض الملائكة.

و الدليل على تحديد هذه المنطقة الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان - و هو السحاب - فتذكر الأمر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه إلى الكهان فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم» (٢).

فهذا الحديث يحدد المنطقة التي يسترقون منها فحينما ينزل الملائكة إلى منطقة السحاب و فيها يتكلمون من أخبار السماء يحاول الشياطين استراق شيء منها.

أما ورود لفظ السماء في القرآن الكريم فيطلق على السحاب كثيرا، كما يطلق على السماوات السبع التي لها أبواب كما وردت بها الأحاديث الكثيرة.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ (٣)

---

(١) البقرة : ٣٦.

(٢) كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة ٣/ ١١٧٥ ، ٣٠٣٨.

(٣) البقرة: ٢٢.

و مثل قوله تعالى: ﴿ وَ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [١]

و مثل قوله تعالى تعالى: ﴿ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ [٢]

و مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [٣] . و غير ذلك كثير في استعمال لفظ السماء بمعنى السحاب.

و أما ما ورد من لفظ السماء في الأحاديث الشريفة التي تبين استراق المسترقة منه، و التي تبدو أن المراد بها السماء الدنيا التي هي أقرب إلى الأرض فلا إشكال أيضا من وجوه:

أولا: أن هذه الأحاديث لا تنص على أن مقاعدهم كانت مجاورة لهذه السماء الدنيا و إنما تثبت استراقهم مما يدور بين الملأ الأعلى، و من الممكن أن أعطاهم القدرة على استماعهم من مسافة بعيدة، و هو على كل شيء قدير.

فنحن اليوم نسمع صوت المتكلم الذي يتكلم في بلد بعيد جدا أو نشاهد صورته بواسطة أجهزة الراديو و التلفزيون على الرغم من المسافات الطويلة بين المتكلم و بين السامع و المشاهد، فلا وجه لإنكار شيء بدون دليل قاطع.

ثانيا: أن تلك الأحاديث ليست صريحة في أن مسترقة السمع يسترقون حينما تتفاوض الملائكة في السماء الدنيا التي هي أقرب إلى الأرض بل تلك الأحاديث مجملة، و هذا الحديث الذي ذكرناه آنفا يفصلها و يوضح المعنى المراد بها.

و إلى هذا الجمع بين الأحاديث أشار الحافظ ابن حجر في الفتح[٤] و اختاره غير واحد من المفسرين[٥] و هو راجح عندي. و الله أعلم.

---

(١) البقرة : ١٦٤.

(٢) الأنعام : ٦.

(٣) الأنفال : ١١.

(٤) أنظر: الجزء ١٠ و الصفحة ٢٢٢.

(٥) مثل الشيخ ثناء الله الأمرتسري في تفسيره المعروف بالتفسير المظهري (أردية) ١٢٧/١٤، ندوة المصنفين - دلهي ١٤٠٣ هـ . و الشيخ المفتي محمد شفيع الباكستاني في تفسيره معارف القرآن (أردية) ٨/ ٥٨٠، إدارة المعارف - باكستان، ١٣٩٩ هـ .

الرد على شبه مثارة في هذه المناسبة:

في هذا المقام تثار اعتراضات لغرض الطعن في الرمي بالشهب، فيجب ذكرها والرد عليها:

ومنها:

يقول الإمام الرازي: فان قيل: جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها واستمرارها و جعلها رجوما للشياطين و رميهم بها يقتضي زوالها، و الجمع بينهما متناقض.

قلنا: ليس معنى رجم الشياطين بها هو أنهم يرمون بأجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها وتلك الشعل هي الشهب، و ما ذاك إلا قبس يؤخذ من نار و النار باقية»[(١)].

ومنها:

أن انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة، قالوا: إن الأرض إذا سخنت بالشمس إرتفع منها بخار يابس و إذا بلغ التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب.

و الجواب من هذه الشبهة إنا لا ننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ لأسباب أخر إلا أن ذلك لا ينافي أنها بعد مبعث النبي عليه السلام قد توجد بسبب آخر، و هو دفع الجن و زجرهم.

يروى أنه قيل للزهري: أكان يرمى في الجاهلية؟ قال: نعم. قيل: أ فرأيت قوله تعالى: ﴿ و أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ قال: «غلظت و شدد أمرها حين بعث النبي ﷺ»[(٢)].

أقول: قد تقدم أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعثه ﷺ لدفع الجن وزجرهم أيضا.[(٣)]

ومنها:

أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحدا و ألفا من جنسهم يسترقون السمع

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/٥٩- ٦٠

(٢) أنظر: تفسير الرازي ٣٠/٦١.

(٣) أنظر: ص: ٢٢٠ من هذه الرسالة.

فيحترقون ثم إنهم مع ذلك يعودون؟ لمثل صنيعهم فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرة ومرارا وألفا امتنع أن يعود إليه من غير فائدة.

و الجواب عنها أنه إذا جاء القدر عمى البصر، فإذا قضى الله على طائفة منها الحرق لطغيانها و ضلالتها قيض لها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها، تقدم على العمل المفضي إلى الهلاك و الدمار والبوار.[١]

و هذا مشاهد في شواذ الناس إذا اعتادوا عادة خبيثة فلا ينزجرون عنها على الرغم من إيقاع العذاب بشتى الأنواع عليهم.

ومنها:

أن الشياطين مخلوقون من النار و النار لا تحرق النار بل تقويها فكيف يعقل أن يقال: إن الشياطين زجروا من استراق السمع بهذه الشهب؟

الجواب أن النار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأقوى يبطل الأضعف.[٢]

أقول: إن قول الإمام ظاهر في أن الشياطين نار صرفة و ليس كذلك ، بل الحق أنهم يغلب عليهم العنصر الناري و قد حصل لهم بالتركيب - و لو مع غلبة هذا العنصر - ما ليس للنار الصرفة و هو ظاهر.[٣]

ومنها:

أن هذا القذف لأجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول ﷺ ؟

و الجواب أنه إنما دام لأنه عليه الصلاة السلام أخبر ببطلان الكهانة فلو لم يدم هذا العذاب لعادت الكهانة، وذلك يقدح في خبر الرسول عليه السلام عن بطلان الكهانة.[٤]

و أقول: و له وجه ثاني أيضا و هو دوام استمرار النبوة للرسول ﷺ؛ لأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده، و قد تقدم نحو ذلك.

---

(١) المرجع السابق: ٣٠/٦١.

(٢) نفس المرجع السابق. ص: ٦١-٦٢.

(٣) أنظر: روح المعاني للآلوسي ١٤/٢٧.

(٤) التفسير الكبير ٣٠/٦١-٦٢، و قد ذكر الإمام شبهات أخرى تركناها لعدم الحاجة إلى ذكرها؛ فإنها تندفع بما قررناه في الماضي.

ثانيا في إبطال صناعة التنجيم

تمهيد

قد أشرنا فيما سبق حينما تكلمنا في مبحث الرد على عبادة الأصنام إلى أن إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام أرسل إلى قوم منجمين كانوا يعتقدون بتأثير الكواكب و النجوم في الكائنات السفلية بوصف كونها مدبرات و أربابا لها من دون الله.

فأتاهم ابراهيم عليه السلام للرد على عبادة الأصنام من حيث كانوا يعتقدون فنظر نظرة في النجوم على سبيل التعريض، و قال: ﴿إني سقيم﴾ كذلك ليتركوه وحيدا لسبب مرضه فيجد فرصة لكسر الأصنام لعله يرشد قومه إلى التوحيد حينما يرون عجز معبوداتهم عيانا عن دفاعهم عن أنفسهم فضلا عن غيرهم، فكان نظره عليه السلام في النجوم و قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ كلاهما من المعاريض التي يفهم المخاطب معنى و يريد المتكلم معنى آخر، كما وضحناه.

و ما كان نظره في النجوم باعتقاده بصدق أحكام النجوم مثل قومه و لكن المشغوفين بها ظنوا إلى نظرته فيها أنه كان يعتقدها.

و لا شك أن هذا الزعم من قلب الموازين و نسبة شيء إلى إنسان هو بريء منه وافتراء عليه، و في الحقيقة جهل بمقام النبوة و الأنبياء؛ فان التنجيم يؤدي إلى الشرك الأكبر، و دور النبي ينحصر في إبطاله بجميع أنواعه و إقامة دولة التوحيد.

فكيف يتجرأ إنسان بنسبة شيء هو صريح الشرك إلى النبي العظيم الذي يعد إمام الحنفاء و توصف ملته بالحنيفية التي أمر الرسل كلهم بعده باتباعها.

و من ثم دعت الحاجة إلى توضيح صناعة التنجيم و منافاته لدعوة جميع الأنبياء والمرسلين، مع ذكر ما هو صحيح من علومها.

تعريفه:

قد ذكرناه سابقا و مع ذلك نرى إعادته في هذا المقام لاستحضاره في الذهن فنقول:

١-: التنجيم هو النظر في النجوم لمعرفة الحوادث المستقبلة الأرضية، كأوقات هبوب الرياح، و مجيء المطر، و ظهور البرد و الحر، و لمعرفة السعد و النحس، و الحياة والموت، و نحوها، باعتقاد أن لها تأثيرا في السفليات، و أنها تجري على قضايا

موجباتها.[١]

هذا هو معنى التنجيم عند المنجمين، و سيأتي الكلام عما يحويه من عقائد باطلة منافية للتوحيد مع الرد عليها بالتفصيل.

٢-: و يزيد التعريف وضوحا ما ذكره البعض بقوله: «هو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها، و هي أوضاع الأفلاك و الكواكب من المقابلة والمقارنة و التثليث و التسديس و التربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون، والفساد من أحوال الجو و المعادن و النبات و الحيوان»[٢].[٣]

---

(١) أشرنا فيما سبق إلى مراجعه فلتراجع هناك.

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ١/٣٣٧.

(٣) وردت في التعريف المذكور ألفاظ اصطلاحية أريد توضيحها بايجاز ليكون القاري على بصيرة.
الفلك عند أهل الهيئة عبارة عن كرة متحركة بالذات على استدارة دائما، و قد يطلق الفلك على منطقة تلك الكرة مجازا، و قد يطلق على ما هو في حكم المنطقة، كالفلك الحامل لمركز الحامل. و على رأي الإسلاميين: الفلك عبارة عن جرم كروي الشكل يحيط بالعناصر. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٥/١١٣٤، خياط - بيروت.

الكوكب: عبارة جرم كروي مركوز في الفلك منير في الجملة، و سيأتي الفرق بين الكوكب و النجم، ثم هو على قسمين:

سيارة: و هي سبع: الشمس، و القمر، و يسميان بالنيرين، و الزحل، و المشتري، و المريخ، و الزهرة، و عطارد، و تسمى هذه الخمسة متحيرة لتحيرها في السير رجعة و استقامة، و نحوها. و يسمى الزحل و المشتري و المريخ بالعلوية، و يسمى الزهرة و عطارد بالسفليين.

و ثوابت: و هي ماعدا هذه السبع، سمى بها إما لثبات أوضاع بعضها مع بعض مع منطقة البروج، و إما لعدم احساس القدماء لحركاتها الخاصة البطيئة جدا، و تسمى بالبيابانية (أي الصحراوية) أيضا؛ لأنها يهتدي بها في الفلاة. الكشاف للتهانوي ٥/١٢٤٥.

و أما بقية الألفاظ فذكرها التهانوي عند ذكره معنى النظر فقال: النظر عند المنجمين كون الشيئن على وضع مخصوص في الفلك، فان اجتمع الكوكبان غير الشمس و القمر في جزء

===

.....

===

واحد من أجزاء فلك البروج[1] يسمى اقترانا و مقارنة، و إن كان أحد الكوكبين المجتمعين في جزء واحد شمسا و الآخر قمرا سمي اجتماعا، و إن لم يجتمع الكوكبان في جزء واحد فان كان البعد بيهما سدس الفلك بأن تكون مسافة ما بينهما ستين درجة من فلك البروج كأن يكون أحدهما في أول الحمل و الأخرى في أول الجوزاء يسمى نظر تسديس، و إن كان البعد بينهما ربع الفلك، أي مائة و عشرون درجة يسمى نظر التثليث، و إن كان البعد بينهما نصف الفلك، أي: مائة و ثمانين درجة يسمى مقابلة، و مقابلة النيرين، أي الشمس و القمر يسمى استقبالا، و نظرات القمر تسمى امتزاجات و ممازجات قمر، و مقارنة الكواكب بعقد القمر تسمى مجاسدة، و إن لم يكن البعد بينهما كذلك فلا نظر بينهما. أنظر: المرجع السابق ٦/ ١٣٨٥ - ١٣٨٦.

يظهر مما سبق أن الكوكب و النجم لفظان مترادفان، و هو المشهور بين المفسرين، لكن العلماء المحدثين يفرقون بينهما؛ إذ يقولون: الكواكب و الأقمار أجرام مظلمة بذاتها و طبيعتها، و لكنها تبدو لنا منيرة لأنها تعكس إلينا ضوء الشمس كالمرآة. أما النجوم فهي أجرام سماوية كروية أو شبه كروية متوهجة ذاتيا و شديدة الحرارة، و تشع الضوء المرئي و غير المرئي بجميع أمواجه. و يؤيدون قولهم بعدة آيات، مثل قوله تعالى: ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا ﴾ (يونس : ٥). و مثل قوله تعالى: ﴿ و جعل القمر فيهن نورا و جعل الشمس سراجا ﴾ (نوح : ١٦).

فاستعمل للشمس ضياء و سراجا، و للقمر نورا للإشارة إلى أن الشمس هي السراج المتوهج بذاتها، أما القمر فليس منيرا بذاته، بل يستمد ضوءه من الشمس. ينظر كتاب: "الكون و الإعجاز العلمي للقرآن " ص: ١٣٣ -١٣٤ ، ٢٥٠، للدكتور منصور محمد حسب النبي، دارالفكر العربي - القاهرة، ١٣٦٥ هـ .

---

(١) فلك البروج: جسم كروي مركزه مركز العالم يحيط به سطحان متوازيان مقعرهما يماس محدب فلك زحل، و محدبها يماس مقعر الفلك الأعظم، و يسمى بفلك الثوابت أيضا، لأن جميع الثوابت مركوزة فيه عند القدماء. الكشاف ٥/ ١١٣٥ - ١١٣٦. و البروج إثنا عشر عندهم: الحمل و الثور و الجوزاء و تسمى هذه الثلاث بروجا ربيعية، و السرطان و الأسد و السنبلة، و هذه بروج صيفية، و هذه الستة تسمى بروجات شمالية عالية. و الميزان و العقرب و القوس، و تسمى هذه بروجا خريفية، و الجدى و الدلو و الحوت، و تسمى بروجا شتوية، و هذه الستة تسمى بروجات جنوبية و منخفضة. أنظر: المرجع السابق ١/ ١١٢.

و أصل صناعة التنجيم حدث عندالصابئين[١] الذين أرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام، و هي أمة كبيرة من الأمم الكبار، و كان أكثر هذه الأمة فلاسفة يعتمدون على عقولهم و يعرضون الشرائع السماوية و أحكامها عليها فما وجدوه مطابقا لما هدى إليه عقولهم قبلوه، و ما وجدوه مخالفا له رفضوه، فأقحموا عقولهم في غير مجالها مما لا تستطيع معرفتها، فلا جرم ضلوا و أضلوا كثيرا، و أتوا بأشياء غريبة و متناقضة في وقت واحد.

يصور الشهرستاني [٢] تصويرا دقيقا لمذهب الصابئين، و هم أصحاب الروحانيات، و يقسمهم إلى صنفين: أصحاب الهياكل و أصحاب الأشخاص، فيقول:

---

(١) اختلف العلماء في تحديدالصابئين من هم؟ اختلافا كثيرا، لكن الذي يظهر من التأمل في الآيات التي ورد ذكرهم فيها، و هي مثل قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا و الذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ﴾ (البقرة: ٦٢) أنهم مثل اليهود و النصارى، ففيهم من الإيمان و العمل الصالح ما في اليهود و النصارى، لكن ليسوا كلهم مثل المؤمنين، و لا مثل المجوس و المشركين فالذين آمنوا منهم، و عملوا صالحا فهم الذين أثنى الله عليهم و وعد هم بالمغفرة و الجنة، و أما الذين ليسوا كذلك فهم خارجون عمن أثنى الله عليهم. من ثم أظهر الأقوال في تحديدهم ما قاله الحافظ ابن كثير: «و أظهر الأقوال - و الله أعلم - قول مجاهد و متابعيه و وهب بن منبه: «أنهم قوم ليسوا على دين اليهود و لا النصارى و لا المجوس و لا المشركين، و إنما هم باقون على فطرتهم، و لا دين مقرر لهم يتبعونه و تقتفونه، و لهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. (تفسيره ١/١٥٧). فهم - كما قال الإمام ابن تيمية -: كما كانت العرب عليه قبل أن يبتدع عمرو بن لحي الشرك وعبادة الأوثان، فكانوا جميعا حنفاء ثم انقسموا إلى مؤحدين و مشركين. أنظر: الرد على المنطقين، ص: ٤٥٤ - ٤٥٦، و ٢٨٦ - ٢٨٩.

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، من فلاسفة الإسلام، كان إماما في علم الكلام و أديان الأمم و مذاهب الفلاسفة، يلقب بالأفضل، ولد في شهرستان [بين نيسابور و خوارزم] سنة : ٤٧٩ هـ ، و توفي فيها سنة : ٥٤٨ هـ ، قال ياقوت في وصفه: الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، و لولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة، و الذب عنهم لكان الإمام. من أشهر كتبه: "الملل والنحل" في تاريخ الأديان، و نهاية الإقدام في علم الكلام، الإرشاد إلى عقائد العباد. الأعلام: ٦/٢١٥.

إعلم أن أصحاب الروحانيات لما عرفوا أن لا بد للإنسان من متوسط، و لا بد للمتوسط أن يرى فيتوجه إليه و يتقرب به و يستفاد منه، فزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع، فتعرفوا أولا: بيوتها و منازلها. و ثانيا: مطالعها و مغاربها. وثالثا: إتصالاتها على أشكال الموافقة و المخالفة مرتبة على طبائعها. و رابعا: تقسيم الأيام والليالي و الساعات عليها. و خامسا: تقدير الصور و الأشخاص و الأمصار عليها.

فعملوا الخواتيم، و تعلموا العزائم و الدعوات و عينوا ليوم زحل مثلا: يوم السبت، و راعوا فيه ساعته الأولى، و تختموا بخاتمه المعمول على صورته و هيئته و صنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، و تبخروا ببخوره الخاص، و دعوا بدعواته الخاصة به، و سألوا حاجتهم منه: الحاجة التي تستدعى من زحل، و من أفعاله و آثاره الخاصة به، فكان يقضى حاجتهم، و يحصل في الأكثر مرامهم.

و كذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه و ساعته، و جميع الإضافات التي ذكرنا إليه، و كذلك سائر الحاجات إلى الكواكب، و كانوا يسمونها أربابا، و الله تعالى هو رب الأرباب و إله الآلهة.

و منهم من جعل الشمس إله الآلهة و رب الأرباب.

و كانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، و يتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الله لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات، و نسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى أرواحنا، فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات، و هي تتصرف في أبدانها تدبيرا و تصريفا و تحريكا كما تتصرف في أبداننا، و لا شك من تقرب إلى شخص فقد تقرب إلى روحه.

ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضي منهم العجب، و هذه الطلسمات المذكورة في الكتب . و السحر و الكهانة و التنجيم و التعزيم و الخواتيم و الصور كلها من علومهم»[1].

ثم يصور الشهرستاني الصنف الثاني من الصابئين، و هم أصحاب الأشخاص فيقول: و أما أصحاب الأشخاص فقالوا: إذا كان لا بد من متوسط يتوسل به، و شفيع

---

(١) الملل و النحل للشهرستاني ٢/٤٩ - ٥٠. تحقيق: محمد سيد كيلاني.

يتشفع إليه، و الروحانيات و إن كانت هي الوسائل لكنا إذا لم نرها بالأبصار و لم نخاطبها بالألسن لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها، و لكن الهياكل قد ترى في(وقت و لا ترى في وقت؛ لأن لها طلوعا و أفولا، و ظهورا بالليل و خفاء بالنهار، فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه إليها، فلا بد لنا من صور و أشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا، نعكف عليها و نتوسل بها إلى الهياكل، فنتقرب بها إلى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات إلى الله فنعبدهم ﴿ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[1]

فاتخذوا أصناما أشخاصا على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابلة هيكل، و راعوا في ذلك جوهر الهيكل، أعني الجوهر الخاص به من الحديد و غيره، وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه، و راعوا في ذلك الزمان و الوقت والساعة و الدرجة و الدقيقة، و جميع الإضافات النجومية من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه، فتقربوا إليه في يومه و ساعته، و تبخروا بالبخور الخاص به، و تختموا بخاتمه، ولبسوا لباسه، و تضرعوا بدعائه، و عزموا بعزائمه و سألوا حاجتهم منه. فيقولون: إنه كان يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه الإضافات كلها.

و ذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم أنهم عبدة الكواكب و الأوثان، فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب؛ إذ قالوا بإلهيتها كما شرحنا، و أصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية، و قالوا: ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[2] »[3].

قد أسهب الشهرستاني في تصوير و حكاية عقائد الصابئين المنجمين الأوائل تجاه الكواكب و النجوم إسهابا كاملا يلقي الضوء الواضح على أهم الجوانب من الموضوع.

و أخذ المنجمون الأواخر تلك العقائد برمتها، و لا يخفى على الناظر ما فيها من الشرك و الخرافة، فيلزم الرد عليها.

و من الأحسن أن تستخلص العناصر مما ذكره الشهرستاني تجاه عقائدهم ثم

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) الملل و النحل ٢/ ٥٠ - ٥١.

نناقشهم فيها و نرد عليها بالنصوص، و هي تخلص إلى ما يلي:

أولا : التوسط في العبادة لله - سبحانه - لازم للحصول على مرضاته.

ثانيا: و هو لا يتحقق إلا باتخاذ قوى روحانية مقدسة عن المواد الجسمانية مفطورة على الطهارة و على التقديس و التسبيح، و هذه القوى هي الروحانيات المتمثلات في الكواكب، فهي أحياء ناطقة عاقلة مجردة عن المادة.

ثالثا: إن هذه الكواكب تدبر جميع الكائنات العنصرية التي هي تحتها و تتحكم في مسيرتها و تقدر لها جميع ما يتعلق بها من الأحوال و الحوادث، فكل هذه مرتبطة بتدبيرها و تصريفها حال كونها في أوضاع و أشكال مخصوصة.[1]

رابعا: إن هذه الكواكب لا ترى في كل وقت، فمست الحاجة إلى تصوير أشخاص و صور تناسبها طبيعة و صورة يمكن أن ترى في جميع الأوقات.

خامسا: أن هذه الكواكب تتطلب من عبادها اختيار وقت مناسب مع هيئة مناسبة و بخور مناسبة وقت العبادة.

سادسا: أن هذه الكواكب تقضي حوائج عبادها، و هذا يعني أنها أرباب مع الله تنفع وتضر، فلا بد من البقاء على عبادتها و العكوف عليها.

الرد على هذه العقائد الباطلة:

أما قولهم الأول: إن التوسط في العبادة لله لازم لحصول مرضاة الله، فقول باطل مناقض لدين جميع الأنبياء و المرسلين الذين جاءوا للدعوة إلى التوحيد و حاربوا الشرك بجميع أنواعه.

فعبادة الأصنام و الأوثان أكبر مظاهر الشرك عند جميع المشركين في كل زمان، وكانوا يعتقدون أن عبادة الأصنام هي وسيلة للتقرب إلى الله كما حكى القرآن عنهم في أكثر من موضع و فند هذه الخرافة و أبطلها بشدة و أوضح أنها لا تضر و لا تنفع شيئا، كما أكد أن الله لا يحتاج إلى إتخاذ وسائط و شفعاء في عبادته فهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، يسمع مناجاته و دعاءه، و يعلم جميع أحوال عبده، و يقدر على قضاء حاجاته؛ فانه هو رب العالم كله، و ليس له شريك في ملكه، بل كل شيء محتاج إليه

---

(١) العنصر الثاني و الثالث قد بسطهما الشهرستاني في الكتاب المذكور ٦/٢ - ٨.

ومربوب له. و قد بسطنا هذا الموضوع في إثبات تفرد الله بالربوبية، و هو يكفي للرد على هذه الخرافة الباطلة؛ فانها مبنية على فرض غير الله شريكا في تدبير الكون.[١]

أما قولهم الثاني: إن الكواكب هي هياكل قوى روحانية؛ فهي كأجسادنا بالنسبة لأرواحنا، فهي دعوى فارغة من أيّ دليل و برهان، بل هو هذيان كهذيان المجانين.

فان القوى الروحانية عندهم ملائكة في لسان الشرع. و قد بسطنا في مبحث صفات الملائكة و وظائفهم أن ما يقولون في شأن هذه القوى لا ينطبق على الملائكة عليهم السلام ألبتة.[٢]

أما قولهم: إن الكواكب حية مختارة ناطقة فهذا أصل معتقدات المنجمين المشركين، فاذا انهدم هذا الأصل انهدم جميع ما بنوا عليه بالضرورة.

فنقول أولا: كما قال الإمام الغزالي: «فمذهبهم في هذه المسألة مما لا ينكر إمكانه و لا تدعى استحالته؛ فان الله قادر على أن يخلق الحياة في كل جسم، فلا كبر الجسم يمنع من كونه حيا و لا كونه مستديرا، فان الشكل المخصوص ليس شرطا للحياة، إذ الحيوانات مع اختلاف أشكالها مشتركة في قبول الحياة، و لكنا ندعي عجزهم عن معرفة ذلك بدليل العقل، فان هذا إن كان صحيحا فلا يطلع عليه إلا الأنبياء - صلوات الله عليهم - بالهام من الله أو بوحي. و قياس العقل لا يدل عليه.[٣]

ونقول ثانيا: إن النصوص الدالة على تسخير السماء و الأرض و الشمس و القمر و جميع الكواكب بما فيها من السيارة والثابتة، كلها تدل دلالة واضحة على أنها مقهورة مدبرة بتدبير خالقها، ليس في وسعها أن تغير عملها و وظيفتها المحددة من عند أنفسها، و النصوص في هذا الصدد كثيرة. منها:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ ﴾[٤]

و قوله تعالى: وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الأَمْرُ

---

(١) نراجع ص: ٢٧-٣٠، مبحث توحيد الربوبية من هذه الرسالة.

(٢) نراجع أيضا ص: ٩٩ و ما بعدها من هذه الرسالة.

(٣) تهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دينا، ص: ٢١٨.

(٤) الرعد : ٢.

تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١]

و قوله تعالى: ﴿ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾[٢]

وَ قوله تعالى: ﴿ وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٣]

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن هذه الأجرام العلوية جماد لا اختيار لها و لا إرادة في سيرها و حركتها، بل كلها يتحرك في مداره المحدد بحسن النظام و الإنسجام بمشية الله عزوجل و إرادته القاهرة و حكمته الباهرة، و لا يستطيع الخروج منه.

يقول ابن حزم: «و برهان صحة الحكم بأن الفلك و النجوم لا تعقل أصلا؛ هو أن حركتها أبدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها، و هذه صفة الجماد المدبر الذي لا اختيار له»[٤].

و يقول ابن القيم: «و من العجب جواب بعض الأحكاميين عنها[٥] بأن الكواكب حيوانات ناطقة فاعلة بالقصد و الإختيار فلذلك تصدر عنها الأفعال المختلفة، و هذا مكابرة من هؤلاء ظاهرة؛ فإن دلائل التسخير و الاضطرار عليها من لزومها حركة لا سبيل لها إلى الخروج عنها، و لزومها موضعا من الفلك لا تتمكن الخروج عنه و اطراد سيرها على وجه مخصوص لا تفارقه ألبتة أبين دليل على أنها مسخرة مقهورة على حركاتها، محركة بتحريك قاهر، لا متحركة بارادتها و اختيارها، كما قال تعالى: ﴿ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ و النُّجُومَ مَسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَ لا لَهُ الْخَلْقُ وَ الأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٦] »[٧]

---

(١) الأعراف : ٥٤.

(٢) إبراهيم : ٣٣.

(٣) يس : ٣٩ - ٤٠.

(٤) الفصل ١٤٧/٥.

(٥) إشارة إلى زعمهم أن اختلاف أثر الكواكب يستند إلى حياتها.

(٦) الأعراف : ٥٤.

(٧) مفتاح دار السعادة ١٢٦/٢.

ونقول ثالثا: إن العلم الحديث توصل بقانون الجاذبية[1] أن الأجرام السماوية تتحرك في أفلاكها و تظل في حركتها مستمرة ما دامت تكون بعيدة من الكرة الأرضية؛ لأن جاذبية الأرض لا يصل أثرها إلى هذه الأجرام؛ فإذا لم يكن عائق عن حركتها و هو جذب جسم آخر له تظل متحركة بالدوام.

و قد أثبتت التجارب العلمية صحة ذلك القانون حيث تطلق الأقمار الصناعية في مداراتها التي تبعد عن منطقة الكرة الأرضية، و تدور فيها متحركة باستمرار على الرغم من كون حركتها قسرية لا إرادية، فليس لها أنفس حية و لا قوى عاقلة مختارة، كما يزعمه الصابئون و أمثالهم.

الحق إن العلم الحديث جعل من قولهم: «بأنها حية مختارة عاقلة» خرافة، بينما يتفق مفهوم هذه الأجرام العلوية في القرآن الكريم مع نتائج العلم الحديث.

فقد ذكرنا آيات عديدة تبين أنها مقهورة مسخرة بتسخير رب هذه الكائنات، و ليست في وسعها أن تخرج عن أداء مهماتها من عند أنفسها، فالحق ما قاله القرآن الكريم، و ما توصل إليه العلم الحديث بتجاربه اليقينية المبنية على أدلة قاطعة.

و أما قول الصابئين فهو خرافة ناشئة عن أوهام خاطئة، ليس لها أيّ سند من دليل يعتمد عليه.

---

(١) هو قانون الجاذبية الذي اكتشفه إسحاق نيوتن الإنكليزي: أن المتحرك في الفضاء الكوني لا يتوقف عن الحركة ما لم يعقه شيء من الحركة. و إن قانون الجاذبية و قوانين الحركة القائمة عليها تثبت جميعا دوام الحركة في الجسم المتحرك في الفضاء الخالي من جاذبية أي جرم إلى أن يشاء الله. فهذه الأقمار الصناعية تدور في مداراتها بسرعة ٨ كم في الثانية تقريبا، و تعطي معلومات هامة عما يشتمل عليه الفضاء الكوني من الأشعة المختلفة، و تستخدم في مجالات مختلفة لنقل المعلومات الفضائية، و في دراسة الجو و الراديو و التلفزيون، و غير ذلك.
(أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٩٥ و ما بعدها، دار القلم و مؤسسة فرانكلين، باشراف محمد شفيق غربال.

الرد على العنصر الثالث: وهو ادعاؤهم بتأثير الكواكب في العالم السفلي.

فقد عرفنا من تعريف التنجيم أن الأوضاع الفلكية لها دخل في الحوادث الكونية كلها من المطر و الإنبات، و تكون السحاب و خلق الدواب و الإنسان و سعده ونحسه وحذقه و بلادته و حسنه و قبحه من الأمور الكثيرة، فلا ينفلت شيء منها من قبضة تقديرها و تصريفها.

فنتساءل كيف يكون التأثير: هل الكوكب وحده هو المؤثر؟ أو البرج وحده؟ أو الكوكب بشرط حصوله في البرج؟

يقول الإمام ابن القيم ردا على هذه الصور كلها: و الكل محال أما الأول و الثاني فانهما يوجبان دوام الأثر لكون المؤثر دائم الثبوت. و الثالث أيضا محال؛ لأنه لما اختلف أثر الكوكب بسبب اختلاف البرجين لزم أن تكون طبيعة كل برج مخالفة بالماهية لطبيعة البرج الثاني؛ إذ لو لم يكن كذلك كانت طبائع جميع البروج متساوية في تمام الماهية، فوجب أن يكون أثر الكوكب في جميع البروج أثرا واحدا؛ لأن الأشياء المتساوية في تمام الماهية يمتنع أن تستلزم لوازم مختلفة.

و لما كانت آثار كل كوكب واجبة الاختلاف بسبب اختلاف البروج لزم القطع بكون البروج مختلفة في الطبيعة و الماهية، و هذا يقتضي كون الفلك مركبا لا بسيطا و قد قلتم أنتم و جميع الفلاسفة أن الفلك بسيط لا تركيب فيه»[1]

ثم نقول: من أين حصل لكم يا معاشر المنجمين معرفة تأثير الكواكب في هذه الكائنات السفلية، هل من دليل الحس و التجربة أو من دليل العقل أو من دليل النقل؟

أما دليل التجربة فهو منتف، فان حكم شيء على شيء بالتجربة لا يمكن إلا بحصول شيء على وتيرة واحدة مرتين على الأقل، و عمر الإنسان لا يكفي لحصول مثل هذه التجربة حتى ولو عمر إلى ألف سنة؛ لأن الوضع المعين و الشكل المخصوص للبروج و الكواكب من بين الأوضاع المختلفة لا يعودان إلا بعد آلاف من السنين عندهم.

فقيل: إنها لا تعود إلا بعد ست و ثلاثين ألف سنة. و قيل: بعد أربع و عشرين

---

(١) مفتاح دار السعادة ١٢٦/٢.

ألف سنة.[١]

يقول ابن حزم: «إن التجربة لا تصح إلا بتكرر كثير موثوق بدوامة تضطر النفوس إلى الإقرار به كاضطرارنا إلى الإقرار بأن الإنسان إن بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات، و إن أدخل يده في النار احترق، و لا يمكن هذا في القضاء بالنجوم؛ لأن النصب الدالة عندهم على الكائنات لا تعود إلا في عشرات الآلاف من السنين، لا سبيل إلى أن تصح فيها تجربة، و لا إلى أن تبقى دورة تراعي تكرار تلك الأدوار، و هذا برهان مقطوع به على بطلان دعواهم في صحة القضاء بدلائل النجوم»[٢].

فحصول التجربة في صناعة التنجيم مستحيل الوقوع من واقع أقوالهم و آرائهم، وهذا يكفي لإثبات دعوانا.

أما دليل العقل فهو منتف أيضا من وجوه:

أولا: أن العقل لا يستطيع التعرف على طبائع جميع البروج و الكواكب، و لا الإحاطة بجميع المؤثرات الفلكية.

فان المعرفة إما بالنظر و الرؤية إلى الأفلاك و الكواكب و هي متعذرة لكثرة الكواكب غير المرئية بسبب صغر حجمها أو بسبب غاية بعدها عن الرائي.

و أما آلات الرصد فهي لا تنفك عن نوع الخلل و الزلل في إعطاء جميع المعلومات الدقية تجاه الأجرام السماوية كما قرره عالم الفلكيات ابن الهيثم[٣] في رسالته، فقد ذكر فيها أقسام الخلل الواقع في آلات الرصد، و بين أن ذلك الخلل ليس في وسع الإنسان دفعه و إزالته»[٤].

---

(١) أنظر: الداعي إلى الإسلام لابن الأنباري النحوي، ص: ٢٦٤، دراسة و تحقيق: سيد حسين باغجوان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

(٢) الفصل ١٤٩/٥، و انظر: مقدمة ابن خلدون، ص : ٥٢٠، دار الفكر - بيروت.

(٣) هو محمد بن الحسن، أبو علي، مهندس كبير من أهل البصرة، يلقب ببطليموس الثاني، له تصانيف تزيد على سبعين ، من أشهر كتبه: كيفية الإظلال، الأشكال الهلالية، المرايا المحرقة، إرتفاعات الكواكب، شرح قانون أقليدس، و ترجمت عدة كتبه إلى اللغات الغربية، ولد سنة: ٣٥٤ هـ ، و توفي سنة : ٤٣٠ هـ . أنظر: الأعلام: ٨٣/٦ - ٨٤.

(٤) مفتاح السعادة ١٣٠/٢.

فالإنسان الحديث اكتشف علوما كثيرة في مجالات شتى لكن الإحاطة بجميع العلوم مستحيل لعجزه الفطري و قصوره الطبعي اللذين لا تنفكان عنه أبدا.

ثانيا: أن العقل الصريح ينكر أن جميع الأحوال في العالم السفلي حادثة من تأثير هذه الكواكب؛ فانه لا يرى أيّ علاقة بين كون الإنسان سعيدا أو شقيا، أو ذكيا أو بليدا، أو غنيا أو فقيرا و نحو ذلك. و بين هذه الكواكب و آثارها المشاهدة التي لا يمكن إنكارها.

يقول ابن القيم: «إن المعقول من تاثير هذه الكواكب في العالم السفلي هو أنها بحسب مساقط شعاعاتها تسخن هذا العالم أنواعا من السخنة، فأما تأثيراتها في حصول الأحوال النفسانية من الذكاء و البلادة و السعادة و الشقاوة و حسن الخلق و قبحه و الغنى و الفقر و الهم و السرور و اللذة و الألم،

فلو كان معلوما لكان طريقة علمه إما بالخبر الذي لا يجوز عليه الكذب، أو الحس الذي يشترك فيه الناس، أو ضرورة العقل و نظره، و شيء من هذا كله غير موجود ألبتة فالقول به باطل»[1].

ثالثا: الذي يدل على أحكامهم أنها وهمية و ظنية بل خرافية، ظهور كذبها في أكثر أحكامهم و تنبؤاتهم و تكهناتهم و لها شواهد كثيرة بكثرة لاتحصى، و نذكر بعضها على سبيل النموذج.

يقول ابن تيمية رحمه الله: و كذلك دعوى المدعي أن نجم النبي ﷺ كان بالعقرب و المريخ ، و أمته بالزهرة و أمثال ذلك، هو من أوضح الهذيان، المباينة لأحوال النبي ﷺ لما يدعونه من هذه الأحكام، فان من أوضح الكذب قولهم: إن المشتري يقتضي العلم و الدين و الزهرة تقتضي اللهو و اللعب.

و كل عاقل يعلم أن النصاري أعظم الملل جهلا و ضلالة و أبعدهم عن معرفة المعقول و المنقول و أكثرهم اشتغالا بالملاهي تعبدا.

و الفلاسفة متفقون كلهم على أنه ما قرع العالم ناموس أعظم من الناموس الذي جاء به محمد ﷺ و أمته أكمل عقلا و دينا و علما باتفاق الفلاسفة حتى فلاسفة اليهود

---

(١) المرجع السابق: ٢/ ١٣٠.

و النصارى، فانهم لا يرتابون في أن المسلمين أفضل عقلا و دينا.[١]

ثم يقول مستطردا: و لهذا لا تزال أحكامهم كاذبة حتى إن كبير الفلاسفة الذي يسمونه فيلسوف الإسلام يعقوب بن اسحاق الكندي عمل تسييرا لهذه الملة، زعم أنها تنقضي عام ثلاث و تسعين و ست مائة، و وافقهم على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل الذي للحروف التي في أوائل السور - و هي مع حذف التكرير أربعة عشر حرفا و حسابها في الجملة الكثيرة ست مائة و ثلاث و تسعين »[٢].

فالكذب في هذا الحكم ظاهر مكشوف؛ فان الأمة الإسلامية باقية حتى الآن و ستبقى إلى أن تقوم الساعة باذن الله، و ستكون الفئة المتمسكة بدينها ظاهرة و غالبة على جميع أهل الملل و النحل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، و لا يستطيع أحد إطفاء نور هذا الدين مهما بذل من الجهود.

و من تنبؤاتهم الكاذبة أنهم تنبؤا في سنة سبع و ثلاثين عام صفين أن الإمام على رضي الله عنه يقتل و يقهر جيشه أمام جيش أهل الشام، لكن التاريخ شاهد أن جيش علي رضي الله عنه انتصر على أهل الشام، و كاد أن يقضى عليهم، فاحتال جيش أهل الشام للتخلص بالحيلة التي وضعوها من نشر المصاحف على الرماح و الدعاء إلى ما فيها[٣] فالقصة معروفة.

ورابعا: أن كثيرا من الناس يصابون بالحادثة الكارثة فيموتون كلهم مع أن طوالع ولادتهم مختلفة بدون شك، فلو كان للطوالع أثر لما هلكوا جميعا في وقت واحد.[٤]

خامسا: أنه ليس دليل من العقل أن في السماء حملا و ثورا و حية و كلبا و ثعلبا و نحوها من الحيوانات كما سموا البروج بأسماء هذه الحيوانات، و لكن الذي يقال: إن هذه البروج تتراءى في وهم المتوهم شبيهة بهذه الحيوانات في الليل فسموها بأسمائها.[٥]

---

(١) مجموع الفتاوي ١٨٧/٣٥.

(٢) المرجع السابق ، ص: ١٨٩.

(٣) أنظر: المرجع السابق، ص: ١٧٨، و مفتاح السعادة ١٣٥/٢، و قد جمع الكتاب الأخير تنبؤاتهم الكثيرة الكاذبة، فمن أراد التوسع فليراجع إليه.

(٤) أنظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري، ص: ٥٩ - ٦٠، و مفتاح دار السعادة ١٣٢/٢.

(٥) أنظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي (محمود شكري) ٢٤١/٣، عنى بشرحه وتصحيحه و ضبطه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية - بيروت.

فهل من المعقول أن يحكم بسبب هذه الأمور الموهومة بالأحكام الواقعية، فقالوا: إن الصور السفلية مطيعة للصور العلوية، فالعقارب مطيعة لصور العقرب و الأفعى مطيعة لصور التنين، و كذا القول في السنبلة و الأسد، فهذا ليس إلا الهذيان و التخبط لعدم علاقة و ارتباط عقلي بين الأمر الموهوم و الأمر الواقعي.[١]

أما الدليل من النقل فمن المستحيل أن يؤيد مثل هذه الصناعة الخرافية التي فيها كذب أضعاف أضعاف ما فيه من الصدق.

و لكن من العجب العجاب أن تجد بعضا من المشغوفين بهذه الصناعة، يؤول النصوص تأويلا بعيدا أو ركيكا و يحملها ما لا تحتمله من المعاني الفاسدة المخالفة لصريح النصوص، و أذكر بعضا من تأويلاتهم الباطلة إكتفاء به.

و قد حكى عنهم الرازي هذه التأويلات[٢]:

أحدها: أن كثيرا من آيات القرآن يدل على تعظيم الكواكب: فمنها قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾[٣]

و أكثر المفسرين على أن المراد هو الكواكب التي تسير راجعة تارة و مستقيمة أخرى.

و منها قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[٤] و قد صرح الله بتعظيم هذا القسم، و ذلك يدل على غاية جلالة مواقع النجوم و نهاية شرفها.

ثانيها: أن كثيرا من الآيات يدل على أن لهذه الكواكب تأثيرا في هذا العالم، كقوله تعالى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[٥]

---

(١) أنظر: مفتاح دار السعادة ١٢٩/٢.

(٢) نقلا من كتاب مفتاح السعادة لابن القيم ١٨٦/٢ - ١٨٨، و روح المعاني للآلوسي ١٠٧/٢٣-١٠٨.

(٣) التكوير : ١٦.

(٤) الواقعة : ٧٥ - ٧٦.

(٥) النازعات : ٥.

و كقوله تعالى: ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ [١] قال بعضهم: المراد هذه الكواكب.

ثالثها: كثير من الآيات على أنه تعالى وضع حركات هذه الأجرام على وجه ينتفع بها في مصالح العالم، فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ ﴾ [٢]

و قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَّ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَّ قَمَراً مُّنِيراً ﴾ [٣]

رابعها: أن الله تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام أنه تمسك بعلوم النجوم، فقال: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [٤]

هذه نماذج من تأويلات المنجمين، يظهر فيها تعسف ممقوت في إرادة ما يؤيد مزاعمهم، و محاولة فاشلة في تحميل النصوص ما لا تحتمله، كما سيظهر عن قريب إن شاء الله.

أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾ الآية. فلا نعلم أن هناك قسما بالنجوم، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه «أن المراد بالخنس بقر الوحش»، و هي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، و اختاره ابن جبير.[٥]

و إن سلم أنه قسم بالنجوم كما هو مذهب الجمهور؛ فليس دليلا على تأثيرها، فقد أقسم الله في كتابه بكثير من مخلوقاته غير النجوم، مثل الليل و النهار، و الضحى والولد و الفجر و ليال عشر و الشفع و الوتر و السماء و الأرض و اليوم الموعود و شاهد ومشهود و المرسلات و العاصفات و الصافات و التين و الزيتون و غير ذلك فلو كان الإقسام بشيء دليلا على تأثيره لزم أن يكون جميع ما أقسم به مؤثرا، و هم لا يقولون به، فالاستدلال باطل.[٦]

---

(١) الذاريات : ٤.

(٢) يونس : ٥.

(٣) الفرقان : ٦١.

(٤) الصافات : ٨٩.

(٥) أنظر: الدر المنثور للسيوطي ٨/ ٤٣٢، و ابن كثير ٤/ ٧٥٢ - ٧٥٣.

(٦) ينظر مفتاح دار السعادة ٢/ ١٩٠، و روح المعاني ٢٣/ ١٠٩.

و كذلك استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ فهو أيضا مثل السابق؛ فان أريد بها النجوم المعروفة فليس الإقسام بها دليلا على تأثيرها، و إن أريد بها غيره كما روي عن غير واحد أن مواقع النجوم هي منازل القرآن و نجومه التي نزلت على رسول الله ﷺ في مدة ثلاث و عشرين سنة.[١]

و لا ننكر أن القسم بالنجوم و غيرها يقتضي تعظيمها و شرف مكانتها، لا من حيث زعمهم، بل من حيث إنها آيات دالة على كمال قدرة الله و جلال عظمته و إتقان صنعته، و بالمعنى الآخر - على تفرده بالربوبية و تفرده بالألوهية فيجب على الإنسان أن يعبده وحده خشوعا و خضوعا، و خوفا و رجاء و توكلا و إنابة و دعاء و استغاثة، و نحو ذلك من الأمور.

يقول ابن تيمية: و أما إقسام الله بالنجوم كما أقسم بها في قوله: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾ الآية. فهو كاقسامه بغير ذلك عن مخلوقاته، كما أقسم بالليل و النهار و الشمس و القمر و غير ذلك، يقتضي تعظيم قدر المقسم به، و التنبيه على ما فيه من الآيات و العبرة و المنفعة للناس و الإنعام عليهم و غير ذلك، و لا يوجب أن تتعلق القلوب به، أو يظن أنه المسعد و المنحس، كما لا يظن ذلك في ﴿ وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [٢] و في ﴿ وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴾ [٣] و في ﴿وَالطُّورِ وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ [٤] و أمثال ذلك.

و اعتقاد المعتقد أن نجما من النجوم السبعة هو المتولى لسعده و نحسه اعتقاد فاسد، و أن المعتقد أنه هو المدبر له فهو كافر، و كذلك إن انضم إلى ذلك دعاؤه والإستعانة به كان كفرا و شركا محضا »[٥].

أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ الآية. فلم يقل أحد من السلف

---

(١) أنظر: المراجع السابقة: مفتاح دار السعادة ١٩٢/٢، و روح المعاني ١٠٩/٢٣.

(٢) الليل: ١ -٢.

(٣) الذاريات : ١ - ٢.

(٤) الطور : ١ - ٢.

(٥) مجموع الفتاوى ١٧٧/٣٥.

بأن المراد هنا كواكب و نجوم، بل اتفقوا على أن المراد ملائكة يقومون بتدبير شئون الكون كما بسطناه في موضعه، و لم ينقل عنهم أيّ خلاف في ذلك.[١] .

و كذلك المراد بالمقسمات أيضا ملائكة بالإتفاق.

و أما الإستدلال بقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إلا بِالْحَقِّ ﴾ [٢]

فليس لهم فيه حجة، بل عليهم حجة؛ فان الله ما ذكر هنا من الأمور التي يزعمونها حسب أحكام التنجيم من السعد و النحس و الحياة و الموت و الخبر و الشر و نحو ذلك، بل ذكر المنافع المحسوسة و المشهورة التي لا ينكرها أحد.

فلو كانت أحكام التنجيم صحيحة فكان الأليق ذكرها لتكون العبرة أعظم و المنة أوضح فان السياق يقتضي ذلك.[٣] .

و أما الاستدلال بقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ فقد ذكرنا المعنى الصحيح في سياق قصة ابراهيم عليه حين الكلام عن الرد على عبادة الأصنام، و بينا هناك أن هذه الآية من معاريض الأفعال.[٤]

و زعم أنه تمسك بعلم النجوم الذي يؤدي إلى الشرك جهل عظيم بمقام النبي العظيم إمام الحنفاء الذي وقف حياته لدحض عبادة الأصنام، و عبادة الكواكب و النجوم، فقد جاءت قصة مناظرته الحكيمة لعباد النجوم و الكواكب في الآيات: ﴿ وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ... إلى ... ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٥].

فكيف يظن المنجم أنه تمسك بهذه الصناعة الخرافية الشركية، و هذا بهتان عظيم.

هذه هي بعض التأويلات البعيدة للنصوص في غير مجالها، فقد اتضح بعد ذكر معانيها الصحيحة أنها لا تؤيد مزاعم النجومين مطلقا بل ترد عليها في الحقيقة.

---

(١) أنظر: مفتاح دار السعادة ١٩٣/٢، و روح المعاني ١٠٩/٢٣.

(٢) يونس : ٥.

(٣) أنظر: مفتاح دار السعادة ١٩٤/٢، و روح المعاني ١٠٩/٢٣.

(٤) ينظر ص : ٥٩ - ٦٠ من هذه الرسالة.

(٥) الأنعام : ٧٥ - ٧٩.

الرد على استدلالهم بالأحاديث:

تجرأ المنجمون على تأويل الأحاديث بما يؤيدهم في صناعتهم كما تجرأواعلى تأويل الآيات لنفس الهدف.

و نذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي تأولوها وفق مزاعمهم، أما الأحاديث الضعيفة و الموضوعة فلا حاجة إلى ذكرها لبطلانها من أصلها.

١- استدلوا بالحديث الذي فيه: لما مات ولده إبراهيم عليه السلام إنكسفت الشمس ثم إن الناس قالوا إنما انكسفت الشمس لموت ابراهيم فقال ﷺ : «إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولالحياته فاذا رأيتموها فادعوا الله وصلوا»[١]

٢- استدلوا بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر القدر فأمسكوا و إذا ذكر أصحابي فامسكوا و إذا ذكر النجوم فامسكوا»[٢]

الردعليهم:

هذا الحديث لا يدل على ما يزعمون، بل يدل على نقيضه؛ فانه يصرح أنهما آيتان من آيات الله و ليسا بربين و لا إلهين، ففيه إشارة إلى نفي قوة التصرف و التدبير عنهما، و إلى أنهما لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياة أحد.

نعم قد يكون كسوف الشمس و القمر سببا لحادث في الأرض من عذاب يقتضي موتا أو غيره، و من ثم أمر النبي ﷺ عند الكسوف ما يدفع هذا العذاب من ذكر الله و الصلاة و العتاقة و الصدقة؛ فان هذه الأمور تدفع العذاب باذن الله.[٣]

و مما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن حديث كسوف الشمس و القمر لا ينفي أن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي مسعود رضي الله عنه، كتاب الكسوف، باب لاتنكسف الشمس لموت أحد و لحياته: ٣٥٩/١ - ٣٦٠، ١٠٠٨، و مسلم بنحوه في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة) ٦٢٨/٢ ، ٩١١.

(٢) رواه الطبراني في الكبير بسند حسن،. أنظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٢٠٢/٧، و سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٣٥/١ ,٤٢، و قال: روي بطرق عديدة، و كلها ضعيفة الإسناد، و لكن بعضها يشد بعضا.

(٣) أنظر: مجموع الفتاوى ١٧٤/٣٥ - ١٧٥، و مفتاح دار السعادة ٢٠٩/٢ - ٢١٠.

يكون له وقت محدد فيمكن المعرفة بما مضى من الكسوف و ما يستقبل كما يمكن المعرفة من الأهلة و ما يستقبل، فان كل ذلك بحساب، فمن المعروف أن كسوف الشمس لا يكون إلا في آخر الشهر ليلة الإسرار، و لا يكون خسوف القمر إلا في وسط الشهر و ليالي الإبدار.

فلو أخبر أحد من المنجمين بمثل هذه الأمور و أصاب فلا يدل على أن جميع أخباره من هذا القبيل، فالأول من قبيل الحساب - و هو الصحيح كما سيأتي - و الثاني من التخمين، و هو فاسد فشتان بينهما.[٢]

أما الاستدلال بحديث ابن مسعود فالجواب عنه كما قال الإمام ابن القيم: «لو ثبت هذا الحديث لكان حجة عليهم لا لهم؛ إذ لو كان علم الأحكام النجومية حقا، لا باطلا، لم ينه عنه النبي ﷺ، و لا أمر بالإمساك عنه؛ فانه لا ينهي عن الكلام في الحق، بل هذا يدل على أن الخائض فيه خائض فيما لا علم له به»[٣].

فقد نرى واضحا أن مثل هذه الأحاديث ليست حجة لهم، بل حجة عليهم، و كيف تكون حجة لهم؟ فانها وردت لإثبات الحق و إبطال الباطل، و الحق لا يساند الباطل، بل يدحضه و يدمغه فلا سبيل للصداقة بينهما.

و رووا في تأييد مذهبهم آثارا، و هي بجميعها واهية كاذبة؛ فلا نرى حاجة إلى ذكرها.[٤] إكتفاء بما ذكرنا من استدلالهم بالآيات و الأحاديث الثابتة و الرد عليه.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٧٥، و الرد على المنطقين، ص ٢٧٢ - ٢٧٣، و مفتاح دار السعادة ٢/٢٠٦ - ٢٠٩، في المفتاح كلام طويل في ضوء علم الهيئة.

(٢) أنظر: مفتاح السعادة ٢/٢٠٤، و روح المعاني ٢٣/

(٣) و من أراد معرفتها و الرد عليها فليرجع إلى مفتاح دار السعادة ٢/٢١٥ و ما بعدها.

الرد على العنصر الرابع و الخامس من عقائدهم:

لما تبين بطلان دعواهم أن هذه الكواكب حية مختارة عاقلة مدبرة في ضوء الأدلة الكثيرة القاطعة على ما بيناها بالتفصيل الآن، تبين بطلان ما بنوا عليها من أن أنها لاترى في كل وقت فدعت الحاجة إلى تصويرها في صور و أشخاص، و أنها تتطلب من عبادها اختيار وقت مناسب و هيئة مناسبة و نحو ذلك من الخرافات و الأوهام؛ فان من المعلوم بالضرورة أن بناء شيء على الباطل باطل.

وأما العنصر السادس: إنها تقضي حوائجهم فيلزم البقاء على عبادتها. فهو أيضا باطل؛ لأنها جماد ميت لا ينفع و لا يضر لا يستطيع أن يدفع ضرا عن نفسه فضلا عن غيره.

قد ضرب القرآن مثلا رائعا لعجز الأصنام و الأوثان: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ ﴾ (١)

و أما زعمهم أن هذه الأصنام تتنزل عليهم روحانيتهم فتكلمهم .. فهذا الزعم باطل؛ فان الشياطين في الحقيقة تتنزل عليهم وهي تكلمهم من الكلام الباطل والشرك والكفر، و هي تقضي بعض حوائجهم؛ فانهم يقدرون على قضاء بعض الحاجات، كما أن الإنسان يقدر على ذلك باذن الله عزوجل.

يقول ابن تيمية: « و سبب ذلك أنه يحصل لهم أحيانا من جنس ما يظهر للمشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب و الأصنام؛ فانه كانت الشياطين تدخل في الصنم و تكلم عابديه فتخبرهم بأمور مكاشفة لهم و تأمرهم بأمور يطلبون منهم قضاء حوائجهم. قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان في كل صنم شيطان يتراءى للسدنة فيكلمهم». و قال أبي بن كعب(٣): « مع كل صنم جنية».

---

(١) الحج : ٧٣.

(٢) النساء : ١١٧.

(٣) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري النجاري، أبو المنذر و أبو الطفيل، سيد القراء، صحاب مشهور، كان من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرا و المشاهد، قال النبي ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك». و كان عمر يسميه سيد المسلمين. قال الواقدي: «هو أول من كتب للنبي ﷺ، مات سنة: ٣٠ هـ على الأصح. أنظر: الإصابة ١٦/١، القسم الأول، حرف الألف.

و لهذا لما أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد[١] إلى العزى - و كانت العزى عند عرفات- خرجت منها عجوز ناشزة شعرها، وقال النبي ﷺ : «و قد يئست العزى أن تعبد بأرض العرب»[٢] .

هذه هي حقيقة روحانية الأصنام، فهي شياطين تضلهم و تمنيهم، أماني فارغة باطلة إمعانا في إضلالهم.

الوعيد الشديد لمن يشتغل بالتنجيم:

علم من ما سبق من الكلام المفصل أن هذه الصناعة ابتدعها المشركون الصابئون وزينها الشياطين لهم؛ فان المشرك حينما يعبد غير الله، لابد أن يستعين بالشيطان وجنوده في عبادته و إن كان يزعم أن أرواح معبوداتهم تتنزل عليهم، فللشيطان فيه دور أساسي هو يزين عبادة الأصنام في قلوب عبادهم و يلعب دورا كبيرا لبقائهم على عبادتهم بشتى الحيل.

و هذا يبين أن ممارسة التنجيم مثل ممارسة السحر، بل من نوعه، فكل ما ورد من الذم و الوعيد على السحر ثبت في حق التنجيم كما قال عليه السلام: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر»[٣]

و معلوم في الدين ضرورة أن السحر محرم في الكتاب و السنة و الإجماع، و من ثم ورد الذم الشديد في حق الساحر.

---

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله، أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، أسلم سنة سبع بعد خيبر، و شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، و أرسله أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاءً عظيما، و فتح الله على يده فتوحات كثيرة ، و مناقبه كثيرة، توفي سنة: ٢١ هـ ، الإصابة: ٩٨/٢ و ما بعدها، حرف الخاء، القسم الأول.

(٢) الرد على المنطقين، ص: ٢٨٤ ، ٢٨٦.

(٣) رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح في مسنده، ٣٠٢/٣، ٢٨٤١، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر. قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود و ابن ماجه و غيرهما، أنظر: الترغيب و الترهيب، كتاب الأدب، باب الترهيب من السحر و نحوه ٢٤٨/٥ ، ٤٣٩٧، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

يقول تعالى: ﴿ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [١]

و يقول تعالى: ﴿ أَ سِحْرٌ هَذَا وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [٢]

فهل يكون وعيد أشد من الوعيد في حق الساحر؟ هو عدم الفلاح مطلقا في الدنيا و الآخرة فهو خاسر فيهما.

و كذلك الوعيد في حق الكاهن وعيد في حق المنجم؛ فان التنجيم نوع من الكهانة، و من هذا نجد إطلاق الكاهن على المنجم عند السلف كثيرا. [٣]

نبذة من الأحاديث الواردة في ذم التنجيم:

يقول الرسول ﷺ : «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، و الطعن في الأنساب، و الاستسقاء بالنجوم و النياحة» [٤]

و في رواية: الإستسقاء بالأنواء» [٥]

و هذا ما يعتقده المنجمون حيث يعتقدون بتأثير الكواكب في الكون و هو من أمر الجاهلية، فلا يخفى ما فيه من الذم و الوعيد.

و يقول الرسول ﷺ محذرا من سوء العاقبة من اعتقاد التنجيم في خطبة في الحديبية أثر سماء كانت من الليل: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله و رحمته

---

(١) طه : ٦٩.

(٢) يونس: ٧٧.

(٣) أنظر: مجموع الفتاوي ١٩٣/٣٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مالك الأشعري الأشجعي، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ٦٤٤/٢ ، ٩٣٤.

(٥) الأنواء جمع نوء،، و المراد هنا منازل القمر. قال ابن الأثير: و هي ثمان و عشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، و فيه قوله تعالى: ﴿ و القمر قدرناه منازل ﴾ الآية. يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر. و تطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، و كانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة و طلوع رقيبها يكون مطر، و ينسبون إليها، و يقولون مطرنا بنوء كذا و كذا، و إنما سمى نوءا؛ لأن إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي نهض و طلع. أنظر: النهاية في غريب الحديث ١٢٢/٥.

فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[١] حيث أسند الإمطار إلى الكواكب من حيث استقلالها فيه. و هذا شرك في الربوبية واضح.

الأثر السيء على المجتمع من صناعة التنجيم:

حينما نستطلع أحوال مجتمع يكون المنجم مرجعا له، يرجع الناس إليه في استطلاع الأخبار المستقبلية أو في استطلاع ما قدر لهم في الدنيا من سعة الرزق و ضيقه و الأجل و نحو ذلك، أو في استطلاع أمور غيبية تؤثر على حياتهم، نجد مثل هذا المجتمع متخلفا في كل أمور، و منهارا في جميع النواحي نفسيا و عقليا و عمليا، فان أخبارهم تقتل إيجابية الإنسان و تقضي على مواهبه الفطرية مادام أنه يعتقد صحتها و وقوعها حتما فلا يتخذ سببا لإزالة شيء إن كان مكروها، و لا سببا لتحقيقه إن كان محبوبا لعدم استطاعته تغيير ما قدر في اعتقاده الفاسد، فتجلب هذه الصناعة الشر المستطير على المجتمع شعبا و دولة، حيث يجد الأعداء فرصة ذهبية للتطاول على مثل هذا المجتمع المنهار، و القضاء عليه بشتى الأنواع من القتل و نهب الأموال و الثروات.

يقول العلامة ابن خلدون[٢] إمام علم الإجتماع البشري: «فقد بان لك بطلان صناعة التنجيم عن طريق الشرع و ضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث من عقائد العوام من الفساد إذا اتفق الصدق من أحكامها في بعض الأحايين اتفاقا لا يرجع إلى تعليل و لا تحقيق، فيلهج بذلك من لا معرفة له و يظن اطراد الصدق في سائر أحكامها، و ليس كذلك. فيقع في رد الأشياء إلى غير

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن خالد، كتاب صفة الصلاة، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ١/ ٢٩٠، ٨١٠، و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء. ١/ ٨٣ - ٨٤، ١٢٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف، المؤرخ، العالم الإجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلة، و مولده و منشأه بتونس سنة: ٧٣٢ هـ، تنقل في البلاد و اشتهر بكتابة: العبر و ديوان المبتدا و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر، و كتب لها مقدمة تعد من أصول علم الإجتماع، ترجمت بلغات عديدة، و من كتبه أيضا: شرح البردة، و كتاب في الحساب، و رسالة في المنطق و غيرها. و توفي فجأة بالقاهرة، سنة: ٨٠٨ هـ. أنظر: الأعلام: ٣/ ٣٣٠.

خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع و ما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الأعداء و المتربصين بالدولة إلى الفتك و الثورة، و قد شاهدنا ذلك كثيرا.

فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين و الدول»[١].

و يؤكد ابن تيمية بالغ خطورة هذه الصناعة و أثرها السيء على المجتمع فيقول محذرا عنها: « و يجب على ولي الأمر و كل قادر السعي في إزالة ذلك، و منعهم من الجلوس في الحوانيت و الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم كذلك.

و إن لم يفعل ذلك فيكفيه قوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [٢]

و قوله تعالى: ﴿لَولا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لبئس ما كانوا يصنعون﴾[٣]

فان هؤلا الملاعين يقولون الإثم و يأكلون السحت باجماع.

و ثبت عن النبي ﷺ برواية الصديق عنه أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر و لم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[٤].

و أي منكر أنكر من عمل هؤلاء الأخابث، سوس الملك، و أعداء الرسل، و أفراخ الصابئة عباد الكواكب.

فهل كانت بعثة الخليل صلاة الله و سلامه عليه إمام الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء؛ فان نمرود بن كنعان كان ملك هؤلاء، و علماء الصابئة هم المنجمون و نحوهم، و هل عبدت الأوثان في غالب الأمر إلا عن رأي هذا الصنف الخبيث الذين يأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله.[٥]

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص: ٥٢٢.

(٢) المائدة: ٧٩.

(٣) المائدة : ٦٣.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ٦/٣٨٨ ، ٢٢٥٧ و قال: حديث حسن صحيح، و أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر و النهي ٤/ ٥١٠ ، ٤٣٣٨.

(٥) مجموع الفتاوى: ٣٥/١٩٥. و انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٨ - ٥٦٩.

ننظر كيف يحذر هؤلاء الأكابر عن شؤم المنجمين و الوقوع في حبالهم بسبب خطورتهم على الدين و الدنيا. هذا هو النوع الأول من التنجيم، معتقده كافر بالإجماع.

النوع الثاني: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب و اجتماعها وافتراقها و نحو ذلك، ويقول: « إن ذلك بتقدير الله و مشيئته» فلا ريب في تحريم ذلك.

و اختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، و ينبغي أن يقطع بكفره؛ لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه.[١]

فالكفر هو القطع بأن الحادث الفلاني في الكون بسبب الوضع الخاص للكواكب، أو بأن الحادث الفلاني سيكون في المستقبل بسبب الوضع الخاص لها، فمثل هذه التنبؤات لاسبيل إلى القطع بها لعدم وجود دليل من الأدلة المسلمة لدى العقلاء، كما مر سابقا بالتفصيل.[٢]

و هذا يعني أن أصحاب هذه الصناعة يدعون معرفة ما هو في الغيب بدون استناد إلى دليل، و هو بلا شك كفر.

النوع الثالث: ما هو الصحيح من علم النجوم:

لا يخطر على بال أحد من إبطال هذه الصناعة أن كل ما يتصل بهذه مرفوض في الشرع و العقل، و لو كان ثبوته مبنيا على أدلة واضحة من الحس و التجربة؛ فان مثل هذا الرفض يؤدي إلى الطعن في الشرع، و يفتح بابا للالحاد و التاويل الباطل في النصوص الشرعية، و كم من ضرر جره مثل هذا الإنكار و التكلم بلا علم في حق الشرع، و قد ذم الشرع التكلم في أمر بلا علم سواء في الشرعيات أو في العقليات.

يقول تعالى: ﴿ وَ لا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا ﴾[٣].

يقول ابن تيمية بعد إثباته علاقة السببية بين الكون: «فليس لأحد قط أن يتكلم بلا علم بل يحذر لمن يتكلم في الشرعيات بلا علم، و في العقليات بلا علم، فان قوما

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص: ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٢) أنظر: ص: ٢٤٥ و ما بعدها.

(٣) الإسراء : ٣٦.

أرادوا بزعمهم بنصوص الشرع بعقولهم الناقصة و أقيستهم الفاسدة، فكان ما فعلوه مما جرأ الملحدين أعداء الدين عليه، فلا للإسلام نصروا و لا لأعدائه كسروا »[١].

جملة القول أن الله خلق هذه الكائنات و ربط بعضها بالبعض في سلسلة الأسباب لما أودع فيها من قوى و طبائع، فالنار مثلا أودع فيها قوة الإحراق، و الماء مثلا أودع فيه قوة الريّ، و كذلك الشمس و القمر و غيرهما من النجوم أودع فيها قوى الإضاءة وغيرها مما نشاهده و ما لا نشاهده، و ما لا نعلمه.

فهناك كثير من الظواهر في الكون نشاهده بسبب تأثير الشمس و القمر، مثل فعل الشمس في تبدل الفصول و أمزجتها، و نضج الثمار و الزرع و غيرذلك، و فعل القمر في الرطوبات و الماء و إنضاج المواد المتعفنة و فواكه القثاء، و أثر القمر في مد البحار وحزرها؛ فان منها ما يأخذ في الإنتقاص، و لا يزال نقصانه يستمر بحسب نقصان القمر إلى المحاق، و يأخذ في الإزدياد حين يفارق القمر الشمس إلى وقت الإمتلاء، و نشاهد أن بحر الهند و بحر فارس و بحر الصين يحصل فيها المد و الجزر كل يوم و ليلة، فمثل الأمور المشهورة لا ينكر تأثير الكواكب فيها بإذن الله إلا مكابر و متعنت.

فلو تعلم أحد مثل هذه الأمور و أخبر بها لا ينكر عليه - و كذلك التعلم بمنازل الكواكب و معرفتها لأجل أنها تتعلق بمصالح الناس الدينية و الدنيوية،

يقول الإمام الخطابي [٢] : أما علم النجوم الذي يدرك عن طريق المشاهدة و الخبر الذي يعرف به الزوال، و تعلم به جهة القبلة؛ فانه غير داخل فيما نهى عنه.

و ذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئا بأكثر من أن الظل مادام متناقصا فالشمس صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، و إذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، و هذا علم يصح دركه بالمشاهدة بأي طريق.[٣]

---

(١) الرد على المنطقين، ص: ٢٧٣.

(٢) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل)، من نسل زيدبن الخطاب أخي عمر بن الخطاب. له معالم السنن في شرح سنن أبي داود، و بيان إعجاز القرآن، إصلاح غلط المحدثين، و غريب الحديث، و غيرها، ولد سنة: ٣١٩هـ . و توفي ٣٨٨ هـ . أنظر: الأعلام: ٢٧٣/٢.

(٣) معالم السنن للخطابي، بذيل سنن أبي داود ٢٢٦/٤ - ٢٢٧.

و هو ما جاء في لسان الشرع باسم الحساب و الحسبان و الميقات، مثل قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ (١)

و مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَ الْحِسَابَ ﴾ (٢)

و مثل قوله تعالى: ﴿ وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ ﴾ (٣)

فتعلم مثل هذه الأمور مستحسن في الشرع؛ لأنها تفيد في مصالح الناس.

يقول ابن تيمية: «لا ريب أن النجوم نوعان: حساب أو أحكام. فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك و الكواكب و صفاتها و مقادير حركاتها و ما يتبع ذلك فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب، كمعرفة الأرض و صفتها و نحو ذلك.

و إما الأحكام التي هي من جنس السحر فمن الممتنع.»(٤)

و الحاصل أن اكتشاف سنن و قوانين مودعة في الكائنات مما يفيد الناس في أمورهم الدنيوية و الدينية مطلوب في الشرع، و لا محذور فيه ألبتة.

---

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) يونس : ٥.

(٣) البقرة : ١٨٩.

(٤) أنظر: مجموع الفتاوى ٣٥/١٨١.

الفصل الخامس

الفصل الخامس في البعث و الجزاء

تمهيد

أولا : أهمية الإيمان بالبعث و الجزاء:

إن الإيمان بالبعث و الجزاء - و التعبير عن هذه القضية ورد بألفاظ كثيرة - من أهم أركان الإيمان الستة الأساسية التي تألفت منها القاعدة الإيمانية في الإسلام و في كل الأديان الربانية الحقة التي لم يدخل التحريف و التغيير و التشويه»[١]

و هذا الركن يأتي في الدرجة الثانية من الأهمية بعد الإيمان بالله و صفاته فقد وردت نصوص كثيرة تفوق الحصر، تذكر الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بالله عزوجل.

منها قوله تعالى: ﴿ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ [٢]

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلآئِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ ﴾ [٣]

و منها قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [٤]

و نحو ذلك مما يدل دلالة قاطعة على أهمية الإيمان باليوم الآخر، و كما يدل على جوانب عديدة و نواحي مختلفة تتجلى بها ضرورة هذا الإيمان و سنتناول بعض هذه الجوانب فيما يلي:

أهمية هذا الإيمان من ناحية نفسية:

إن الإنسان يشعر في قرارة نفسه بحاجة شديدة إلى الحياة الآخرة غير هذه الحياة الدنيا، فانه يقطع رحلة هذه الحياة الدنيا بجهد و كد و تعب و مشقة، و هي طبيعة الحياة لا مناص لأحد منها، فكل واحد يتعب و يكدح لما يهدف إليه من أهداف و أماني، و مع ذلك لا يظفر بكل ما كان يحلم من الآمال و الأماني، و هذا يجعله مضطرا إلى تحقيق ما يصبو إليه في الحياة الأخرى غير هذه الحياة الدنيا القصيرة المحدودة.

---

(١) العقيدة الإسلامية للميداني، ص: ٦٢١.

(٢) البقرة : ٦٢.

(٣) البقرة : ١٧٧.

(٤) النساء : ٥٩.

و هذه الحقيقة يؤكدها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [1] فكل يصل إلى ربه في نهاية المطاف بعد معاناة الشدائد و المتاعب ليأخذ نصيبه الكامل من الجزاء.

و لا نتعجل هنا أن نتعرض لذكر من أصاب في سلوكه، ومن أخطأ فيه، فلنا عودة إليه فيما بعد إن شاء الله، إنما يهمنا هنا أن كل نفس تشعر بالحاجة الشديدة إلى الراحة التامة نفسيا، و هي غير متوفرة في هذه الحياة الدنيا، فلا بد من الحياة الآخرة التي تحققها.

يقول مؤلف "الإسلام يتحدى": إن هذا المطلب الإنساني في حد ذاته - يشير إلى الحياة التي لا جهد فيها و لا تعب و تشتاق إليها كل نفس في قرارتها- دليل نفسي قوي على وجود عالم آخر كالظمأ، فهو يدل على الماء و على علاقة خاصة باطنة بين الماء و بين الإنسان، و هكذا فان تطلع الإنسان نفسيا إلى عالم آخر دليل في ذاته على أن شيئا مثل ذلك موجود في الحقيقة، أو أنه على الأقل خليق أن يوجد.

و هذا المطلب النفسي يؤكد علاقة مصيرنا بهذه الحقيقة، و يدلنا التاريخ على وجود هذه الغريزة الإنسانية منذ أقدم العصور على مستوى إنساني، و هو أمر لا أستطيع فهمه: كيف يمكن أن يؤثر أمر باطل على البشر في هذا الشكل الأبدي و على مستوى إنساني؟

و هذا الواقع نفسه يدلنا على قرينة قوية بإمكان وجود العالم الآخر، و إنكار هذه الحاجة النفسية بدون أدلة يعتبر جهلا و تعصبا»[2].

و أيضا: «من قديم الزمان يأبى الضمير الإنساني إباء و يرفض رفضا أن تكون حياة الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي هي الحياة، و لا حياة بعدها مهما طالت حياة الإنسان في هذه الدنيا، و إن كانت حياة الإنسان لا تزيد على حياة الدنيا هذه فإنها تكون مأساة تدعو إلى القنوط و تخنق في الأحياء منا إرادة الحياة مادامت الحياة تنتهي

---

(١) الإنشقاق : ٦.

(٢) الإسلام يتحدى للشيخ وحيد الدين خان، ص: ٩١. و أنظر: عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري، ص : ٢٦٧، مكتبة الكليات الأزهرية.

بالإنسان إلى لا شيء على الإطلاق، فهي مأساة مروعة لأنها تحطم الإنسان تحطيما، و هو مصير رهيب يقضي على أحلامه و آماله بالكلية. و التاريخ البشري شاهد على خلاف ذلك فإنه لا يتفق مع طبيعته و تكوينه منذ خلق الله آدم عليه السلام و حتى اليوم»[١].

و من ثم «الإيمان باليوم الآخر نعمة عظيمة، نعمة يفيضها الإيمان على القلب، نعمة يهبها الله للفرد الفاني المحدود الأجل، الواسع الأمل، و ما يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلي الخلود إلا وحقيقة الحياة في روحه ناقصة أو مطموسة.

فالإيمان بالآخرة - فوق أنه إيمان بالعدل الرباني و جزائه الأوفى - هو ذاته دلالة على فيض النفس بالحيوية و على إمتلاء بالحياة لا يقف عند حدود الأرض، إنما يتجاوزها إلى البقاء الطليق الذي لا يعلم مداه إلا الله، و إلى المرتقى السامي الذي يتجه صعدا إلى جوار الله.

و هذا الإعتقاد يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن و عالمه، و نفي القلق و السخط و القنوط»[٢].

فقد تأكد أن عقيدة البعث و الجزاء عقيدة تتفق مع طبيعة الإنسان و فطرته.

أهمية هذا الإيمان من ناحية أخلاقية :

إن من تأمل النصوص في قضية البعث و الجزاء انكشفت أمامه أهميته من ناحية أخلاقية أيضا، بل هي أوضح من النواحي الأخرى.

و نعني بها الحكم على عمل الإنسان بقيمة خلقية من حيث الخير و الشر و الصلاح و الفساد و العدل و الظلم و غير ذلك، ثم ترتيب النتائج حسب مقتضى العدل و الحكمة الربانية في دار غير هذه الدار التي لا نرى فيها الجزاء العاجل و الكامل بحكم كونها دار العمل لا دار الجزاء.

فقد وردت نصوص مستفيضة كثيرة لتأكيد هذه الناحية المهمة.

منها قوله تعالى: ﴿ أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى

---

(١) أنظر: اليوم الآخر و الحياة المعاصرة للذكتور عبد الغني عبود، ص: ١٨، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٢) أنظر: اليوم الآخر في ظلال القرآن. إعداد و جمع: أحمد فايز، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٩ هـ.

اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [١] .

و منها قوله تعالى: ﴿ أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٢].

و منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتَ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٣].

و نحو ذلك كثير مما يؤكد التفريق بين الخير و الشر و العدل و الظلم و مكافاة الجزاء العادل، فإن التسوية بين هذه الأمور المتباينة في مكافاة الجزاء و ترتيب النتائج مما لا يليق بذاته سبحانه المتصفة بصفات الكمال، و من ثم ينكر سبحانه أشد إنكار على من يتوهم هذه التسوية في الآيات المذكورة آنفا لمنافاته لحكمته و عدله و فضله.

و لا شك أن هذا الحكم الجائر ينزهون عقلاءهم عنه مع ما فيه من نقص بشري، فكيف يليق بالله المنزه عن جميع صفات النقص.

و لا يشك أحد منا أن الدنيا مليئة بالأفراد المجرمين الذين يسعون في الأرض فسادا و يحطمون القيم الإنسانية، و ينهبون أموال الآخرين، و يتلاعبون بأعراضهم و حياتهم مما جعل هذه الدنيا سجلا للجرائم و المصائب و حجيما لا يطاق.

«فهل قامت مسرحية العالم كلها لتنتهي إلى كارثة أليمة؟ إن فطرتنا تقول: لا... فدواعي العدالة و الإنصاف في الضمير الإنساني تقتضي عدم حدوث هذا الإمكان، لابد من يوم يميز بين الحق و الباطل، و لابد للظالم و المظلوم أن يجنيا ثمارها، و هذا مطلب لا يمكن اقصاؤه من مقومات التاريخ، كما لا يمكن إبعاده عن فطرة الإنسان»[٤].

أهمية هذا الإيمان من ناحية السعادة الإنسانية:

كذلك حين نتأمل في النصوص القرآنية نجدها تؤكد أن هذا يحل مشكلة السلوك الإنساني، فهو يدفع إلى سلوك طريق مستقيم، يجلب الخير و السعادة لحامل هذا الإيمان

---

(١) المؤمنون : ١١٦.

(٢) القلم : ٣٥-٣٦.

(٣) الجاثية : ٢١.

(٤) الإسلام يتحدى، ص: ٩٦، و انظر: عقيدة الإسلامية للميداني، ص: ٦٢٤، و الصراع مع الملاحدة له، ص: ١٧٤ - ١٧٥، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ هـ ، دار القلم - دمشق.

و لغيره من بني جنسه، و ينفي الشر و الشقاوة عن حامله، و عن غيره من إخوانه.

و السر أن صاحب هذا الإيمان يعتقد اعتقاداً جازما أن خالقه و مالكه يرى و يعلم كل ما يعمل، و هو سوف يحاسبه في اليوم الآخر و يجزيه الجزاء الأوفى.

و من النصوص التي تحذر عن ارتكاب ما يضر الآخرين، قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنْكُمْ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

و منها قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لاتَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (٢).

فمثل هذه الآيات إذ تؤكد أهمية التعامل المبني على العدل و احترام حقوق الآخرين و عدم الضرر و الضرار، تجعل الإيمان بالله و باليوم الآخر زاجرا بليغا عن ارتكاب ما يضر الآخرين، و تورث في القلب استحضار مراقبة الله و الخوف من عقابه يوم الدين. وهذا الاستحضار لمراقبة الله و الخوف من عقابه أبلغ زاجر و أقوى رادع لا يمكن أن تكون الزواخر الأخرى مثله، فكلها ضعيفة لا تكفي لردع الآثمين و المجرمين.

«فالإيمان باليوم الآخر ضرورة إنسانية لحل مشكلة الجنوح الإنساني، و لمنح المجتمعات الإنسانية أفضل صورة ممكنة من السعادة الجماعية في ظروف هذه الحياة، ولدفع الإنسان إلى فعل الخير و الإرتقاء في سلم الفضائل الفردية و الجماعية» (٣).

و من هنا نرى المجتمع البشري الكافر بهذه العقيدة أنه يعيش حياة الفوضى والإضطراب، فلا رادع و لا ضابط لأحد عن الغش و العدوان على الآخرين، إن القانون الوضعي لا يكفي للقضاء على الجرائم ما دام المجرم يجد فرصة للإنفلات من يد الشرطة، أو المحكمة عن طريق الوسائل المحرمة من الرشوة و شهادة الزور و نحوهما.

فلا بد من الوازع الذي يمنع من ارتكاب الجرائم، و هو الضمير المليء بالإيمان بالله والخوف منه، و المحاسبة على الأعمال في اليوم الآخر، فاتضح مما سبق أن الإيمان باليوم الآخر ذو أهمية بالغة من نواح عديدة.

---

(١) البقرة : ٢٣٢.

(٢) النور : ٢.

(٣) العقيدة الإسلامية للميداني، ٦٢٥، و الإسلام يتحدى، ص: ٩٧ - ٩٨.

ثانيا : البعث و كيفيته :

البعث: أصله إثارة الشيء و توجيهه، يقال: بعثته فانبعث، و يختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير: أثرته و سيرته. و قوله عزوجل: ﴿ وَ الْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ [١] أي: يخرجهم و يسيرهم إلى القيامة. فالبعث ضربان: بشري كبعث البعير، و بعث الإنسان في حاجة. و الهي: و ذلك ضربان: أحدهما: إيجاد الأعيان و الأنواع عن ليس (أي عدم) و ذلك يختص به الباري تعالى و لم يقدر عليه أحد . و الثاني: إحياء الموتى و قد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام و أمثاله. و من الضرب الثاني قوله تعالى: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾ [٢] . [٣]

و هذا هو المراد في هذا المقام و يرد لفظ المعاد في هذا المعنى.

فالبعث و المعاد هو إحياء الموتى من قبورهم ليحشروا إلى ربهم لمجازاة على أعمالهم الإرادية التي قاموا بها في الحياة الدنيا.

كيفيته:

إن الله يعيد أرواح الموتى إلى أبدانهم و ينشئهم النشأة الثانية مثل النشأة الأولى. فروح كل ميت و جسده بعد البعث هو عين روحه و جسده في الدنيا ، و نصوص القرآن و السنة تدل على البعث المذكور دلالة قاطعة، و هي كثيرة جدا.

منها قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٤]

و منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [٥]

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [٦]

---

(١) الأنعام : ٣٦.

(٢) الروم : ٥٦.

(٣) أنظر: المفردات للأصفهاني، ص: ٥٢ - ٥٣، و لسان العرب : ١١٦/٢ - ١١٧، و بصائر ذوي التمييز ٢١٥/٢.

(٤) الأنبياء : ١٠٤.

(٥) يونس : ٤.

(٦) الروم : ٢٧.

و بسبب النصوص الواضحة الدلالة التي لا تقبل أي تأويل، اتفقت جميع أهل الملل السماوية على وجوب الإيمان بمعاد الأبدان و على تكفير من ينكره؛ لأن جميع الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ دعوا إلى الإيمان بالقيامة الكبرى التي يبعث فيها جميع الموتى من قبورهم.[١]

نعم قد يكون فرق بين النشأتين في الأحوال و الأطوار التي تمران بها، و لكن لا تغيران حقيقة زيد مثلا، فهو قبل البعث عينه بعده ؛ لأن البعث هو الإعادة، و الإعادة لا يطلق إلا على فعل الشيء مرة ثانية.

يقرر الإمام ابن تيمية هذه الحقيقة حينما يقول: «إن النشأتين نوعان تحت جنس واحد، يتفقان و يتماثلان و يتشابهان من وجه، و يفترقان و يتنوعان من وجه آخر، و لهذا جعل المعاد هو المبدأ، و جعل مثله أيضا. فباعتبار اتفاق المبدأ و المعاد فهو هو، و باعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله، و هكذا كل ما أعيد»[٢].

و يضيف قائلا: و المعاد هو الأول بعينه و إن كان بين لوازم الإعادة و لوازم البدأة فرق، فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول، و ليس الجسد الثاني مباينا للأول من كل وجه كما زعم بعضهم.

و كما أنه سبحانه خلق الإنسان و لم يكن شيئا كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئا.

و على هذا فالإنسان الذي صار ترابا و نبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر، و هلم جرا، و الإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان و أكل ذلك الحيوان إنسانا آخر ففي كل هذا قد عدم هذا الإنسان، و هذا الإنسان و هذا الإنسان، و صار كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق، ثم يعاد هذا و يعاد هذا من التراب، و إنما يبقى عجب الذنب[٣]

---

(١) الفصل لابن حزم ١٣٧/٤ ، و لوامع الأنوار البهية ١٥٧/٢ - ١٥٨، و شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٣/١٧.

(٣) العجب بفتح المهملة و سكون الجيم بعدها مؤحدة: عظم لطيف من أصل الصلب، و هو رأس العصعص، و هو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع ، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٥٢/٨.

- كما ثبت في الحديث الصحيح [١] - «منه خلق و منه يركب»[٢] هذا هو المفهوم الواضح لحقيقة البعث و المعاد الجسماني المستمد من النصوص، و لا حاجة لنا إلى الخوض في المتاهات الكلامية و الفلسفية ؛ فإنها لا تسمن و لا تغني من جوع.

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ و نفخ في الصور فصعق من في السماوات ﴾ ٤/١٨١٣ ، ٤٥٣٦، و مسلم في صحيحه، كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب ما بين النفختين ٤/٢٢٧١ ، ٢٩٥٥ . و لفظ الحديث: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة! أربعون يوما ؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: أربعون شهرا ؟ قال: أبيت، و يبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق». اللفظ للبخاري.

(٣) أنظر: مجموع الفتاوى ١٧/٢٥٥ - ٢٥٦، و شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٦٤.

المبحث الأول في أدلة البعث

الآيات التي تتعرض لهذه القضية مع الرد على المنكرين:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (١٢) وَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَاهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٩).

معاني الكلمات:

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ أي سلهم أيهم أصعب خلقا و أشق إيجادا هل هم؟ أم السماوات و الأرض و ما بينهما من المخلوقات العظيمة العجيبة؟

﴿ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ اللازب من لزب يلزب بالضم لزبا و لزوبا: دخل بعضه في بعض، و لزب الطين: لصق و صلب. الطين اللازب ملتصق بعضه ببعض.[1] يقول الإمام الطبري: « و إنما وصفه باللزوب؛ لأنه تراب مخلوط بماء، و كذلك خلق ابن آدم من تراب و ماء و نار و هواء، و التراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا ».[2]

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ ﴾ قرئ عجبت بالرفع من قبيل إسناد العجب إلى الله عزوجل، فهو صفة من صفات الله، و لكن ليس كمعناه من العباد؛ فانه ليس كمثله شيء ، و أحسن ما قيل في معناه: « التعجب من الله إنكار الشيء و تعظيمه »[3] .

فينكر الله سبحانه على المنكرين بالبعث و يعظم تكذيبهم؛ لأنه متصف بكمال قدرته على كل شيء.

﴿ قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي نعم تبعثون و أنتم صاغرون أذلاء.

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَاهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ الزجرة هي الطرد بصوت يقال: زجرته

---

(١) أنظر: لسان العرب ٧٣٨/١، و بصائر ذوي التمييز ٤٢٨/٤، و القرطبي: ٦٨/١٥.

(٢) تفسير الطبري ٤٢/٢٣.

(٣) أنظر: القرطبي ٦٩/١٥ ، ٧٠، و فتح القدير للشوكاني ٣٨٩/٤.

فانزجر[١] و إنما سميت الصيحة زجرة؛ لأن مقصودها الزجر، أى يزجربها كزجر الإبل و الخيل عند السوق.[٢]

و المراد بهذه الزجرة هي النفخة الأخيرة للصور بالاتفاق، إما النفخة الثانية و إما النفخة الثالثة - على الاختلاف بين أهل العلم.[٣]

توضيح ما يتعلق بتلك الآيات :

هذه الآيات تتعرض قضية البعث و تناقش المنكرين بالبعث، و ترد عليهم أقوى و أبلغ رد، و نحن هنا نتكلم عن الأدلة التي تعرضت لإثبات المعاد، و نؤجل الكلام عن الرد على المنكرين في البحث الثاني اتباعا للخطة.

إن الله عزوجل قد ذكر في كتابه العزيز من دلائل المعاد و براهنيه ما يبلغ في الوضوح، و إقناع العقل السليم ما لا يبلغه غيره من الأدلة الأخرى، و هي في الكثرة أكثر من أن يحصر.

و من الممكن حصرها في نوعين رئيسين تشير إليهما هذه الآيات أيضا :

النوع الأول: من الأدلة عينية، و هي ما رآه الناس بأعينهم و آمنوا بقدرة الله على إحياء الموتى، و هي ما يتعلق بقصص إحياء الموتى التي وردت في القرآن أكثر من مرة.

والنوع الثاني منها اعتبارية: وهي مايستطيع الإنسان الاعتبار به حينما يتدبر ويتفكر فيه أن يؤمن بقدرته عزوجل على إحياء الموتى، و لا يبقى في قلبه تردد و شك في ذلك.

إلى النوع الأول من الأدلة يشير قوله تعالى: ﴿ وَ إِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾

---

(١) المفردات للراغب، ص: ٢١١.

(٢) القرطبي ١٥/٧٢.

(٣) قد اختلف أهل العلم في عدد النفخات، فقيل: هي نفختان. و إليه مال القرطبي. أنظر: التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة ١/ ٢٠٠، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت. و تفسيره ١٣/ ٢٤٠.

و قيل: هي ثلاث، و إليه مال ابن تيمية، أنظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٦٠ - ٢٦١. و ابن كثير. أنظر: تفسيره ٤/٩٦. و أنظر: روح المعاني للآلوسي في أقوال العلماء في عدد النفخات ٢٠/ ٣١ - ٣٢.

وإلى النوع الثاني يشير قوله تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾.

يقول الإمام ابن تيمية" «إنه سبحانه دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان وبطريق الاعتبار والبرهان. والأول أعظم الطريقين فلا شيء أدل على إمكانه من وجوده فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع.

ففيه قصص في إحياء الطير، وقصة إحياء عيسى للموتى، وقصة أصحاب الكهف وبقائهم ثلاث مائة سنين وتسع سنين نياما لا يأكلون ولا يشربون وهم أحياء لم يفسدوا».[١]

والنصوص القرآنية الدالة على هذا النوع، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢]

وقوله تعالى حكاية عن الذين خرجوا من ديارهم خوفا من الموت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]

ونحو ذلك مما قص الله في كتابه في صدد إحياء الموتى في هذه الحياة الدنيا من القصص المشهود والوقائع المرئية بالأعين فهي من أعظم الدلائل والبراهين على إمكان

---

(١) انظر: درء التعارض، ٧/ ٣٧٥-٣٧٧، تحقيق، الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٢) البقرة: ٥٥-٥٦.

(٣) البقرة: ٢٤٣.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

إحياء الموتى، وقدرته عزوجل على ذلك.

ثم يقول: «وأما الصنف الثاني، وهو طريق الاعتبار والقياس بالطريق الأولى، فإنه سبحانه يشير على ذلك تارة بخلق النبات ويبين أن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات.

وتارة يستدل على ذلك بخلق الحيوان نفسه، وأن قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأولى. وتارة يستدل على ذلك بخلق ما هو أعظم من خلق الإنسان، مثل: السماء والأرض ونحوهما، وأن قدرته على هذه الكائنات العظيمة كقدرته على خلق الآدمي وأولى»[١].

يتبين مما سبق أن قوله تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا...﴾ يدل على النوع الثاني صراحة، ويؤكد قدرة الله على إعادة الموتى بطريق أولى: فإن حاصله: إن الله عزوجل خلق هذه الكائنات من السماء والأرض وما بينهما من الملائكة والشهب والشياطين، وهي في الضخامة والعظمة ما يعرفه كل واحد فكيف لا يقدر على إعادة مخلوق ضعيف في الكيف والكم، بل هو أقدر على إعادته بطريق أولى.

ومثل هذا الاستدلال نجد في كثير من الآيات الكريمة، منها:

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٤]

---

(١) أنظر: نفس المرجع المذكور، ص: ٣٧٨-٣٨٠.

(٢) فاطر: ٥٧.

(٣) يس: ٨١.

(٤) النازعات: ٢٧-٣٣.

فالسؤال في الآية والتعبير عنه: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ سؤال استنكار وتعجب من حال المنكرين وغفلتهم مما حولهم، والسخرية من تقديرهم الأمور، وفي نفس الوقت سؤال خالد يوجهه القرآن الكريم إلى كل من ينكر البعث ويظنه أمرا عسيرا على قدرته عزوجل.

منها الاستدلال ببدء الخلق:

وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]

ومنها الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان، فالنوم يعتبر موتا مصغرا والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضا؛ فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما.

وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]

ومنها الاستدلال بالأرض الميتة بسبب الجدب والقحط، حيث تنعدم فيها الحياة تماما ثم ينزل الغيث بها أو تسقى بالماء فتعود الحياة إليها كما كانت، وخيرا مما كانت نماء وازدحارا.

وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].[4]

ونحو ذلك مما يدل دلالة قاطعة على أن إحياء الموتى أيضا مما يقدر عليه الخلاق العليم الذي يرى الإنسان آياته الواضحة مبثوثة في الكون.

---

(١) الروم: ٢٧.

(٢) الأنعام: ٦.

(٣) فصلت: ٣٩.

(٤) وانظر: هذه الأمثلة في كتاب عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري، ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

المبحث الثاني في شبهة المنكرين و الرد عليهم.

الآيات التي تتعلق بذلك:

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (١٢) إلى ﴿ أَ وَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ (١٧).

توضيح ما يتعلق بذلك :

قد مر معنا آنفا في المبحث السابق بيان معاني الكلمات فلا حاجة إلى إعادته، ترى في هذه الآيات أنها تذكر ما يلجأ المكذبون إليه في إنكار معاد الأبدان، و هو لا يستحق أن يسمى دليلا و سندا يستند إليه في بناء فكر أو نظرية فضلا عن عقيدة راسخة، ألا و هو استغراب و استبعاد شيء، و سخرية من وقوعه، فمعلوم أن الاستغراب ليس حجة عند العقلاء، و فرق كبير بين أن يكون الشيء غريبا غير معهود في الأذهان و لكن ليس يستحيله العقل و بين أن يكون الشيء مما يستحيله العقل كاجتماع النقيضين، و كون الواحد زوجا، و كون الخالق و المخلوق شيئا واحدا.

فهذه من الأمور التي يحكم عليها العقل الصريح ببطلانها و فسادها في أول وهلة.

أما قضية البعث فغاية ما يقال فيها أنها من الأمور التي تتحير فيها العقول و لا تستطع أن تدرك بكنهها و تعلم تفاصيلها مما جعله من أمور الغيب، و هذا عدم العلم بشيء لا العلم بعدم شيء، و شتان بينهما. و على كل حال فان الله سبحانه ذكر الشبهة للمنكرين.

و عند ما نتتبع الآيات التي تناقش شبهتهم هذه نجد أنها تلجأ إلى توهمات شتى، فيذكر القرآن واحدة بعد واحدة، و يرد عليها أبلغ رد، و هي فيما يلي:

١- يتوهم المنكرون أن الإعادة أصعب من الإبتداء.

فيقول تعالى ردا عليهم: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [١] بل الإبتداء أصعب من الإعادة في الأذهان، بعكس ما زعموا.

كما قال تعالى: ﴿ وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢]

---

(١) يس : ٧٩.

(٢) الروم : ٢٧.

فكل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على الإبتداء قدر على الإعادة، و أنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأول أعجز و أعجز.[١]

٢- يتوهم بعضهم أن الإنسان بعد موته يضل رفاته في الأرض فتذهب صورته و صفاته من دائرة العلم فكيف يمكن إحياؤه.

يقول تعالى حكاية عن توهمهم هذا : ﴿ وَ قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِيْ الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾[٢]

فيرد عزوجل عليهم بإثبات علمه المحيط بكل ذرة صغيرة كانت أو كبيرة حيث يقول: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾[٣]

و يقول تعالى: ﴿ وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الأَرْضِ وَ لَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٤] و نحو ذلك مما يدل على علمه المحيط بكل شيء.

٣- يتوهم بعضهم أن العظام إذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة و الحياة لا بد أن تكون مادتها و حاملها طبيعة حارة رطبة حتى تكون صالحة لقبول الحياة؛ فلا يمكن إعادة الحياة في العظام الرفات.

فيقول تعالى ردا عليهم: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[٥] .

فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة و اليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة و البرودة فالذي يخرج الشيء من هذه و تنقاد له مواد المخلوقات و عناصرها و لا تستعصي عليه، هو الذي يحيي هذه العظام الرميم، فهو القادر على إخراج الضد من الضد؛ فإنه على كل شيء قدير.[٦]

---

(١) أنظر: شرح الطحاوية، ص : ٤٦٠.

(٢) السجدة : ١٠.

(٣) ق : ٤.

(٤) سبأ : ٣.

(٥) يس : ٨٠.

(٦) يراجع : شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٤٦١.

يقول ابن تيمية تعليقا على الآية المذكورة: «فبين سبحانه أنه أخرج النار اليابسة من البارد الرطب، و ذلك أبلغ في المنافاة؛ لأن اجتماع الحرارة و الرطوبة أيسر من اجتماع الحرارة و اليبوسة ، إذ الرطوبة تقبل من الإنفعال ما لا يقبله اليبوسة ، و لهذا كان تسخين الهواء و الماء أيسر من تسخين التراب، فتكون الحيوان من العناصر أولى بالإمكان من تكون النار من الشجر الأخضر».[١]

الحاصل: أن قدرة الله فوق كل شيء، فكيف تقاس قدرته بقدرة الإنسان و أفعاله بأفعال الإنسان، فهو يخلق الأشياء بالأسباب و بدونها ، و يكفي أمره و مشيته لايجاد شيء ، كما قال عزوجل: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٢]

٤- يتوهم بعضهم، و هم المتفلسفة أن إعادة بدن الميت مستحيل عقلا، و أن البعث للروح فقط.

يقول ابن سينا: « و أنت إذا تأملت و تدبرت ظهر لك أن الغالب على ظهر التربة المعمورة جثث الموتى المتربة، و قد حرث فيها و زرع و تكون منها الأغذية و تغذي بالأغذية جثث أخرى، فأنى يمكن بعث مادة كانت حاصلة لصور في انسانين في وقتين لهما جميعا في وقت واحد بلا قسمة؟

فان قال قائل: إنه يبعث للنفس بدن من أيّ تراب و أيّ هواء و ماء و نار اتفق، و ليس من شرطه أن تكون الاسطقسات الموجودة في الحياة الأولى هي بعينه في الحياة الأخرى، يقال هذا قول بالتناسخ الصراح، و هو باطل.[٣]

حاصل هذه الشبهة تعود إلى أمرين:

أحدهما: اختلاط أجزاء الأبدان و الأعضاء بعضهم ببعض على وجه لا تتميز أجزاء بدن عن أجزاء بدن آخر حتى يتصور الإعادة.

و ثانيهما: أن الأجزاء الرميمة يابسة و الحياة طبعها الرطوبة و الحرارة، فاذا حل

---

(١) ينظر: درء التعارض ١/٣٣، ٣٤.

(٢) يس : ٨٢.

(٣) رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص ١٠٨-١٠٩، تحقيق: د. حسن عاصي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الموت بالجسم لم يكن أن تحل فيه الحياة، و ذلك اجتماع النقيضين.[١]

و الرد على هذا ظاهر أيضا مما سبق من الأدلة القاطعة على كمال قدرته تعالى و على علمه المحيط بكل شيء.

فالقول بأن أجزاء البدن بعد اختلاطها بأبدان أخرى يتعسر تمييزها مبني على الجهل بكمال قدرته و كمال علمه عزوجل.

كما أن القول بأن إحياء البدن بعد موته جمع بين النقيضين. مبني على التلبيس بالباطل؛ فإنه ليس في إحيائه اجتماع النقيضين، أي اجتماع الموت و الحياة في وقت واحد، و هو ظاهر.

يقول ابن القيم رحمه الله: «و هذه شبهة تليق بعقول المكذبين لا سمع لهم و لا عقل، فإن الحياة لا تجتمع مع الموت في المحل الواحد في الوقت الواحد ليلزم ماقالوا بل إذا أوجد الله فيه الحياة و طبعها ارتفع الموت و طبعه، و هذا الشجر الأخضر طبعه الرطوبة و البرودة و لكن تخرج منه النار الحارة اليابسة».[٢]

فاجتماع النقيضين شيء، و إيجاد النقيضين على سبيل التعاقب شيء آخر، فالأول محال في بدائه العقول، و الثاني معقول واقع دليل على كمال قدرته تعالى.

٥- يتوهم بعضهم أن إحياء الموتى خلاف ما نشاهد و نعرف، فما شاهدنا حدوث مثل هذه الحادثة، فهو دليل على إمتناعه.

و الرد على هذا أن مثل هذا التوهم يرفضه كل عقل سليم، و يعتبره مكابرة، فقد مر أكثر من مرة أن عدم مشاهدة شيء لا يدل على انتفائه و عدم وجوده فمن يرى الروح و العقل؟ و لكنهما حقيقتان مسلمتان لدى كل أحد. و مع ذلك فمن رحمة الله بعباده أنه ذكر أمثلة يعقل بها إمكان الحياة، مثل إحياء الأرض بعد موتها، كما ذكر وقائع تاريخية حدثت فعلا في الأزمنة الماضية و جرت فيها حادثة الحياة بعد الموت، و قد سقنا الآيات التي تدل على ذلك.[٣]

---

(١) ينظر شرح المواقف للمحقق علي بن محمد الجرجاني ٢٦٣/٨ - ٢٦٥، ط : ١٣٢٥ هـ ، مطبعة السعادة بمصر.

(٢) أنظر: أعلام الموقفين ١/ ١٤٠.

(٣) أنظر: ص : ٢٧٦.

فهذه هي توهمات المنكرين لمعاد الأبدان، و استبعدوا البعث، و قد رأيناها كيف حاصرها القرآن الكريم من كل جانب و فندها بأقوى حجة و أوضح برهان.

قيام الساعة و أهوالها على المكذبين:

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُم لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦).

معاني الكلمات:

﴿ الْوَيْلُ ﴾ : الهلاك و الدمار، و يقال لكل من وقع في الهلكة أو استحقها، و يقال: "ويح " لمن لم يستحقها و وقع فيها، فالويل كلمة العذاب، و الويح كلمة الترحم، فاذا قال القائل: يا ويلتاه، فإنما يعني وا فضيحتاه، و كذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ ﴾ [١]. و هناك كلمات أخرى متقاربة المعنى، نحو ويس، و ويه، و ويك، و ويب.[٢]

يقول الراغب: «و من قال: ويل واد في جهنم - أو جبل في النار و نحو ذلك - فإنه لم يرد أن ويلا في اللغة موضوع لهذا، و إنما أراد من قال الله ذلك فيه فقد استحق مقرا من النار و ثبت ذلك له»[٣].

﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى هذا يوم التمييز بين المحسن و المسيئ في الموقف، يقال للمكذبين تقريعا و توبيخا.

﴿ أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾

المراد بأزواجهم أشباههم و أمثالهم في الشرك و غير ذلك من المعاصي، فيجيء

---

(١) الكهف : ٤٩.

(٢) أنظر: المفردات، ص: ٥٣٥، و لسان العرب ٧٣٧/١١ و ما بعدها، و تفسير ابن كثير ١٧٧/١ - ١٧٨.

(٣) المفردات، ص: ٥٣٥.

أصحاب الشرك مع أصحاب الشرك، و أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، و أصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، و أصحاب السرقة مع أصحاب السرقة، و نحو ذلك.[١]

و المراد بما كانوا يعبدون الأنداد و الأصنام، و يعامل هذه المعاملة معهم ليكون في ذلك زيادة لهم في الحسرة و عظيم التخجيل على ما أتوه من عظيم الشرك و كبير المعصية.[٢]

﴿ وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ أى احبسوهم في الموقف ليسألوا عما عملوه في الدنيا عقيدة و سلوكا.

﴿ مَا لَكُم لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أى لأيّ شيء لا ينصر بعضكم بعضا و قد كنتم تزعمون في الدنيا أنكم أخلاء ينصر بعضكم بعضا.

﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ بل هم منقادون لأمر الله هذا اليوم لا يستطيعون أيّ مخالفة لأمره إذ قد سدت أمامهم وجوه الحيل.[٣]

توضيح ما يتعلق بالآيات:

يعبر القرآن الكريم عن انتهاء الحياة الدنيا و ابتداء اليوم الآخر بلفظ الساعة كثيرا و بألفاظ أخرى أحيانا إشارة إلى ما يقع في هذا اليوم الآخر من أمور عظام و أهوال مفزعة.

و من هذه الألفاظ الزجرة كما جاء في قوله تعالى من السورة ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾

فهذه الآيات الكريمة تنبه المكذبين المشركين بأنهم يبعثون بالزجرة الواحدة الشديدة الناشئة من نفخ الملك في الصور.

و قد وردت نصوص كثيرة تدل على أن هذا اليوم - يوم الساعة - عظيم و شديد و رهيب توحي إليها الكلمات الواردة في ذلك نحو القارعة، القيامة، الطامة، الصاخة، الغاشية، الحاقة، و نحو ذلك «مما ينبئ بأن نهاية عالمنا هذا ستكون نهاية مروعة، ترج فيها الأرض، و تدك و تنسف فيها الجبال، و تنفجر فيها البحار، و تطمس فيها النجوم،

---

(١) أنظر: ابن كثير ٤/٩-١٠، و القرطبي ١٥/٧٣.

(٢) المراغي: ٢٣/٥٠.

(٣) المرجع السابق بنفس الصفة.

و تنكدر و تشقق فيها السماء، و تنفطر و تتحطم فيها الكواكب، و تنتشر و تختل فيها المسافات، فيجمع الشمس و القمر، و تبدو السماء مرة كالدخان و مرة ملتهبة حمراء إلى آخر هذا الهول الكوني الرعيب»[١].

و في هذا اليوم الشديد يكون مصير المكذبين الندامة و الحسرة و الهلاك و الدهشة و الخوف و نحو ذلك، كما تدل عليه الآيات ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، ﴿ وَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينَ ﴾ و الآيات الكثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [٢]

و منها قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [٣].

و منها قوله تعالى : ﴿ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [٤]. و نحو ذلك.

هذا هو مصير المكذبين باليوم الآخر، هذا اليوم تعلو وجوههم ذلة و هوان و سواد و غبرة بما اجترحوا السيئات في الدنيا، و أيقنوا نيل الجزاء العادل.

أما مصير المؤمنين فهو عكس مصير المكذبين، فهم ينجون من هول القيامة، و وجوههم ضاحكة مستنيرة راجين من رحمة الله الواسعة بما قدموا من الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٥].

و كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [٦].

و سيأتي الحديث بشيء من التفصيل عما يناله كل من المؤمن و الكافر من الجزاء في موضعه.

---

(١) أنظر: اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص: ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) الأنبياء : ٩٧ - ٩٨.

(٣) المعارج : ٤٢ - ٤٤.

(٤) عبس : ٤٠ - ٤٢.

(٥) آل عمران : ١٠٧.

(٦) عبس : ٣٩.

المبحث الثالث: حساب المؤمنين و جزاؤهم.

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَ لَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (٦١).

معاني الكلمات:

﴿ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ و هو الجنة، و هي معلوم الخصائص من حسن المنظر و لذة الطعم و طيب الرائحة.[١]

﴿ فَوَاكِهُ ﴾ بيان لما تشتمل عليه الجنة، و الفواكه جمع فاكهة، و هي كل ما يتلذذ به، و لا يتقوت لحفظ الصحة، و رزقهم كله فواكه؛ لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ.[٢]

﴿ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ الكأس هي الزجاجة مادام فيها خمر؛ فإذا لم يكن فيها خمر، فهي قدح، و جمعه: كياس، و قيل: كل كأس في القرآن فهي الخمر.[٣]

﴿ غَوْلٌ ﴾ الغول: إهلاك الشيء من حيث لا يشعر به.[٤]

---

(١) تفسير أبي السعود ٥٣٣/٤، و الكشاف ٣٣٩/٣.

(٢) الكشاف ٣٣٩/٣، و المراغي ٥٦/٢٣.

(٣) أنظر: المفردات، ص: ٤٤٣ - ٤٤٤، و لسان العرب ١٨٩/٦ - ١٩٠، و القرطبي ٧٧/١٥ - ٧٨، و الكشاف ٣٤٠/٣.

(٤) المفردات، ص: ٣٦٩، و لسان العرب ٥٠٧/١١، و بصائر ذوي التمييز ١٥٤/٤، و الكشاف ٣٤٠/٣.

﴿ يُنْزَفُونَ ﴾ على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله. و أصله من قولهم: أنزفوا، أى نزعوا ماء بئرهم كله.[١]

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «في الخمر أربع خصال السكر و الصداع و القىء و البول، فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال»[٢].

﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ أي عفيفات قصرن أعينهن على أزواجهن؛ فلا ينظرن إلى غيرهم حياء و عفة.

﴿ عِينٌ ﴾ جمع عيناء، و المعنى واسعة العين مع الحسن و الجمال، و هي أحسن ما تكون من العيون.[٣]

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ شبههن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح و الغبار و الشمس، فلونها أبيض في صفرة، و هو من أحسن ألوان النساء. أو شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر و تمسه الأيدي.[٤]

الحاصل أن العرب تشبه المرأة الحسناء بالبيضة المكنونة لصفائها و بياضها و نعومتها.

﴿ قَرِينٌ ﴾ أى صديق ملازم في الدنيا.

﴿ لَمَدِينُونَ ﴾ أى لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء، يوم الدين: يوم الجزاء، و في المثل كما تدين تدان.[٥] و منه الديان في صفة الله عزوجل.

توضيح ما يتعلق بالآيات:

إن الله أعد لعباده المخلصين الجنة تكريما لهم و تفضلا عليهم ببركة إيمانهم و أعمالهم الصالحة، يتمتعون فيها بجميع أنواع النعم الجليلة مما تدعيه أنفسهم و تشتهيه

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٠، و لسان العرب ٩/ ٣٢٥ و مابعدها، و المفردات، ص ٤٨٨، و بصائر ذوي التمييز ٥/ ٣٧.

(٢) أنظر: ابن كثير ٤/ ١٢، و القرطبي ١٥/ ٧٩.

(٣) المفردات، ص: ٣٥٥، و لسان العرب ١٣/ ٣٠٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٤٠، و القرطبي ١٥/ ٨٠، و ابن كثير ٤/ ١٢ - ١٣، و المفردات، ص: ٦٧.

(٥) أنظر: لسان العرب ١٣/ ١٦٩، و المحرر الوجيز للأندلسي ١/ ١١٠ - ١١٣ فقد جمع الأخير مظان استعمال لفظ الدين و أجاد.

من أحسن و أجمل المطاعم و المشارب و المناكح و الملابس و نحوها مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و نتكلم عن بعضها مما جاء في الآيات المذكورة بشيء من التفصيل في ضوء النصوص:

أولا : تكريمهم بأحسن و أكرم خطاب للمخلصين، فأضاف أنفسهم إلى ذاته الكريمة إشعارا بأنهم من المقربين لديه، و هذا أعز و أغلى شيء للعبد.

ثم أخبر بأنهم مكرمون ينالون جميع أنواع التكريم، فتقدم لهم جميع ما يشتهون بحفاوة بالغة و ترحيب حار و خدمة ممتازة تملأ قلوبهم بالراحة و السرور، و تقر عيونهم و تثلج صدورهم.

يفيد هذه المعاني قوله تعالى: ﴿ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ و ﴿ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ .

ثانيا: طعام أهل الجنة:

يكون طعامهم من أنواع الفواكه لا من قبيل الأغذية، فكل ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه و التلذذ لا لإشباع الجوع؛ لأن الجنة ليس فيها جوع و لا عطش، و لا حر و لا عرى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى ﴾ [1]

هذه الفواكه تشمل جميع فواكه الدنيا، بل أعم و أشمل منها على تفاوت كبير في الطعم و الرائحة و اللون بينهما.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما في الدنيا ثمرة حلوة و لا مرة إلا و هي في الجنة حتى الحنظل».

و عنه أيضا أنه قال: « ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء »[2]

و قد جاء وصف هذه الفواكه في نصوص كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [3]

---

(١) طه : ١١٨ - ١١٩.

(٢) أنظر: ابن كثير ٤/٤٣٢.

(٣) الحاقة: ٢٣.

و منها قوله تعالى: ﴿ وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَّ لاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾ [١]

و منها قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [٢] أى من جميع الثمار مما يعلمون، و مما لا يعلمون.

و هناك أنواع أخرى من الطعام مثل لحم طير و خبز مما يشتهون.

ثالثا: شراب أهل الجنة :

من شراب أهل الجنة خمر لذيذ يطوف به عليهم غلمان كأنهم لؤلؤ مكنون، و يكون مزاجه من تسنيم و كافور و مسك و زنجبيل، كما جاء هذا الوصف في نصوص كثيرة، و أهم ماتتميز به هذه الخمرأنه لا تكون مثل خمر الدنيا التي تسبب السكر و العربدة و و الأمراض المختلفة و ضياع الشرف و الكرامة و نحو ذلك.

و إليه إشارة بقوله تعالى: ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَ لاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾

و قد ورد وصف هذا الشراب في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

يقول جل شأنه: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَّ أَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لاَ يُنْزِفُونَ ﴾ [٣]

فهذه الخمر تجمع جميع المواصفات الحسنة، و تنتفي عنهاجميع الأوصاف القبيحة،

و هناك أنواع أخرى من الشراب ، فقد تجري في الجنة أربعة أنهار ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَّبِّهِمْ ﴾[٤]

رابعا: نساء أهل الجنة :

لقد أعد الله لعباده المؤمنين أزواجا طاهرات عن كل أذى تبتلى به أزواج الدنيا و جميلات بالغات إلى أعلى درجة من الحسن و الجمال و النضارة، فقد أسهب كثير من النصوص في نعت أجسادهن و ملابسهن حسنا و جمالا.

---

(١) الواقعة : ٣٢ - ٣٣.

(٢) الرحمن : ٥٢.

(٣) الواقعة : ١٧ - ١٩.

(٤) محمد : ١٥.

و أكثر الألفاظ ورودا في وصفهن لفظ الحور الذي يدل على أحسن و أجمل صفات في النساء، و الحور جمع حوراء بمعنى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء ،شديد سواد العين. [١]

ثم أكثرها ورودا ما يدل على شدة رغبتهن في أزواجهن، و عدم تطلعهن إلى غيرهم، لفظ قاصرات الطرف، كما جاء في هذه السورة أيضا، و العفة و الحياء أفضل صفات في المرأة فأزواج المؤمنين في الجنة عفيفات الشعور و النظر، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، مصونات لم يمسسهن إنس و لا جان، و هن بعد هذا ناضرات لامعات بياضا ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ كما جاء في السورة و ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ﴾[٢] و ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [٣] من صفات حسنة في نساء أهل الجنة.

ومن السنة ما ثبت أنَ الرسول ﷺ قال: «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها.»[٥].

و قال عليه السلام: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، و التي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، و لكل امرئٍ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، و ما في الجنة أعزب»[٦] إلى غير ذلك من الصفات الجميلة.

خامسا : مجالس أهل الجنة :

---

(١) أنظر: حاوي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، ص: ٢١٨، مطبعة المدني - القاهرة.

(٢) الرحمن : ٥٨.

(٣) الواقعة : ٢٣.

(٤) النصيف : الخمار.

(٥) جزء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة و النار ٥/٢٤٠٢، ٦١٩٩.

(٦) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة القدر، ٤٠/٢١٧٨-٢١٧٩، ٢٨٣٤.

يجلس أهل الجنة على الأرائك، وهي السرر ذوات الحجال التي تعلق، وذوات الفرش متقابلين، ينظر بعضهم إلى وجوه الآخرين مشتاقين إلى زيارتهم تواصلا وتحابا، وكيف لا يشتاقون وقد نزع الله الغل من قلوب المؤمنين قبل دخولهم الجنة، كما قال تعالى: ﴿ إن المتقين في جنت وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين﴾[1]

وكما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[2]

إن الجلوس على هذه الهيئة يورث لذة الاجتماع والتأنس، ويتمم الفرح والسرور، خصوصا إذا كان الجالسون أصحاب القلوب المخلصة والنفوس الطاهرة.

فهؤلاء يتلذذون بكل ممتع ولذيذ حاملدين لله عزوجل ومسبحين له لما من الله عليهم بتوفيقهم بنعمة الإيمان والثبات عليها وإنجائهم من عذاب جهنم.

خامسا: في حوار أهل الجنة:

الآيات المتعلقة بحوار أهل الجنة:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ(٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ(٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ(٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ(٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ(٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَ لَتُرْدِينِ(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ(٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١).

توضيح ما يتعلق بالآيات:

قد مر بنا ذكر معاني الكلمات سابقا، فلنبدأ في توضيح الحوار الممتع بين أهل الجنة.

---

(١) الحجر: ٤٥-٤٧.

(٢) الأعراف: ٤٣.

حينما يتزاور أهل الجنة فيجلسون على أرائكهم متقابلين، وهم على موائد الشرب يبدأون أحاديث ممتعة لذيذة تزيدهم سرورا وحبورا، ويذكرون ما من الله عزوجل عليهم بتوفيقه إياهم لنعمة الإيمان والثبات عليها، فيشكرون الله عليه ويحمدونه.

تصور الآيات لونا من هذه الأحاديث بأن بعض أهل الجنة يخاطب أصحابه المتقابلين عندما يتنعمون بشرب الخمور ويقول لهم: إني كان لي قرين، أي: صديق كان يلازمه في الدنيا، وكان ينكر البعث والجزاء في اليوم الآخر، ومن ثم يحب الدنيا ومالها ويهمه تكثيره وجمعه، ولا يتصدق بشيء من ماله في سبيل الله، فكان يقول لي: أ إنك لمن المؤمنين باليوم الآخر الذي يحاسب الإنسان فيه حسب ما تقول؟ يقول هذا على وجه التعجب والتكذيب.

فتعالو أصدقائي! ونرى مصير هذا القرين الكافر فاطلع فأبصره في وسط الجحيم يصلى نارا حاميه، وعندئذ يتوجه إلى قرينه ليقول له: يا هذا! لقد كدت توردني موارد الهلك بإغوائك لولا أن الله قد أنعم عليّ فعصمني من الوقوع في حبائلك.

«وتثير رويته لقرينه في سواء الجحيم شعوره بجزالة النعمة التي نالها هو وإخوانه من عباد اللّ الصالحين، فيجب أن يؤكدوها ويستعرضها ويطمئن إلى دوامها تلذذا بها وزيادة في المتاع بها فيقول: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وهنا يرد تعليق يوقظ القلوب ويوجهها إلى العمل والتسابق لمثل هذا المصير ﴿ لمثل هذا﴾ النعيم الذي لا يدركه فوت ولا يخشى عليه من نفاد ولا يعقبه موت ولا يتهدده العذاب.

لمثل هذا فليعمل العاملون. فهذا هو الذي يستحق الاحتفال، وماعداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود »[1].

وكل من يدخل الجنة يشعر بالنعمة الجليلة التي أكرم الله بها عباده المخلصين، كما قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا

---

(١) في ظلال القرآن، ٢٣/٢٩٨٨.

كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[١]

فإنه نجا من عذاب جهنم، وفاز بالجنة تفضلا وتكرما من الله بما قام في الحياة الدنيا من الأعمال الصالحة، وهو العظيم. ومن لم ينج من عذابها ولم يفز بالجنة فهو في الخسران المبين على ماتفيده آية: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠) على ما فيها معنى الحصر والتأكيد، وتفيده آيات أخرى كثيرة.

منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[٢] .

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣] ونحو ذلك أكثر من أن تحصى.

هذا من حوار المؤمن مع إخوته المؤمنين في الجنة، يتحدثون بنعمة ربهم عليهم بأدخلهم الله الجنة خالدين فيها، ونجاهم من عذاب النار، في جو مليء بالود الصادق والحب الخالص ينظر البعض إلى البعض شوقا إليه، فهو جو كله راحة ونعيم وسرور وحبور، ليس فيه ما يكدره ألبتة.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن أنواع النعيم في الجنة حسب ما جاء ذكرها في السورة، وهناك أنواع أخرى كثيرة ليس المقام يقتضي بسطها.[٤]

---

(١) الطور: ٢٥-٢٨.

(٢) الزمر: ١٥-١٦.

(٣) الأنفال: ٣٦-٣٧.

(٤) ننظر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، خصوصا حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم، والتذكرة للقرطبي، ونحوهما.

المبحث الرابع: حساب الظالمين وعقابهم

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ(٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّن حَمِيمٍ(٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾(٦٨).

معاني الكلمات:

﴿نُزُلًا﴾ النزل ما يعد للنازل من الضيوف من الطعام والشرب ونحوهما.[١]

﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ وهي مشتقة من التزقم، وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها، وهي طعام أهل النار تكون كريهة مرة يبتلعها أهم جهنم مع الكراهية لشدة الجوع.[٢] والشجرة بهذا الاسم توجد في تهامة، وفي البلاد المجدبة المجاورة للصحراء، تكونصغيرة الورق مرة كريهة الرائحة.[٣]

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ أى: جعلناها محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا، فقد روي أنه لما ذكر شجرة الزقوم فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا - يعني محمدا عليه الصلاة والتسليم- أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجرة؟ فأنزل الله ماتسمعون ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ غذيت بالنار ومنها خلقت.

كما روي أن أبا جهل فرعون هذه الأمة قال لما نزلت: إن شجرة الزقوم تعرفونها في كلام العرب أنا آتيكم بها فدعا جارية فقال: إئتني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد.[٤]

---

(١) انظر: المفردات، ص: ٢٨٩. ولسان العرب، ٦٥٨/١١. وبصائر ذوي التمييز، ٤١/٥.

(٢) انظر: المفردات، ص: ٢١٣. والقرطبي، ٨٥/١٥.

(٣) انظر: القرطبي، ٨٥/١٥. وأبي السعود، ٥٣٧/٤. وروح المعاني، ٩٥/٢٣.

(٤) رواهما ابن جرير بسنده في تفسيره، انظر: تفسيره، ٦٣/٢٣.

﴿ طَلْعُهَا﴾ الطلع في الأصل نور النخلة مادام في الكافور، الواحدة طلعة، والمراد هنا ثمر شجرة الزقوم، سمى به لطلوعه.[١]

﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَٰطِينِ﴾ شبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، ورؤوس الشياطين وإن لم تكن مشاهدة لكنها استقرت في النفوس بشكل كريه فجاز التشبيه بها.[٢]

وقيل: الشياطين ضرب من الحيات رؤوسها بشعة. وقيل: جنس من النبات طلعه في غاية القبح.[٣]

﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ الشوب: الخلط، والشَّوب والشُّوب لغتان كالفقر والفقر، والفتح أشهر.[٤]

والحميم: الماء الشديد الحرارة الذي يقطع أمعاءهم.

قيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظا لعذابهم وتجديدا لبلائهم.[٥]

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم وشربوا الحميم في عذاب غير النار، ثم يردون إليها فتارة في هذا وتارة في هذا، كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٦].[٧]

توضيح ما يتعلق بالآيات:

إن الله عزوجل أعد للكافرين المكذبين جهنم التي فيها جميع أصناف العذاب

---

(١) انظر: لسان العرب، ٢٣٨/٨. والكشاف، ٣٤٢/٣. والقرطبي، ٨٦/١٥.

(٢) انظر: القرطبي، ٨٦/١٥. والكشاف، ٣٤٢/٣. وابن كثير، ١٧/٤.

(٣) انظر: المراجع المذكورة بنفس الصفحات.

(٤) انظر: المفردات، ص: ٢٧٠. ولسان العرب، ٥١٠/١. والقرطبي، ٨٧/٨٥. والكشاف، ٣٤٢/٣.

(٥) القرطبي، ٨٧/١٥-٨٨.

(٦) الرحمن: ٤٤.

(٧) انظر: القرطبي، ٨٨/١٥. وابن كثر، ١٨/٤.

تحقيقا للجزاء العادل، كما أعد للمؤمنين الجنة التي فيها جميع أنواع النعم التي وضحنا بعضها آنفا في المبحث السابق.

إن جهنم لها دركات بعضها أسفل من بعض، كما أن الجنة لها درجات بعضها فوق بعض، فالجنة في مكان عال والنار في مكان سافل.

قال بعض أهل العلم من السلف: درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا.[١]

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٢]

فهذه الآية تدل على أن النار لها دركات وأسفلها مأوى المنافقين.

الحاصل: أن جهنم مليئة بأنواع العذاب كلها، وهي مخيفة جدا بشكلها وهيئتها وقعرها وسعتها - أعاذنا الله منها-.[٣]

ولا نخوض في التفصيل عنها، وإنما نكتفي بذكر ما ورد في هذه السورة من بعض المطاعم والمشارب لأهل جهنم.

من مطاعم أهل جهنم الزقوم:

قد ورد لفظ شجرة الزقوم في غير هذه السورة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[٤]

وقد سماها الله الشجرة الملعونة في كتابه الكريم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي

---

(١) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، للشيخ أبي الفرج بن رجب، ص: ٥٠. تقديم: محمد جميل غازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، المكتبة العلمية، بيروت، وانظر: التذكرة للقرطبي، ٤٤٤/٢.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) قد ورد في كتب الزهد والرقاق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح. انظر: التذكرة للقرطبي، ٤٤/٢ - ٤٤٥. والتخويف من النار، ص: ٥٠-٥١.

(٤) الدخان: ٤٣-٤٥.

أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[١]

وهي شجرة تنبت في قعر جهنم وثمرها قبيح المنظر وكريهة الرؤية كأنها رؤوس الشياطين في غاية القبح، وهي شديدة الحرارة فيغلي في البطون كما يغلى الماء الحار، وهذا الأكل كالمهل وهو النحاس المذاب، ومذاقه مر شديد، شديد الحرارة منتن الرائحة،

كما روي: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه».[٢]

فهم على غاية مرارتها ونهاية نتنها يضطرون إلى أكلها، بل إلى ملئ بطونها لشدة جوعهم، ولكن لا تسد جوعهم بل تزيد ألما وعذابا.

وهناك أنواع أخرى من طعام أهل النار، ذكرها الكتاب والسنة.[٣]

من شراب أهل النار الحميم:

وهو الماء الشديد الحرارة، يغلي بنار جهنم يشوي وجوه شاربيه حينما يقربونه من أفواههم، ويقطع أمعاءهم حينما يشربونه.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٥]

وقال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٦].

---

(١) الإسراء: ٥٠.

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ٣٠٧/٧، ٢٧١١. وقال: هذه حديث حسن صحيح.

(٣) تنظر الكتب المؤلفة في ذلك مثل التخويف من النار لابن رجب، ص: ١١٢-١١٦. والتذكرة للقرطبي، ص: ٤٨٦/٢-٤٨٧. فقد ذكرا كل ما جاء في الكتاب والسنة من مطاعم أهل النار.

(٤) الكهف: ٢٩.

(٥) محمد: ١٥.

(٦) الحج: ١٩-٢٠.

وقد وردت طائفة من أقوال الرسول ﷺ تصف ما في الحميم من الإحراق والعذاب.

قال عليه السلام: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو كالصهر، ثم يعاد كما كان»[1].

وقال ﷺ: في قوله تعالى: ﴿كالمهل﴾ : «كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه»[2] إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح التي تدل على أن الحميم شراب ساخن يحرق الوجوه والحلوق، يعاني شاربه آلاما لا يعلم مداها إلا الله سبحانه.

تخاصم أهل النار:

الآيات المتعلقة بذلك:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ(٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ(٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ(٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَآئِقُونَ(٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ(٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾(٣٤).

---

(١) رواه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث غريب صحيح، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ٣٠٣/٧، ٢٧٠٨.

(٢) رواه التزمذي، من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ٣٠٢/٧، ٢٧٠٧. وابن حبان في صحيحه. انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للحافظ الهيثمي، كتاب البعث، باب في صفة جهنم، ص: ٦٤٩، حققه ونشره: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية.

معاني الكلمات:

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا التساؤل بين الكافرين عبارة عن تلاومهم ومخاصمتهم في عرصات القيامة.[١]

﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ والمراد بالإتيان عن اليمين الإتيان من جهة الخير للنهي عنه.

وقيل: هو الإتيان بالقوة والغلبة.[٢]

﴿ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: تقول القادة للأتباع: ما الأمر كذلك كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.[٣]

﴿ مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: حجة على صحة ما دعوناكم إليه.

﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أي: مجاوزين للحق معاندين له.

﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: دعوناكم إلى ما نحن فيه من الضلال فاستجبتم لنا.

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي: الجميع في النار كل بحسبه.

وهناك أنواع آخرى من الشراب لأهل النار لا يدفع عنهم غائلة العطش بل تزيد عذابا وحريقا.[٤]

---

(١) انظر: القرطبي، ١٥/٧٤. وابن كثير، ٤/٩.

(٢) انظر: ابن كثير، ٤/١٠. والكشاف، ٣/٣٣٨. والمراغي، ٢٣/٥١.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/١٠.

(٤) ينظر: التخويف من النار لابن رجب، ص: ١١٧-١٢١. والتذكرة للقرطبي، ص: ٢/٤٨٦، ٤٩٣. فقد استوعبا هذه الأنواع.

توضيح ما يتعلق بالآيات:

عندما يعاين الكفرة المكذبون بالبعث و الجزاء ما أعده الله لهم من عذاب جهنم يبدأون التلاوم و التخاصم فيما بينهم، فيلقي الأتباع تبعة كفرهم بالله و اليوم الآخر على قادة الضلال بأنهم هم الذين زينوا لهم الباطل و صدوهم عن سبيل الحق، فيلومونهم على ما صاروا إليه من سوء العاقبة، فانقلبوا أعداء أشداء عليهم في الآخرة بعد ما كانوا أحباء في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

و قد صور القرآن الكريم تخاصم أهل النار و تلاومهم في أكثر من موضع في غير هذه السورة.

قال تعالى: ﴿ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَ قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَ أَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُ الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبْعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (٣)

إن الضعفاء يتهمون قادتهم بأنهم أضلوهم عن الإيمان و زينوا لهم الشرك و الكفر و العصيان بأنها تكفل النجاح و الخير و تحقق الآمال و الأطماع، فيرد القادة و المتبوعون عليهم بأننا ما أكرهناكم على اختيار الكفر و العصيان بل أنتم اخترتموه من أنفسكم طغيانا و استكبارا فإنه لا يملك أحد أن يستعبد إنسانا يملك الحرية في الاعتقاد و التفكير و قصارى ما يملكه أن يملك الجسد، و يؤذيه و يعذبه و يحبسه، أما الضمير و الروح و العقل فلا يقدر أحد حبسها و استذلالها.

---

(١) الزخرف : ٦٧.

(٢) سبأ: ٣١ - ٣٣.

(٣) ابراهيم : ٢١.

فالجواب مفحم و قاطع العذر بلاشك، فهم - الضعفاء - اختاروا الكفر و آثروا الطغيان فلا محالة أنهم حاملون أوزارهم، كما أن الطغاة المتبوعين يحملون أوزارهم، و مصير الجميع واحد، و هو النار و إن كانوا متفاوتين في دركاتها فكلهم ضالون غاوون، و من ثم في العذاب مشتركون، و لا ينجي التلاؤم و التخاصم أحدا منه.

و قد صور القرآن الكريم هذا المشهد المخزي للكافرين من الأتباع و القادة في غير موضع تذكرة للناس.

قال تعالى: ﴿ وَ لَوْ يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَ أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَاهُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (١)

فإذا تبرأ المتبوعون من التابعين، و رأوا العذاب فتقطعت بينهم جميع الأواصر و العلاقات، و انشغل كل بنفسه تابعا كان أو متبوعا و طلب الضعفاء من الله أن يزيد عذاب الطغاة المتبوعين، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيْلا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (٣) و نحو ذلك مما يفيد أن جميع المكذبين باليوم الآخر يصيرون أعداء فيما بينهم حينما يرون سوء عاقبتهم يوم القيامة، فيتخاصمون و يتلاومون و يتلاعنون.

هذا هو مصير العلاقات التي أسست على الكفر بالله و اليوم الآخر و العناد لرسالاته حسرة و ألم و عذاب.

و أما مصير العلاقات التي أقيمت على الإيمان بالله و اليوم الآخر و الاتباع لرسالاته فهو مصير سعيد يزيد سرورا و فرحة في الجنة.

---

(١) البقرة : ١٦٥ - ١٦٧

(٢) الأحزاب : ٦٧ - ٦٨.

(٣) الأعراف : ٣٨.

الخاتمة

أذكر فيما يلي ما توصلت إليه من أهم النتائج التي توخيتها بكتابة هذه الرسالة في ضوء النصوص من الكتاب و السنة.

نتائج الفصل الأول:

أولا : أن توحيد الألوهية لله عزوجل - أى الاعتراف بأن الله عزوجل هو وحده المعبود الحق، لا شريك له في ألوهيته - هو غاية عظمى خلق الإنس و الجن لتحقيقها، و لتحقيق هذه الغاية العظمى أنزل الله كتبه و أرسل رسله.

ثانيا: أن تحقيق ألوهيته عزوجل يفرض إطاعته المطلقة في جميع الأمور الشعائر التعبدية و الأمور الأخرى من غيرها من السياسة و الاقتصاد و الاجتماع و الأخلاق و نحو ذلك.

و من فرق بين هذه الأمور ما حقق توحيد الألوهية، بل أشرك غيره في الألوهية.

ثالثا: أن بين توحيد الربوبية لله عزوجل - أي الاعتراف بأن الله وحده هو الرب، أى الخالق لكل شيء و المتصرف في كل شيء و المهيمن على كل شيء - و بين توحيد الألوهية علاقة تلازم بمعنى أن الـــــذي هو الرب وحده يستلزم أنه المعبود وحده. هو يستحق أن يصرف إليه جميع أمور العبادة فلا يخاف إلا منه، و لا يتوكل إلا عليه، و لا يستعان إلا به، و لا يسجد إلا له، و لا يركع إلا له، و لا يرجى إلا منه، و لا يطاع إلا هو؛ فإنه وحده يملك النفع و الضر، لا غيره.

رابعا: أن توحيد الأسماء و الصفات معناه أن يوصف الله بما وصف نفســـه و رسوله من الأسماء و الصفات نفيا و إثباتا من غير تكييف و لا تمثيل و لا تحريف و لا تعطيل.

خامسا: أن العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة علاقة تكامل و تلازم يكمل بعضها بعضا، و لا ينفع أحدها بدون آخرين.

نتائج الفصل الثاني:

أولا : أن الشرك حدث طارئ في حياة الإنسان و التوحيد هو الأصل تؤيده النصوص الواضحة كماتؤيده الأبحاث الحديثة المعاصرة لتاريخ الإنسان، لكن حدث الشرك في حياة البشر بسبب عوامل داخلية و خارجية.

ثانيا: إن الشرك باطل مرفوض يرفضه العقل السليم و الفطرة السليمة، فقد أثبت إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام بطلانه بالبراهين الواضحة الفطرية، و أفحم قومه المعاندين بما هم معترفون به من أن الربوبية صفة مختصة بالله عزوجل، و كل ما سواء مربوب محتاج لا يستحق أن يصرف إليه نوع من العبادة.

و مثله أثبت النبي إلياس عليه السلام بطلانه.

ثالثا: أن مزاعم المشركين تجاه الملائكة - أى كونهم إناثا و بنات لله سبحانه، و اتصافهم بالألوهية - كلها مزاعم خرافية ليس لها ، أي سند من دليل صحيح بل هي وليدة الأوهام الشركية الشيطانية.

رابعا: أن الملائكة عباد مكرمون عند الله عزوجل، يقومون بتنفيذ أوامره، و لا يعصونه في شيء من أمره عزوجل، و هم أصناف مؤكلون لتدبير أمور الكون.

خامسا: أن الملائكة مخلوق مستقل مغاير في خلقهم للإنس و الجن. و القول بأنهم عبارة عن العقول و الأفلاك و القوى الطبيعية و نحو ذلك، قول مخالف للثابت من الكتاب و السنة و اللغة.

نتائج الفصل الثالث:

أولا: الناس يحتاجون إلى الرسالة أكثر من حاجتهم إلى غيرها، و بدون الرسالة لا يستطيعون معرفة ما جاء به الرسل عليهم السلام إجمالا في الأمور الخارجة عن نطاق العقل من أمور الغيب و تفصيلا في غيرها، ممّا يستطيع العقل إدراكه إجمالا، و لكن لا يهتدي إلى تفاصيله و معرفة حقائقه.

ثانيا: أن الله عزوجل يكرم رسله بمزايا و خصائص لا توجد في غيرهم من إنزال الوحي و عصمتهم من الذنوب و تأييدهم بالآيات البينات التي تدل على نبوتهم ليمكن تحقيق الهدف المنشود من إرسالهم.

ثالثا: أن الأنبياء عليهم السلام يتمتعون بأعلى وأكمل درجة من الإيمان والإحسان اللذين هما مصدرا جميع الصفات الحسنة.

رابعا: أن الله عزوجل يؤيدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم و ينصرهم على أعدائهم في خاتمة المطاف حينما استمروا على عنادهم و استكبارهم إحقاقا للحق و إبطالا للباطل.

خامسا: أن رؤيا الأنبياء وحي تثبت به أحكام الشرع، و أما رؤيا غيرهم من المؤمنين فهي ليست كذلك، إنما هي بشرى من الله عزوجل، و أما رؤيا الكافر فقد تكون صادقة و قد تكون كاذبة، و هو أكثر.

سادسا: أن الذبيح هو إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، لا إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام؛ لأن ظاهر الأدلة يؤيد أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام.

نتائج الفصل الرابع:

أولا : أن الكهانة بالمعنى العام هو إدعاء معرفة الغيب زورا و كذبا، و الكهانة بالمعنى الخاص الذي نحن بصدد إبطالها هو استراق الجن من أخبار السماء ثم إلقاؤه إلى الكاهن.

ثانيا: أن الجن مخلوق مستقل مغاير للإنس و الملائكة، و الأدلة لإثباته متظافرة من الكتاب و السنة و الإجماع. فتأويل هذا المخلوق بالقوى أو النفر الغريب من الإنس تأويل باطل مناف لما ثبت من الأدلة الواضحة.

ثالثا: أن الجني كلما يصعد إلى السماء منطقة الجو لاستراق السمع يرمي بشهاب ثاقب، و كان يرمي به قبل مبعث خاتم النبيين محمد ﷺ ، و لكن زيد الرمي بعد مبعثه ﷺ حفظا لرسالته فبطلت الكهانة و زالت عن ساحة الوجود، و ما بقيت، إلا كالخطفة التي يخطفها الجني و يكذب معها مائة كذبة.

رابعا: أن الجني لم يقدر أبدا أن يسترق من أخبار الأمور الغيبة المحضة التي استأثر الله وحده بعلمها، و لا من أخبار الوحي المنزل على النبي، و إنما استطاع استراق بعض من أخبار السماء التي تتعلق بشئون الكون، وحينما يحاول الجني استراقه يرمي بالشهاب الثاقب، و هو إما يقتله أو يشوهه، و لا يفوز بالقاء الخطفة إلى الكاهن إلا نادرا جدا.

خامسا: أن الكاهن من أولياء الشيطان، و الإتيان عنده محرم، فقد ورد الذم الشديد و الوعيد الأكيد لمن يأتي الكهنة.

سادسا: أن التنجيم من أنواع الكهانة، و هذه الصناعة حدثت عند الصابئين الذين أرسل الله خليله إبراهيم عليه السلام إليهم، و هم كانوا يعتقدون أن الكواكب و النجوم مدبرة الكون كله، و هو شرك في الربوبية، و من ثم يعبدونها، و هو شرك في الألوهية.

سابعا: أن عقائد الصابئين في النجوم بأنها حية مختارة، و أنها قوى روحانية، و أنها ملائكة في لسان الشرع، و نحو ذلك، لا دليل لهم على ذلك، بل هناك أكثر من أدلة يردها و يبطها.

ثامنا: أن المشغوفين بهذه الصناعة قد ارتكبوا التأويلات البعيدة الركيكة للنصوص لتأييدها مع أنها لا تؤيدها، لا من قريب و لا من بعيد.

تاسعا: أن المنجمين ظهر كذبهم في أكثر أحكامهم و تنبؤاتهم و تكهناتهم مما يدل على أن صناعة التنجيم صناعة خرافية وهمية.

عاشرا: إن هذه الصناعة مثل صناعة الكهانة حرام ، فهي من السحر المحرم، و ممارسها في حكم الساحر.

حادي عشر: أن إنكار الآثار المشهودة للنجوم و الكواكب لا يجوز للعاقل، فإن الله أودع في أشياء الكون من قوى و طبائع لها آثار معاينة لا يمكن إنكارها.

ثاني عشر: أن التعلم بمنازل الكواكب و النجوم و صفاتها و حركاتها و نحو ذلك لمعرفة جهة القبلة و معرفة المصالح الدنيوية و الدينية جائز و مباح، كالتعلم بصفات الأرض.

نتائج الفصل الخامس:

أولا : أن الإيمان باليوم الآخر أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله عزوجل، و تأتي أهميته من عدة نواح: ناحية نفسية، و ناحية أخلاقية، و ناحية سعادة إنسانية، و نحو ذلك.

ثانيا: أن البعث هو إعادة أرواح الموتى إلى أبدانهم الأولى التي كانوا فيها في الحياة الدنيا للمحاسبة و الجزاء.

ثالثا: أدلة البعث أدلة قاطعة، و هي كثيرة متنوعة يمكن حصرها في نوعين رئيسيين: الأول أدلة عينية، و الثاني اعتبارية.

رابعا: أن المنكرين للبعث الجسماني ليس عندهم ما يقوم حجة إلا الاستغراب و الاستبعاد و التعجب مما يدل على جهلهم بكمال قدرة الله عزوجل، و كمال علمه عزوجل، و هي لا تنهض دليلا و برهانا.

خامسا: أن المؤمنين بالله و باليوم الآخر ينالون جزاء حسنا وفق أعمالهم الحسنة، فيدخلون الجنة خالدين فيها، و يتمتعون فيها بجميع أنواع النعم.

سادسا: أن المكذبين باليوم الآخر يلقون جزاء سيئا وفق أعمالهم السيئة فيدخلون جهنم خالدين فيها و يذوقون جميع أنواع العذاب.

سابعا: أن المكذبين ينقلبون أعداء فيما بينهم يوم القيامة فيتخاصمون و يتلاومون، فالضعفاء يلقون تبعة كفرهم على كبرائهم؛ لما أنهم زينوا الكفر و العصيان لكنهم يتبرؤون من تبعة كفرهم، فإنهم اختاروا الكفر و العناد بدون الإكراه، و من ثم مصير الجميع واحد، و هو دخولهم جهنم، و إن كانوا متفاوتين في دركاتها.

هذا و أدعو من الله العظيم بأسمائه الحسنى و صفاته العليا أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، و أن يدخلنا جنة النعيم بفضله و منه، إنه تعالى جواد كريم، بر رؤوف رحيم. و أصلي و أسلم على عبده و رسوله محمد و على آله و أصحابه و أتباعه أجمعين.

فهرس الآيات القرآنية

الآيــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
رب العالمين.	١	٣٠
سورة البقرة		
الذين يؤمنون بالغيب.	٣	٢٢٢
يا أيها الناس اعبدوا ربكم ...	٢١-٢٢	٤٢
وأنزل من السماء ماء ...	٢٢	٢٣١
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله....	٢٣	٧٧
هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا.	٢٩	٣٧
يا ءادم أنبئهم بأسمائهم ...	٣٣	١٢٣
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...	٣٤	٢٠٠
فأزلهما الشيطان عنها ...	٣٦	٢٣١
وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك ...	٥٥-٥٦	٢٧٤
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم.	٦٢	٢٦٤
وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس.	٨٧	٩٥
ولما جاءهم كتاب من عند الله	٨٩-٩٠	٥٣
بديع السموات والأرض.	١١٧	٣٦
صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عـبدون.	١٣٨	٣٨
وكذلك جعلنا كم أمة وسطا ...	١٤٣	٤٦
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ...	١٦٣-١٦٤	٤٢
وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها...	١٦٤	٢٣٢
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ...	١٦٥-١٦٧	٢٩٠
قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا...	١٧٠	٥١-٦٥
ولكن البر من ءامن بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين	١٧٧	٢٦٤
ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله ...	٢٣٢	٢٦٨

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
أو كالذي مر على قرية ...	٢٥٩	٢٧٤
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ...	٣٤٣	٢٧٤
سورة آل عمران		
إني قد جئتكم بآية من ربكم ...	٤٩	١٣٠
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا.	٨٠	٣٠
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم...	٨٦-٨٧	١٠٠
وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون.	١٠٧	٢٨٣
سورة النساء		
خلقكم من نفس واحدة.	١	٣٦
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك ...	٦٠	٢٧
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...	٦٥	٢٩
فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول	٥٩	١٧٧
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير.	٥٩	٢٦٤
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله	١٠٥	١٢٢
إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطـنا مريدا.	١١٧	٢٥٥
إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.	١٤٥	٢٩٤
وكلم الله موسى تكليما.	١٦٤	١٥٤
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ...	١٦٥	١١٧
سورة المائدة		
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه ...	١٨	٨٠
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.	٤٤	٢٩
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون.	٤٥	٢٩
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.	٤٧	٢٩
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم ...	٦٣	٢٥٩
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ...	٧٩	٢٥٩

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني.	١١٠	٣٦-٧٠
وإذ أوحيت إلى الحواريين أن ءامنوا بي وبرسولي.	١١١	١٢٢
سورة الأنعام		
وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا النهار تجري من تحتهم.	٦	٢٣٢
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون.	٣٣	٦
ولقد كذبت رسل من قبلك.	٣٣	٦
والموتى يبعثهم الله	٣٦	٢٦٩
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.	٤٥	٨٤
قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب.	٥٠	٢٢٢
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.	٥٩	٢٢٢
وهو الذي يتوفاكم بالليل	٦٠	٢٧٥
وهو القاهر فوق عباده ...	٦١	٩٩
وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق.	٧٣	٣٧
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ...	٧٥-٧٩	٢٥٢
أتحاجوني في الله وقد هدان ...	٨٠-٨٣	٦٥
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.	٩٠	١١٥
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم...	١٠٠	١٠٧
أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة	١٠١	٧٨-١٠٧
بديع السموات والأرض.	١٠١	٣٦
لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.	١٠٣	٤٤
قل إنما الآيات عند الله	١٠٩	١٣٠
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والإنس.	١١٢	١١٤
ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين	١١٤	٢٧
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم.	١٢١	١٢٢
أو من كان ميتا فأحييناه ...	١٢٢	١١٧
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين...	١٦٢-١٦٣	٢٦

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الأعراف		
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ...	١١-١٢	٥٠
	١٢	١٩١
قال فاهبط منها ...	١٣-١٧	٥٠
إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم.	٢٧	١٩٤
وكلما دخلت أمة لعنت أختها ...	٣٨	
ونزعنا ما في صدورهم من غل.	٤٣	٢٨٩
ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.	٥٤	٢٧
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ...	٥٤	٢٤٣
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.	٥٩	١٤٥
قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلـل مبين ...	٦٠-٦١	١٤٦
ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ...	٨٠-٨٤	١٥٩
وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض	١٢٧	٥٢
قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ...	١٨٨	٢٢٤
خلقكم من نفس واحدة.	١٨٩	٣٦
سورة الأنفال		
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...	٢-٤	١٣٨
إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ...	١١	٢٣٢
والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ...	٣٦-٣٧	
سورة التوبة		
وقالت اليهود عزير بن الله ...	٣٠	٧٨
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ...	٣١	٢٨
سورة يونس		
إنه يبدأ الخلق ثم يعيده.	٤	٢٦٩
هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا وقدره منازل ...	٥	٢٥٠-٢٥٢

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ...	١٥	١٣٠
هؤلاء شفعاءنا عند الله	١٨	٢٤٠
ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط ...	٧٤	١١٦
أ سحر هذا ولا يفلح الساحرون	٧٧	٢٥٦
وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين.	٨٣	٥٢
فلولا كانت قرية آ منت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس ...	٢٦	١٦٥
سورة هود		
إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم	٢٦	١٤٥
قال يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ...	٣٢	١٤٦
وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن ...	٣٦	١٤٦
قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.	٤٣	١٣١
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ...	٣٨	١٤٦
وما ءامن معه إلا قليل.	٤٠	١٤٦
وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبوا في ديارهم جاثمين.	٦٧	٩٦
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ...	٧٠	٨٨
فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.	٧١	١٥٢-١٨١
أءلد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا.	٧٢	١٨٢
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها...	٨٢-٨٣	١٥٩
	٨٢	٩٦
سورة يوسف		
إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا...	٤-٥	١٦٩
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث.	٦	١٦٩
وما أنت بمؤمن لنا ...	١٧	١٣٨
قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ...	٢٣	٣١
ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا...	٣٦	١٦٩

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
إن الحكم إلا لله .	٤٠	٢٧
أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه .	٤٢	٣١
وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ...	٤٣	١٧٠
ارجع إلى ربك .	٥٠	٣١
سورة الرعد		
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر.	٢	٢٤٢
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله.	١١	٩٨
قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار.	١٦	٣٧
جنات عدن يدخلونها ...	٢٣-٢٤	٩٧
سورة إبراهيم		
أ في الله شك فاطر السموات والأرض .	١٠	٣٨
وبرزوا لله جميعا...	٢١	٢٩٠
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار.	٣٣	٢٤٣
سورة الحجر		
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ...	١٤-١٥	٦
إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين.	١٨	٢٢٦
ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.	٢٦-٢٧	١٩٠
والجان خلقناه من قبل من نار السموم	٢٧	٢٠٤
قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ...	٣٩-٤٠	٥١
إن المتقين في جنات وعيون ...	٤٥-٤٧	٢٨٩
أ بشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون.	٥٤	١٨٢
فأخذتهم الصيحة مشرقين ...	٧٣-٧٤	١٥٩
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين.	٩٤-٩٥	٩٥
سورة النحل		
أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون.	١٧	٣٦

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ...	٣٦	١١٥
ويجعلون لله البنات سبحانه ...	٥٧-٥٩	٧٤
ولله المثل الأعلى .	٦٠	٤٤
قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا.	١٠٢	٩٤
إن إبراهيم كان أمة قانتا.	١٢	١٥٣
سورة الإسراء		
ولا تقف ما ليس لك به علم ...	٣٦	٢٦٠
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ...	٦٠	٢٩٤-٢٩٥
ولا تجد لسنتنا تحويلا.	٧٧	١٤٩
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.	٨٥	٤٠
فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا.	١٠١	٥٢
سورة الكهف		
وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ...	٢٩	٢٩٥
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب.	٤٩	٢٨١
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس...	٥٠	٢٠٩
سورة مريم		
سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا.	٤٧	٦٥
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب.	٤٩	١٧٩
إنه كان صادق الوعد.	٥٤	١٨٠
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ...	٨٨-٨٩	٧٨
سورة طه		
ولتصنع على عيني.	٣٩	١٣٢
ولا يفلح الساحر حيث أتى.	٦٩	٢٥٧
إنه لكبيركم الذي علمكم السحر.	٧١	٥٢
واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري ...	٢٩-٣٦	١٥٤

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى فإنك لا تظمؤفيها ولا تضحى	١١٨-١١٩	٢٨٦
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى.	١٢٢	١٣٤
ولو أنا أهلكنا بعذاب من قبله لولا أرسلت إلينا رسولا ...	١٣٤	١١٧
سورة الأنبياء		
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.	٢٢	١٧
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.	٢٥	١١٥
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ...	٢٧	٨٩
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون.	٣٣	٣٧
وهم من خشيته مشفقون.	٢٨	٩٣
يسبحون الليل والنهار لا يفترون.	٢٠	٩٠
ولقد آتينا إبراهيم رشده ...	٥١-٥٢	٦٢-٦٣
قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين.	٥٣	٦٤
قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين....	٥٥-٥٦	٦٤
فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم يرجعون.	٥٨	٦٠
قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين....	٦٠-٦١	٦٧
قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ...	٦٢.٦٣	٦٧
إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.	٦٤-٦٥	٦٨
أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم ...	٦٦-٦٧	٦٨
يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ...	٦٩-٧٠	٧٩، ١٥١
وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين	٧٠	١٥٢
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك ...	٨٢	١٩٥
وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه .	٨٧	١٦٦
فاستجبنا له فنجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين.	٨٨	١٦٥

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.	١٠٧	٢٠٨
وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين.	٨٥	١٨٠
واقترب الوعد الحق ...	٩٧-٩٨	٢٨٣
كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين.	١٠٤	٢٦٩
سورة الحج		
يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر ما في بطونهم والجلود.	١٩-٢٠	٢٩٥
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ...	٧٣	٢٥٥
سورة المؤمنون		
قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ...	١-٥	١٣٨
لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.	١٢	٣٦
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن.	٧١	٢٠١
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله.	٨٦-٨٧	٣٧
قل رب إما تريني ما يوعدون ...	٩٣-٩٥	١٥٧
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون.	١١٦	٢٦٧
سورة النور		
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ..	٢	٢٦٨
إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله. ...	٥١	١٣٨
سورة الفرقان		
وخلق كل شيء فقدره تقديرا.	٢	٣٧
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين.	٣١	١١٤
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا	٦١	٢٥٠
سورة الشعراء		
قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين.	١٦	١٤٦
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ...	٢٠-٢٢	٢٢٥
ربكم ورب آبائكم الأولين.	٢٦	٣٠

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ...	٦٩-٧٣	٦٣
فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ...	١١٩-١٢٢	١٤٨
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ...	١٧٤-١٧٥	١٦٠
نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين.	١٩٣-١٩٤	٩٤
نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين	١٩٣	١٢٣
وإنهم عن السمع لمعزولون.	٢١٢	٢١٥
سورة النمل		
وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون.	١٧	١٩١-١٩٥
وسلام على عباده الذين اصطفى.	٥٩	١٤٨
أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً ...	٦٠-٦٤	٤٣
قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ...	٦٥	٢٢٢
صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون.	٨٨	٣٩
سورة القصص		
إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا ...	٣-٤	١٥٥
كل شيء هالك إلا وجهه.	٨٨	١٠٩
سورة العنكبوت		
فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ...	١٤	١٤٤
فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين.	١٥	١٤٨
وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه	١٦-١٧	٦٣
ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ...	٣١-٣٥	١٥٩
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله.	٦١	٣٧
فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون	٦٥	١٤٩

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الروم		
فهذا يوم البعث ...	٥٦	٢٦٩
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ...	٢٧	٢٦٩-٢٧٦
		٢٧٧
فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ...	٣٠	٢٩، ٣٨
سورة لقمان		
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله.	٢٥	٣٧
إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ...	٣٤	٢٢٢
سورة السجدة		
يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ...	٥	٤١
وقالوا أ إذا ضللنا في الأرض أ إنا لفي خلق جديد ...	١٠	٢٧٨
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون.	١١	٩٩
متى هذا الفتح إن كنتم صادقين.	٢٨	١٥٧
سورة الأحزاب		
وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما.	٤٣	٩٩
ولن تجد لسنة الله تبديلا.	٦٢	١٤٩
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ...	٦٧-٦٨	
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ...	٦٩	١٣٥
سورة سبأ		
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ...	٣	٢٧٨
ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ...	١٢-١٣	١٩٥
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابّة الأرض تأكل منسأته ..	١٤	٢٢٣
بلدة طيبة ورب غفور.	١٥	٣٠

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ...	٢٣	٩٣
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ...	٢٨	٢٠٨
ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ...	٣١-٣٣	
سورة فاطر		
الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا ...	١	٨٦
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ...	٤١	
سورة يس		
خلق الإنسان من نطفة .	٤	٣٦
أ لم يرو كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون.	٣١	٩
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. ...	٣٩-٤٠	٢٤٣
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة .	٧٩	٢٧٧
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون.	٨٠	٢٧٨
أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم.	٨١	٢٧٥
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.	٨٢	٢٧٩
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.	٨٣	٤٢
سورة الصافات		
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد	٦-٧	٢١٩
فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم.	٨٩	٢٥٠
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون.	١٥٨	٢٠٣
سورة ص		
فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك ...	٢٤-٢٥	١٣٤
وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار	٤٧	١٣٢
قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.	٨٦	٥٥

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الزمر		
ليقربونا إلى الله زلفى ...	٣	٢٤٠
خلقكم من نفس واحدة.	٦	٣٦
قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ...	١٥-١٦	
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون.	٤٥	٢٣
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ...	٦٨	٩٦، ١٠٨
سورة الغافر		
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم.	٧	٩٠، ٩٧
لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.	٥٧	٢٧٥
سورة فصلت		
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ...	٣٠	٩٩
فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون	٣٨	٨٨
ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ...	٣٩	٢٧٦
سورة الشورى		
والملائكة يسبحون بحمد ربهم.	٥	٩٠
ليس كمثله شيء ...	١١	٤٤
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ...	٥١	١٢٢
سورة الزخرف		
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم.	٩	٣٧
وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين ...	١٥، ١٩	٧٧
أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين.	١٦	٧٥
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ...	١٩	٧٦
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين.	٣٦	١٧٣

الآيـــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين.	٥٤	٥٢
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.	٦٧	
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون.	٧٧	٩٨
سورة الدخان		
إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون.	٤٣-٤٥	٢٩٤
سورة الجاثية		
أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا ...	٢١	٢٦٧
سورة الأحقاف		
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ...	٢٩	٢٠٢
إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ...	٣٠	٢٠٣
سورة محمد		
وسقوا ماءا حميما فقطع أمعاءهم	١٥	٢٩٥
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ...	١٥	٢٨٧
سورة الفتح		
لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ...	٢٧	١٢٢، ١٧٥
سورة الحجرات		
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...	١٥	١٣٨
سورة ق		
قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ	٤	٢٧٨
إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد.	١٧-١٨	٩٨
سورة الذاريات		
والذاريات ذروا والحاملات وقرا.	١-٢	٢٥١
فالمقسمات أمرا.	٤	١٠٣-٢٥٠
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ...	٢٤-٢٨	٨٨

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ...	٥٦-٥٨	٢٤
	٥٦	١٩٠
سورة الطور		
والطور وكتاب مسطور .	١-٢	٢٥١
والبيت المعمور .	٤	٩٢
وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ...	٢٥-٢٨	٢٩٠-٢٩١
فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون.	٢٩	١٨٧
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون.	٣٥	٣٨
أم له البنات ولكم البنون.	٣٩	٧٥
سورة النجم		
ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى	٢١-٢٢	٧٥
إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا.	٢٨	١٧٨
سورة القمر		
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر .	٩	١٤٦
فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ...	١٠.١٤	١٤٧
ولقد تركناها آية فهل من مدكر ...	١٥-١٧	١٤٨
سورة الرحمن		
وخلق الجان من مارج من نار .	١٥	٣٦-١٩٠
يطوفون بينهـا وبين حميم آن.	٤٤	٢٩٣
فيهما من كل فاكهة زوجان.	٥٢	٢٨٧
كأنهن الياقوت والمرجان.	٥٨	٢٨٨
سورة الواقعة		
يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق ...	١٧-١٩	٢٨٧
كأمثال الؤلؤ المكنون.	٢٣	٢٨٨
فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم .	٧٥-٧٦	٢٤٩

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة الحديد		
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ...	٢٥	١١٦-١٢٤
سورة الطلاق		
ومن قدر عليه رزقه ...	٧	١٦٧
سورة التحريم		
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ...	٦	٨٦
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	٦	٨٩
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ...	١٠	١٦٠
سورة الملك		
الذي خلق سبع سموات طباقا ...	٣-٤	٣٩
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين.	٥	٢١٩
سورة القلم		
أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون.	٣٦	٢٦٧
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم.	٤٨	١٦٥
سورة الحاقة		
وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية.	٦	١٠٣
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية.	١٧	٨٧
فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية.	٢١-٢٣	٢٨٦
ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون.	٤٢	١٨٧
سورة المعارج		
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم ...	٤٢-٤٤	٢٨٣
سورة نوح		
رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا...	٥-٧	١٤٥
واصروا واستكبروا استكبارا.	٧	٥٥
استغفروا ربكم إنه كان غفارا ...	١٠-١٢	١٤٥

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا...	١٣-٢٠	١٤٥
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا.	٢٣	٥٦
قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ...	٢٦-٢٧	١٤٧
رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.	٢٦	١٤٢
سورة الجن		
قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن.	١	٢٠٣، ٢١٥
يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا.	٢	٢٠٢
وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا.	٨-٩	٢١٥
وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا.	٩	٢١١
وأنا لا ندري أ شرّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا.	١٠	٢٢٣
فلا يظهر على غيبه أحدا.	٢٦	٢٢٣
فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا.	٢٦-٢٧	٢٢٤
ليعلم أنه قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم فأحصى كل شيء عددا.	٢٨	٢٢٤
سورة المدثر		
وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر.	٢٧-٣١	٩٧
سورة المرسلات		
والمرسلات عرفا ...	١-٥	١٠٣
سورة النبأ		
ألم نجعل الأرض مهدا والجبال أوتادا ...	٦-١٦	٣٩
سورة النازعات		
والنازعات غرقا والناشطات نشطا.	١-٥	١٠٣
	٥	٢٥١

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
أ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها.	٢٧-٣٣	٢٧٥
سورة عبس		
وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة	٣٩	٢٨٣
وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة.	٤٠-٤٢	٢٨٣
سورة التكوير		
فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس.	١٦	٢٥٠
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين.	١٩-٢١	٩٤
إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ...	١٩-١٥	٢٢٥
سورة الانفطار		
وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون.	١٠-١٢	٩٨
سورة الانشقاق		
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه.	٦	٢٦٥
سورة الأعلى		
سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى.	١-٣	٣٩
سورة الفجر		
أ لم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ...	٦-١٣	٥٥
و أما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن.	١٦	١٦٧
سورة الليل		
والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى.	١-٢	٢٥١
سورة العلق		
كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة ...	١٥-١٨	٩٧-٩٨

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	راوي الحديث	الصفحة
إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ...	أبو هريرة	٢٥٧
إذا ذكر القدر فأمسكوا ...	ابن مسعود	١٠٠-١٠١
إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة ...	أبو هريرة	٩٣، ٢١٢
إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب ...	أبو هريرة	١٠٠
أربع في أمتي من أمر الجاهلية ...	أبو مالك الأشعري	٢٥٧
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء ...	جابر بن عبد الله	٢٠٨
ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ ...	جابر بن سمرة	٩١
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم ...	عدي بن حاتم	٢٨
إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ...	أبو هريرة	٢٨٨
إن جبرئيل ذهب بإبراهيم عليه السلام ...	ابن عباس	١٨٠
إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ...	أبو هريرة	١٠٠
إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ...	أنس بن مالك	١٧١
إن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة ...	ابن عباس	١٨٣
إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان ...	أبو سعيد الخدري	١٩٢
إن العبد إذا وضع في قبره وتولى منه ...	أنس بن مالك	٩٩
أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش ...	جابر بن عبد الله	٨٧
إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم...	أبو هريرة	٢٩٦
إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت ...		١١٦
إن لي وزيرين من أهل السماء ...	أبو سعيد الخدري	٩٧
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ...	أبو مسعود	٢٥٣
إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه ...	أبو بكر الصديق	٢٥٩
إنطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه...	ابن عباس	٢١٤-٢١٥
إن موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا...	أبو هريرة	١٣٥
إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون ...	أبو هريرة	١٠٠
إن نوحا عليه السلام أو رسول بعث ...	أنس وأبو هريرة	٥٨
إنما هذا من إخوان الشياطين...	أبو هريرة	٢١٣

الحديث	راوي الحديث	الصفحة
إني أسمع أطيط السماء ...	حكيم بن حزام	٩١-٩٢
إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ...	أبوهريرة وابن عباس	١٧٨
إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين ...	عياض بن خمار	١٨
أهجهم وجبرئيل معك.	براء بن عازب	٩٥
بعثت إلى كل أحمر وأسود.	جابر بن عبد الله	٢٠٨
بينما رجل في فلاة من الأرض إذ سمع صوتا ...	أبو هريرة	١٠١
تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني.	عائشة أم المؤمنين	٢١٢
ثم رفع بي إلى البيت المعمور ...	مالك بن صعصعة	٩٢
حتى يلقاها ربها ...	زيد بن خالد الجهني	٣١
خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار ...	عائشة أم المؤمنين	٨٦-١٩١
رأى جبرئيل عليه السلام في صورته ...	ابن مسعود	٨٦-٨٧
رؤيا الأنبياء في المنام وحي.		١٧٥
الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان ...	أبو قتادة	١٧٠
الرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ...	أبو هريرة	١٧١
رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء ...	عبادة بن الصامت	١٧١
الرعد ملك من ملائكة الله مؤكل بالسحاب ...	ابن عابس	١٠٢
رفع القلم عن ثلاث - وفيه: وعن النائم ...	علي بن أبي طالب	١٧٧
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام ...	أبو سعيد الخدري	٨٤
عدة الأنبياء مائة ألف وأربع وعشرون ألفا ...	أبو أمامة	١١٣
عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ...	ابن عباس	١١٤
العيافة والطيرة والطرق من الجبت ...	قبيصة	١٨٨
فضلت على الأنبياء بست ...	أبو هريرة	٢٠٨
فيأتون نوحا يوم القيامة فيقولون ...	أبو هريرة	١٤٤
قد يئست العزى أن تعبد بأرض العرب	خالد بن وليد	٢٥٦
قلت: يا جبرئيل على أيّ شيء أنت ...	عبد الله بن عباس	٩٦
قلت: يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية ...	معاوية بن حكم السلمي	٢٢٨
كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه ...	ابن عباس	٢١٧-٢١٨
الكبر بطر الحق وغمط الناس.	ابن مسعود وأبو هريرة	٥٥

الحديث	راوي الحديث	الصفحة
كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت ...	أبو سعيد الخدري	٢٩٦
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ...	أبو هريرة	١٧-٥١
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ...	أبو هريرة	٩١
كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ...	أبو سعيد الخدري.	٩٦
لا يقل المملوك لسيده: ربي!	أبو هريرة	٣١
لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ...	عائشة أم المؤمنين	١٠٢
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديهم ...	ابن مسعود	١٩٢
لم يبق من النبوة إلا المبشرات ...	أبو هريرة	١٦٩
لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ...	ابن عباس	٢٩٥
ليس منا من تطير أو تطير ...	عمران بن حصين	٢٢٨
ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله ...	أبو ذر الغفاري	٩٠-٩١
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من ...	ابن مسعود	١٧٦
ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي من الآيات.	أبو هريرة	١٢٤
مفاتح الغيب خمس: ...	ابن عمر	٢٢٢
من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر	ابن عباس	٢٥٦
ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ...	عوف بن مالك	١٧٢
من أتي عرافا فسأله عن شيء لم يقبل له ...	حفصة أم المؤمنين	٢٢٧
من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر ...	أبو هريرة	٢٢٨
من رأني في المنام فقد رأني؛ فإن الشيطان ...	أبو هريرة وأنس	١٧٧
من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة ...	أبو هريرة	١٠١
من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من ...	علي بن أبي طالب	٨٤
منه خلق ومنه يركب.	أبو هريرة	٢٧١
وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة	جابر بن سمرة	٩١
وكل الله بالرحم ملكا فيقول: ...	أنس بن مالك	٩٨
ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة.	أنس بن مالك	٢٨٨
هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا ...	زيد بن خالد	٢٥٧

فهرس المصادر و المراجع

١-: القرآن الكريم.

٢-: اتحاف السادة المتقين شرح إحياء العلوم للعلامة الإمام محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) دار إحياء التراث الإسلامي - بيروت.

٣-: الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩٨١ هـ) تقديم و تعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - دمشق.

٤-: اثبات النبوة لابن سينا، حسين بن عبد الله (ت: ٤٢٨ هـ)، حققها و قدم لها ميشال مرمورة، دار النهار للنشر - بيروت ، ١٩٦٨م.

٥-: إحياء العلوم للإمام محمد بن الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) بذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) دار العزمة - بيروت.

٦-: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للشيخ علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي (ت ٦٤٦ هـ) دار الآثار للطباعة و النشر - بيروت.

٧-: الأدب المفرد للإمام البخاري صاحب الجامع الصحيح مع شرح الشيخ فضل الله الجيلاني، المكتبة الإسلامية - حمص.

٨-: الأذكار للإمام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) شرح العلامة ابن علان، محمد بن علي الشافعي (ت ١٠٥٧ هـ) المعروف بالفتوحات الربانية على الأذكار النووية، حققه محمد رياض خورشيد، مكتبة الغزالي - دمشق، و مؤسسة مناهل العرفان - بيروت.

٩-: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود للإمام محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ) تحقيق: عبد القادر أحمد عطار، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

١٠-: أساس البلاغة للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) الطبعة الثانية: ١٩٧٢م، مطبعة دار الكتب - القاهرة.

١١-: الإسلام يتحدى للشيخ وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة و تحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة التاسعة: ١٤٠٥ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٢-: الإشارات و التنبيهات لابن سينا، حسين بن عبد الله (ت ٤٢٨ هـ) مع شرح نصيرالدين الطوسي ، تحقيق: الدكتور سليمان الدنيا - الطبعة الثانية: ١٩٦٨م، دارالمعارف بمصر.

١٣-: الإصابة في تمييز الصحابة لحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) أعد فهارسه محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٤-: الأصنام لأبي المنذر هشام بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ) تحقيق: أحمد زكي باشا.
١٥-: الأعلام لخير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، الطبعة السادسة، مايو ١٩٨٦م، دار العلم للملايين - بيروت.
١٦-: أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) راجعه و قدم له و علق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
١٧-: أعلام النبوة للإمام علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) الطبعة الأولى: ١٣٩٣ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٨-: آكام المرجان في غرائب الأخبار و أحكام الجان، للعلامة بدر الدين عبد الله الشبلي الحنفي (ت: ٧٦٩ هـ) تحقيق: ابراهيم محمد جمل المطبوع حاليا باسم: غرائب و عجائب الجن و الشياطين كما يصورها القرآن والسنة، دار الرياض - الرياض..
١٩-: إلجام العوام عن علم الكلام، للإمام الغزالي. مع حاشية كتاب الإنسان الكامل للجيلي
٢٠-: الله يتجلى في عصر العلم، تاليف نخبة من العلماء الأمريكيين، أشرف علي تحريره جون كلوفرمونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه و علق عليه: الدكتور محمد جمال الفندي، دار القلم - بيروت.
٢١-: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المشهور بالسيرة الحلبية، للإمام علي بن برهان الدين الحلبي (ت: ١٠٤٤ هـ) الطبعة الأولى: ١٣٨٤ هـ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.
٢٢-: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، المعروف بتفسير البضاوي، للعلامة ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) بهامشه حاشية العلامة منصور بن الحسن العماد القرشي الكازروني (ت: ٨٦٠ هـ) مؤسسة شعبان - بيروت.
٢٣- الإيمان، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: ٧٢٨ هـ) الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٤-: الإيمان بالملائكة للشيخ عبد الله سراج الدين، الطبعة الأولى، ١٣٠١ هـ.
٢٥-: الإيمان و الحياة للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الرابعة: ١٤٠١هـ، مكتبة وهبة - القاهرة.

٢٦-: البحر المحيط لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ) بهامشه تفسير من البحر من المفسر نفسه، و الدار اللقيط لتاج الدين ، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ، دار الفكر - بيروت.

٢٧-: بدائع الفوائد لابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٨-: البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية - مصر.

٢٩-: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للعلامة مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ) تحقيق: الأستاذ محمد على النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة، ١٣٨٥ هـ.

٣٠-: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للعلامة محمود شكري الحسيني بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي، صاحب روح المعاني (ت: ١٣٤٢ هـ) تحقيق و تعليق: محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣١-: تأويل مختلف الحديث للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) صححه و ضبطه: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأهرية - القاهرة، ١٣٨٦هـ .

٣٢-: تأويل مشكل القرآن للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة: ١٤٠١ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٣-: تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن محمد أيوب، مكتبة الثقافة العربية - الكويت: ١٣٩١ هـ.

٣٤-: التبيان في أقسام القرآن للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن القيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) صححه و علق عليه: طه يوسف شاهين، دار الكتاب العربي.

٣٥-: التحرير و التنوير للشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ) الدار التونسية، تونس ١٩٨٤ م .

٣٦-: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للعلامة المؤرخ محمد بن أحمد، أبو ريحان البيروني (ت: ٤٤٠ هـ) مجلس دار المعارف العثمانية - حيدراباد، ١٩٥٨م.

٣٧-: التخويف من النار و التعريف بحال دار البوار للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) مطبعة الإسلام.

٣٨-: التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للإمام محمد بن القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) الطبعة الثانية: ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٩-: التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن الجزي الكلبي (ت: ٧٤١ هـ) دار الفكر - بيروت.
٤٠-: التعريفات للعلامة الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة.
٤١-: تعطير الأنام في تعبير المنام للشيخ عبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣ هـ) تقديم: الأستاذ علي عبد الحميد بلطه جي، تحقيق و إعداد: معروف زريق، دار الخير، ١٤٠٩هـ.
٤٢-: التفسير الحديث للدكتور محمد عزت دروزة ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ١٣٨١ هـ .
٤٣-: تفسير سورة الجن للدكتور محمد البهي، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، دار الفكر.
٤٤-: تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤ هـ) كتب هوامشه و ضبطه: حسن ابراهيم زهراني، دار الفكر - بيروت ١٤٠٨هـ.
٤٥-: تفسير المراغي للشيخ أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ) الطبعة الرابعة: ١٣٩٢هـ ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.
٤٦-: تفسير المظهري (الأردية) للشيخ ثناء الله الأمرتسري، ندوة المصنفين، دلهي ١٤٠٣هـ.
٤٧-: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) ألفه على ضوء ما أفاده الشيخ محمد عبده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٤٨-: التفسير الواضح للدكتور محمد حجازي، الطبعة السابعة: ١٣٩٢هـ، مطبعة الإستقلال الكبرى- القاهرة.
٤٩-: تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، الطبعة السابعة، دارالمعارف - القاهرة.
٥٠-: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت:١٢٣٣هـ).
٥١-: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) الطبعة الثالثة: ١٣٨٨هـ، شركة و مكتبة الحلبي و أولاده بمصر.
٥٢-: جامع الرسائل، المجموعة الأولى، تحقي: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى: ١٣٨٩هـ، مطبعة القاهرة.

٥٣-: الجامع الصحيح، للإمام الحافظ محمد بن اسماعيل (ت:٢٥٦هـ) تحقيق و ترقيم: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ، دار القلم- و دار الإمام البخاري - دمشق.

٥٤-: الجامع الصحيح، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج التقشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق و ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٣هـ.

٥٥-: الجامع الصحيح، للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ) مع شرحه: تحفة الأحوذي للشيخ عبد الرحمن المباركفوري، ضبطه و راجعه: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثالثة: ١٣٨٧هـ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

٥٦-: الجامع لأحكام القرآن، المشهور بتفسير القرطبي، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، دارالكتاب العربي - القاهرة، ٢٣٨٧هـ.

٥٧-: جوامع العلوم و الحكم للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت:٧٩٥هـ) دارالفكر - بيروت.

٥٨-: حاوي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، قدم له و أشرف على طبعه: الشيخ علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني - القاهرة.

٥٩-: حجة الله البالغة، للإمام الشاه أحمد بن عبد الرحيم، ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ) تحقيق: الشيخ السيد سابق، دار الكتب الحديثة - القاهرة.

٦٠-: الحدود لابن سينا، المصطلح الفلسفي عند العرب، دراسة و تحقيق: الدكتور عبد الأمير الأعسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٨٩هـ.

٦١-: خاتم النبيين ﷺ، للشيخ محمد بن أحمد، أبو زهرة (ت:١٣٩٤هـ).

٦٢-: الداعي إلى الإسلام، للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، النحوي (ت:٥٧٧هـ) دراسة و تحقيق: سيد حسين باغجوان، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، دارالبشائر الإسلامية - بيروت.

٦٣-: درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

٦٤-: الدر المنثور في التفسير الماثور، للسيوطي، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، دار الفكر - بيروت.

٦٥-: دعوة التوحيد، أصولها، الأدوار التي مرت بها، و مشاهير دعاتها، للدكتور محمد خليل الهراس، مكتبة الصحابة - طنطا.

٦٦-: دلائل النبوة، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعة جي، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٧-: الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) للدكتور محمد عبد الله دراز (١٣٧٧هـ) مطبعة السعادة، ١٣٨٩هـ.

٦٨-: الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ، دارالكتب العلمية - بيروت.

٦٩-: الرد على المنطقيين، لابن تيمية، تحقيق : الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٢هـ، ترجمان السنة - لاهور - الباكستان.

٧٠-: الرسالة التدمرية، لابن تيمية، مع شرحه التحفة المهدية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، مكتبة الحرمين - الرياض.

٧١-: الرسالة الصفدية، للإمام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ.

٧٢-: رسالة العبودية، لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) الطبعة السادسة: ١٤٠٣هـ، تقديم: الشيخ عبد الرحمن الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.

٧٣-: الرسالة العرشية، لابن سينا، طبعة حيدراباد، ١٣٥٤هـ.

٧٤-: الرسل و الرسالات، للدكتور عمر سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ، مكتبة الفلاح - الكويت.

٧٥-: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، للإمام محمود الآلوسي، البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ) دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ.

٧٦-: الروح في الكلام على أرواح الأموات و الأحياء بالدلائل، لابن القيم، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، دار الحديث - القاهرة.

٧٧-: الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، للإمام عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ) تحقيق و تعليق: الشيخ عبد الرحمن الوكيل.

٧٨-: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ ، للإمام النووي، حققه و خرج أحاديثه: عبد العزيز رباح، و أحمد يوسف الدقاق، راجعه: شعيب الأرناؤوط، دار المامون للتراث - دمشق.

٧٩-: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، حققه و خرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط،

عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة السابعة و عشرين: ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

٨٠-: راد المسير في علم التفسير، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) تقديم و تحقيق: الشيخ محمد زهير الشاويش، الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٨١-: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٨٢-: سنن النسائي، للإمام الحافظ أحمد بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي (ت:٣٠٣هـ) مع شرح جلال الدين السيوطي، و حاشية الإمام محمد حياة المدني السندي (ت:١١٦٣هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٣-: سنن الإمام ابن ماجه القزويني (ت:٢٧٣هـ) تحقيق و ترقيم: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

٨٤-: سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) مع شرح معالم السنن، للحافظ حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) إعداد و تعليق: عزت عبيد الدعاس و عادل السيد، الطبعة الأولى: ١٣٩٤ هـ، دارالحديث - حمص.

٨٥-: سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ محمد بن أحمد، شمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ) خرج أحاديثه و حققه: شعيب الأرناؤوط و آخرون، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٨٦-: السيرة النبوية، للحافظ ابن كثير، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد عيسى البابي الحلبي و شركاءه - القاهرة، ١٣٩٤هـ.

٨٧-: السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك (ت:٢١٣هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر - بيروت.

٨٨-: السياسة المدنية لأبي نصر محمد بن محمد الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) تحقيق: الدكتور فوزي قرى نجا، طبعة ١٩٦٤م.

٨٩-: شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة القاضي صدر الدين بن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢هـ) حققه جماعة من العلماء، و خرج أحاديثه الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتبة السلفية - لاهور، ١٣٩٩هـ.

٩٠-: شرح المواهب اللدنية للإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي (ت: ...) بهامشه زاد المعاد لابن القيم ، الطبعة الأولى: ١٣٢٥هـ، المكتبة الأزهرية المصرية.

٩١-: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى السبتي (ت:٥٤٤هـ) بحاشية العلامة أحمد بن حمد بن محمد الشمني (ت: ٨٧٢هـ) المسماة بمزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٨٩٩م.

٩٢-: صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ، دار القرآن الكريم - بيروت.

٩٣-: عالم الملائكة الأبرار، للدكتور عمر سليمان الأشقر، الطبعة السادسة: ١٤١١هـ، مكتبة الفلاح، دار النفائس- الكويت.

٩٤-: العبادة في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الرابعة: ١٣٩٥هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩٥-: العقيدة الإسلامية و أسسها للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الخامسة: ١٤٠٨هـ، دار القلم - دمشق.

٩٦-: العقيدة الواسطية، لابن تيمية، مع تعليق الشيخ صالح بن فوزان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ، مكتبة المعارف - الرياض.

٩٧-: علم النفس المعاصر للدكتور حلمي المليحي، الطبعة الثانية: ١٩٧٢م، دار النهضة العربية - بيروت.

٩٨-: العلم يدعو للإيمان للأستاذ كريسي مورسون: ترجمة: محمد صالح الفلكي، تصدير: الشيخ أحمد حسن الباقوري، تقديم: الدكتور أحمد زكي، الطبعة الخامسة: يونيو ١٩٦٥م، مكتبة النهضة - القاهرة.

٩٩-: علوم القرآن، مدخل إلى تفسير القرآن و بيان إعجازه: للدكتور محمد زرزور، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٠٠- : عون المعبود شرح سنن أبي داود للشيخ شمس الحق العظيم آبادي، المكتبة السلفية.

١٠١-: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسن القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) تحقيق و مراجعة: إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى: ١٣٨١هـ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.

١٠٢-: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية - الرياض.

١٠٣-: فتح البيان في مقاصد القرآن، للشيخ الإمام النواب صديق حسن خان، الناشر عبدالولي علي محفوظ، ١٩٦٥م، مطبعة العاصمة - القاهرة.

١٠٤-: فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) الطبعة الثالثة: ١٣٨٣هـ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.

١٠٥-: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد - الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠٦-: الفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.

١٠٧-: الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان، لابن تيمية، حققه و خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، ١٤٠٥هـ.

١٠٨-: الفصل في الأهواء و الملل و النحل، للإمام علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت:٤٥٦هـ) تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، عكاظ للنشر و التوزيع- السعودية العربية.

١٠٩-: الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ) مع شرح الملا علي القاري (ت:١٠١٤هـ) الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٠-: الفوائد، لابن القيم، ضبطها و حققها الشيخ عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت.

١١١-: في ظلال القرآن، للشهيد، سيد قطب (١٣٨٧ هـ) الطبعة السابعة عشر: ١٤١٢هـ، دار الشروق - القاهرة - و بيروت.

١١٢-: القرامطة، للإمام ابن الجوزي، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١١٣-: قصص الأنبياء (الإسم الأصلي البداية و النهاية) للحافظ ابن كثير ، تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ، شركة مكة للطباعة و النشر - مكة المكرمة.

١١٤-: كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور سعيد رمضان البوطي، الطبعة الخامسة: ١٣٩٧هـ، دار الفكر - بيروت.

١١٥-: الكتاب المقدس (العهد القديم و العهد الجديد) دار الكتاب المقدس - القاهرة.

١١٦-: كشاف اصطلاحات الفنون للعلامة محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد١١٥٨هـ) خياط - بيروت.

١١٧-: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت:٥٣٨هـ) بهامشه: حاشية: السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) و كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين بن المنير الأسكندري المالكي (ت:٦٨٣هـ) الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ، دار الفكر - بيروت.

١١٨-: لباب التأويل في معاني التنزيل ، المشهور بتفسير الخازن، للإمام علاء الدين، الشهير بالخازن (ت: ٧٤١هـ) و بهامشه معالم التنزيل، المعروف بتفسير البغوي، للإمام حسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت: ٥١٠هـ) الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر.

١١٩-: لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت: ٧١١هـ) الطبعة الأول: ١٤١٠هـ، دار صادر - بيروت.

١٢٠-: لقط المرجان في أحكام الجان، للإمام جلال الدين السيوطي، دراسة و تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن - القاهرة.

١٢١-: لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية المضيئة في عقيدة أهل الفرقة النجية، للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت:١١٨٨هـ) مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية - مصر.

١٢٢-: مباحث في علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح، الطبعة الثانية: ١٩٧٤م، دارالعلم للملايين - بيروت.

١٢٣-: مجاز القرآن للإمام معمر بن المثنى، أبو عبيدة النحوي (ت: ٢١٠هـ) عارضه بأصوله و علق عليه: الدكتور محمد فؤاد شركين، مكتبة الخانجي بمصر.

١٢٤-: مجمع البيان، للشيخ أبو على، الفضل بن الحسني الطبرسي (٥٤٨هـ) دار مكتبة الحياة - بيروت.

١٢٥-: مجمع الزوائد و منبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت:٨٠٧ هـ) الطبعة الثالثة:١٤٠٢هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٢٦-: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع و ترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه محمد، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب- الرباط.

١٢٧-: محاسن التأويل، المشهور بتفسير القاسمي، للشيخ جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ، دار الفكر - بيروت.

١٢٨-: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، اختصره العلامة محمد بن نصر الموصلي، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية.

١٢٩-: مدارج السالكين منازل السائرين، للإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، ١٣٧٥هـ.

١٣٠-: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤١هـ) تحقيق: الشيخ عبد الله ابراهيم الأنصاري و آخرون، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ، مؤسسة دار العلوم - الدوحة -قطر.

١٣١-: المدخل لدراسة القرآن، للدكتور محمد محمد، أبو شهبة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ، دار اللواء - الرياض.

١٣٢-: المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، للإمام العلامة محمد بن عبد الواحد ابن الهمام (ت: ٨٦١هـ) مع شرحه السابرة، للشيخ كمال بن شريف ، و حاشية: العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي، الطبعة الثانية: ١٣٤٧هـ، مطبعة السعادة - مصر.

١٣٣-: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر (ت:١٣٧٧هـ) دار المعارف بمصر، ١٣٧٠هـ .

١٣٤-: مسند الإمام أحمد حنبل (ت:٢٤١هـ) بهامشه منتخب كنز العمال، الطبعة الثالثة: ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٣٥-: مشكاة المصابيح، للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت: بعد ٧٣٧هـ) تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٣٦-: المصطلحات الأربعة، للشيخ أبي الأعلى المودودي (ت: ....) دار التراث العربي للطباعة و النشر.

١٣٧-: مصنفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت:١٢٠٦هـ) القسم الأول، العقيدة و الأدب الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

١٣٨-: مصنف الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ) تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي (ت: ١٤١٢هـ) الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ، المجلس العلمي - جنوب أفريقيا.

١٣٩-: معارف القرآن للشيخ المفتي محمد شفيع الباكستاني (الأردية) إدارة المعارف - باكستان، ١٣٩٩هـ .

١٤٠-: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ، دار الحديث - القاهرة.

١٤١-: مفاتيح الغيب، المشهور بالتفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٤هـ) الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - طهران.

١٤٢-: مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة، لابن القيم الجوزية، دار الفكر - بيروت .

١٤٣-: مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم، للعلامة أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة (ت: ٩٦٨هـ) مراجعة و تحقيق: كامل كامل بكري، عبد الوهاب، أبو النور، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م.

١٤٤-: المفردات في غريب القرآن، للإمام أبو القاسم، الحسين محمد بن الفضل الأصفهاني، المعروف بالراغب (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق و ضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

١٤٥-: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي ، الطبعة الأولى: ١٩٧٠م، دار العلم للملايين - بيروت، مكتبة النهضة - بغداد.

١٤٦-: مقاصد الطالبين، للعلامة مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني (٧٩٣هـ) مطبعة دار الطباعة العامرة، ١٣٧٧هـ .

١٤٧-: مقدمة للعلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) دار الفكر - بيروت.

١٤٨-: الملل و النحل، للشيخ أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨ هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٠هـ .

١٤٩-: مناهج الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ .

١٥٠-: مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار الفكر - بيروت.

١٥١-: من مفاهيم القرآن في العقيدة و السلوك، للدكتور محمد البهي، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ ، مكتبة وهبة - القاهرة.

١٥٢-: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

١٥٣-: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للحافظ الهيثمي، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، المكتبة السلفية.

١٥٤-: المواقف، للإمام عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦هـ) عالم الكتب - بيروت.

١٥٥-: الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، مؤسسة فرانكلين، باشراف محمد شفيق غربال.

١٥٦-: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن، للدكتور ضياء الدين عتر، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ، دار النصر - حلب.

١٥٧-: النبوة و الأنبياء للشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية: ١٤٠٠ هـ .

١٥٨-: النبوات، لابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ .

١٥٩-: النجاة، لابن سينا، طبعة ثانية: ١٣٥٧هـ ، على نفقة محي الدين صبري الكردي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

١٦٠-: النهاية في غريب الحديث و الأثر، للإمام مجد الدين الجزري (ت:٦٠٦ هـ) تحقيق: محمد محمود الطناجي، طاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج رياض الشيخ، الطبعة الأولى: ١٣٨٣ هـ .

١٦١-: الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا المصري (ت: ١٣٥٤هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.

١٦٢-: اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع و إعداد: أحمد فائز، الطبعة الخامسة عشر: ١٤٠٩هـ ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

فهرس الموضوع

الموضـــــــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	
شكر وتقدير	أ
مقدمة في ذكر أسباب اختيار الموضوع ومنهج السير فيه والخطة	ب - ز
تمهيـــد	١-١٤
تعريف المكي والمدني	١
طرق معرفة المكي والمدني.	٢
خصائص السور المكية من حيث الأسلوب	٤
خصائص السور المكية من حيث الموضوع	٥
خصائص السور المدنية من ناحية الأسلوب	٦
خصائص السور المدنية من ناحية الموضوع	٧
زمان نزول السورة وطبيعة فترة النزول	٧
منا سبة هذه السورة لما قبلها	٩
كلمة موجزة عن سورة الصافات	١١
الفصل الأول في التوحيد:	**١٦-٤٨**
تمهيد في أهمية التوحيد	١٦
المبحث الأول : في توحيد الألوهية	
معاني الكلمات	١٩
تحقيق كلمة الإله	٢٢
تحقيق كلمة الواحد	٢٣
توضيح معنى الألوهية	٢٥
كون الحاكمية لله وحده من خصائص ألوهية	٢٦

الموضـــــــوع	الصفحة
المبحث الثاني في توحيد الربوبية	
تحقيق كلمة الرب في اللغة	٣٠
توضيح كلمة الرب في ضوء النصوص	٣٥
النقطة الأولى إنشاء الشيء	٣٦
النقطة الثانية الإتقان في الكون	٣٩
توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية	٤٢
المبحث الثالث في توحيد الأسماء والصفات:	
معنى هذا التوحيد	٤٥
العلاقة بين هذه الأنواع الثلاثة للتوحيد	٤٦
الفصل الثاني في الرد على الشرك	٥٠-١١٠
تمهيد في بيان عوامل الانحراف	٥٠
أولا : العوامل الخارجية	٥٠
ثانيا: العوامل الداخلية	٥٣
المبحث الأول في الرد على عبادة الأصنام	
معاني الكلمات	٥٩
توضيح ما يتعلق بها	
المسلك الأول: الذي سلكه إبراهيم عليه السلام في الرد على عبادة الأصنام.	٦٣
المسلك الثاني: الذي سلكه إبراهيم عليه السلام في الرد عليها	٦٦
قصة إلياس عليه السلام في الرد على هذه العبادة	٧٠
المبحث الثاني في الرد على عبادة الملائكة:	
معاني الكلمات	٧٢
توضيح ما يتعلق بها	
المناقشة الحادة مع المشركين في مزاعمهم الباطلة الثلاثة نحو الملائكة	
الأول: أن الله اختار لنفسه بنات، والثاني: أن الملائكة إناث،	

الموضـــــــوع	الصفحة
والثالث: أن الله ولد الملائكة، (تعالى عن ذلك علوا كبيرا).	٧٤
الرد البليغ على مزاعمهم الأخرى	٧٦
في بيان عجز العابد والمعبود الباطل	٨١
رد الملائكة على المشركين باعترافهم بالعبودية لله	٨٣
تنزيه الله نفسه عما لا يليق به	٨٣
المبحث الثالث في صفات الملائكة وأعمالهم:	
معنى الملائكة لغة وشرعا	٨٥
من صفاتهم الخلقية	٨٦
أعمالهم ووظائفهم	٩٠
أفاضل الملائكة	٩٤
الملائكة من غيرهم أصناف	٩٧
التأويلات الباطلة للملائكة:	
تأويل الفلاسفة لهم	١٠٤
الرد على هذا التأويل	١٠٦
الفصل الثالث في الرسالة	**١١٢-١٨٤**
التمهيد في بيان أمور مهمة:	
أولا : معنى النبي والرسول واختلاف العلماء في التفريق بينهما	١١٢
الرأى الراجح	١١٤
ثانيا: حاجة الناس إلى الرسالة	١١٥
المنكرون لحاجة الرسالة والرد عليهم	
ثالثا: في أهم خصائص الرسل والأنبياء عليهم السلام:	
الخصيصة الأولى هي الوحي	١٢١
الخصيصة الثانية هي المعجزة	١٢٤
تعريف المعجزة عند الفلاسفة ورده	١٣٠

الموضـــــــوع	الصفحة
الخصيصة الثالثة العصمة:	
عصمة الأنبياء قبل النبوة	١٣١
العصمة بعد النبوة	١٣٢
العصمة من الأمراض المنفرة	١٣٥
المبحث الأول: في صفات الرسل عليهم السلام: (صفة الإيمان ، صفة الإحسان)	
صفة الإيمان	
معنى الإيمان لغة وشرعا	١٣٨
صفة الإحسان	
حقيقة الإحسان ودرجاته	١٤٠
المبحث الثالث: تائيد اللّه لرسله:	
معاني الكلمات	١٤٢
توضيح ما يتعلق بها	
قصة نوح عليه السلام	
صبره الخارق في سبيل الله	١٤٤
نصر الله إياه وإكرامه بنعم عديدة	١٤٧
قصة إبراهيم عليه السلام:	
تاييد الله إياه على قومه وإكرامه بنعم عديدة	١٥١
قصة موسى وهارون عليهما السلام وما أيدهما من الآيات	١٥٤
قصة إلياس عليه السلام وما أيده الله به	١٥٧
قصة لوط عليه السلام وما أيده الله به	١٥٨
قصة يونس عليه السلام وما أيده الله به	١٦٢
دفع شبهة في قصته	١٦٦

الموضـــــــوع الصفحة

المبحث الثالث: رؤيا الأنبياء وحي وقضية تعيين الذبيح

الأمر الأول: رؤيا الأنبياء وحي

معاني الكلمات ١٦٨

توضيح ما يتعلق بالرؤيا

تمهيد في أن الرؤيا حقيقة ثابتة ١٦٩

حقيقة الرؤيا عند أهل السنة ١٧٠

أقسام الرؤيا ١٧١

رؤيا الأنبياء وحي

الأدلة النقلية على ذلك ١٧٤

الأدلة العقلية ١٧٦

حكم رؤيا غير الأنبياء ١٧٦

الأمر الثاني: في تعيين الذبيح:

اختلاف العلماء على ثلاثة آراء:

الرأى الأول : إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام وأدلته ١٧٩

الرأى الثاني: أنه هو إسماعيل عليه السلام وأدلته ١٨٠

الرأى الثالث: ١٨٤

الرأى الراجح ١٨٤

الفصل الرابع: في إبطال الكهانة والتنجيم ١٨٦-٢٦٢

أولا : الكهانة وإبطالها

الأمر الأول: الكهانة لغة واصطلاحا ١٨٧

أنواع الكهانة ١٨٧

الأمر الثاني: إثبات وجود الجن ١٩٠

معنى الجن لغة واصطلاحا ١٩١

الأدلة على وجودهم من النصوص ١٩١

الموضـــــــوع	الصفحة
دليل الإجماع والتواتر	١٩٢
شبهة المنكرين لوجود الجن والرد عليها	١٩٣
التأويلات الباطلة للجن	
تاويلات الفلاسفة وأمثالهم والرد عليها	١٩٨
تاويل الشيخ محمد عبده والرد عليه	١٩٩
تاويل الدكتور محمد البهي والرد عليه	٢٠٢
الأمر الثالث: في إبطال الكهانة:	
الأمر الأول: في كيفية استراق المسترقة	٢١١
كيفية إلقاء الجني إلى الكاهن	٢١٢
الأمر الثاني: في تحقيق القول في الرمي قبل مبعث النبي ﷺ	
الرأى الأول: أن الجن لم تكن ترمى قبل المبعث ودليله	٢١٤
الرأى الثاني: أنه كان موجودا وإنما زيد بعد المبعث وأدلته	٢١٦
الرأى الراجح	٢٢٠
الأمر الثالث: في تحقيق القول فيما يسترقه المسترقة من أخبار السماء	
النوع الأول : من أخبار السماء وحكمه	٢٢٢
النوع الثاني منها وحكمه	٢٢٤
النوع الثالث منها وحكمه وهو ما نحن بصدد إبطاله	٢٢٦
الذم والوعيد على الكهانة وأهلها	٢٢٧
والتحذير من فتنتها	٢٢٩
الأمر الرابع: في تحديد المنطقة التي كانت الشياطين تسترق منها	٢٣١
الرد على شبه مثارة في هذه المناسبة	٢٣٣
ثانيا: صناعة التنجيم وإبطالها	
تعريف التنجيم	٢٣٥
النوع الأول من التنجيم وبطلانه	٢٣٦
تاريخ نشأة التنجيم وأهله	٢٣٨

الموضـــــــوع	الصفحة
العناصر الستة التي تتلخص من تعريفه وإبطاله	
الرد على العنصر الأول	٢٤١
الرد على العنصر الثاني	٢٤٢
الرد على العنصر الثالث	٢٤٥
الرد على الرابع والخامس	٢٥٥
الرد على السادس	٢٥٥
الوعيد الشديد لمن يشتغل بهذه الصناعة	٢٥٦
الأثر السيء على المجتمع من هذه الصناعة	٢٥٨
النوع الثاني من التنجيم وحكمه	٢٦٠
النوع الثالث منه وحكمه	٢٦٠
الفصل الخامس: في البعث والجزاء:	**٢٦٤-٢٩٩**
تمهيد في أهمية الإيمان بالبعث والجزاء	
أهمية هذا الإيمان من ناحية النفسية	٢٦٤
أهميته من ناحية أخلاقية	٢٦٦
أهميته من ناحية السعادة الإنسانية	٢٦٧
البعث معناه وكيفيته	٢٦٩
المبحث الأول: في أدلة البعث	
معاني الكلمات	٢٧٢
توضيح ما يتعلق بها	
أدلة البعث وتوضيحها	٢٧٣
المبحث الثاني: في شبهة المنكرين والرد عليها:	
قيام الساعة وأهوالها على المنكرين	٢٨١
توضيح الآيات المتعلقة بها	٢٨٢

الموضـــــــوع	الصفحة

المبحث الثالث: في حساب المؤمنين وجزاءهم

معاني الكلمات ٢٨٤

تكريم المؤمنين في الجنة بأنواع النعم ٢٨٦

المبحث الرابع: في عقاب الظالمين:

معاني الكلمات ٢٩٢

توضيح ما يتعلق بها

عذاب الكافرين بأنواع العذاب ٢٩٤

الخاتمة ٣٠٠

فهرس الآيات القرآنية ٣٠٦

فهرس الأحاديث الشريفة ٣٢٤

فهرس المصادر والمراجع ٣٢٧

فهرس الموضوع ٢٤٠